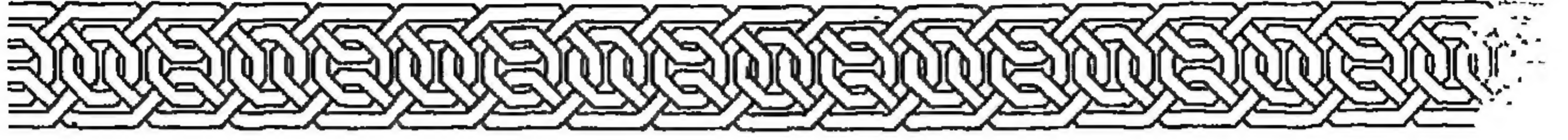


تاريخ الفرس عند العرب والمسلمين

الأستاذ الفاضل



دار الفكر



تِلْكَ الْفَرْقَةُ

عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ

أنور الرفاعي
أنور

دار الفکر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الثانية

١٣٩٧ - ١٩٧٧

الغلاف والخراج والإشراف على
أحمد المفتي



قائلون ، أولئك الذين تصدوا للفنون في العالم الاسلامي ، يدرسونها ويحللون مدارسها ومذاهبها ، ويستنبطون أسسها وميزاتها ، ويتذوقون جمالها ، ويكتبون عن ذلك كله ، كتابة علمية فنية تتناسب والابداع الفني عند المسلمين الذي بلغ الذروة من حيث المضمون والموضوع والتنوع والطابع والوحدة مع تعدد الاساليب والاذواق ... ذلك ان جل الكتاب المسلمين ، انما اغفلوا هذا الجانب من حضارتهم ، في وقت لم يهملوا ناحية من نواحي البحث الا واشبعوها درساً ، واوسعوها تمحيصاً ... لغلبة فكرة الرسم والنحت وصنع التماثيل على الفنون ، ولتخوف الكثير منهم التعرض لهذه المواضيع التي يتجادل العلماء في جوازها أو تحريمها ، وما أرادوا أن يعرفوا ان الرسم والنحت وصنع التماثيل ، ليست هي الفنون كلها ، وباب الفن واسع تدخل منه فنون الرياضة والعمارة ، والفنون التشكيلية ، والتطبيقية ، والصناعية ، وهي كلها امور لا تخالف الدين من قريب او بعيد ، بل هي من مستلزمات الدين ، كبناء المساجد ، وتزيينها ، واتخاذ الاثاث والرياش لها ، ومن مستلزمات القوة المادية ، التي أمر بها الدين ، كبناء القلاع



والحصون ، والربط ، والمدارس والتكايا وما إليها ... وهي كلها جديرة بالبحث من ناحيتها العمرانية الهندسية وفن إقامتها ... والخط العربي ، وحده ، وما أوجده الخطاطون المسلمون فيه من أساليب وأنواع وزخرفة ، بحر واسع من بحور الفن ، يحتاج إلى مجلدات تكتب عنه ، ومتخصصين متفرغين لدراسته ، وإن التزيينات المقتبسة من النبات والأشكال الهندسية ، البعيدة عن رسم كل ذي روح ، ملأت دنيا المسلمين ، في دينهم ودنياهم ، فازدانت بها المساجد ، واستخدمت في القصور والأضرحة والحمامات ودور السكن العامة ، والأسواق والخانات والقلاع ؛ والمخطوطات ، حتى نسخ القرآن الكريم ، زينت بالرسوم الجميلة البديعة من هذا النوع ، حتى غدا هذا الطراز من الرسم والتزيين صفة عربية - إسلامية سماها الغربيون أرابيسك (الأرقشة) أي الفنون الزخرفية العربية ، وسميت الرسوم الناعمة الهادئة اللطيفة ذات الألوان الشفافة الجميلة التي ملأت المخطوطات الإسلامية وأوضحت النصوص برسوم تفسيرية في الكتب العلمية كالطب والكيمياء وعلم الصنعة (الميكانيك) ، أو برسوم تمثيلية تخيلية في الكتب الأدبية كمقامات الحريري وكليلة ودمنة مثلاً ... سميت هذه الرسوم بالمنمنمات . ويلاحظ أن رسوم المخلوقات ذات الروح استخدمت في غير أماكن العبادة ، منذ العصر الإسلامي الأول ، تشهد على ذلك بقايا قصور خلفاء بني أمية وحماماتهم في الشام والأردن ...

ولعل المستشرقين هم أول من عني بتراث المسلمين الفني ... وكان الباعث لهم على البحث ، ملاحظتهم أثر الفن الإسلامي في الفن المسيحي الأوربي ، حين تلمسوا آثار الخطوط العربية في التزيينات الأوروبية ، ثم انتبهوا إلى أثر فن بناء المساجد ، والمآذن في بعض الكنائس وأبراجها ،



فما كادوا يتتبعون اصول هذه الاقتباسات حتى بهتهم فنون كثيرة اخذوها عن الاندلس ، والمغرب وصقلية ، كما هي ، أو معدلة ، ووجدوا أن الفن العربي الاسلامي ، كان شأنه شأن العلوم والفلسفة ، التي اخذها الغرب عن العرب والمسلمين في العصور الوسطى ، للتفاوت الذي كان بين حضارتين : حضارة الاسلام المزدهرة ، وحضارة اوربا المتجمدة التي لم يأنفوا من تسميتها بحضارة العصور المظلمة . .

ومن متابعة البحث اكتشف المستشرقون ، عالماً فنياً غنياً ، اعترفوا أنه اوسع الفنون العالمية انتشاراً ، وأطولها عمراً ، واكثرها تنوعاً وغزارة مع احتفاظه بوحده المميّزة ، فصنّفوه إلى جانب اخوته من فنون الامم العريقة : الفن الصيني ، والفن الفرعوني ، والفن اليوناني ، في مرتبة تسمو على سائر الفنون الاوربية والآسيوية الاخرى ...

وترجم المسلمون ما كتبه الغربيون ، وهزتهم عبارات الاعجاب والوصف ، ولفتت نظرهم إلى جمال الفن الاسلامي وتنوعه ، وغنى مواضيعه ، ومدى انتشاره أفقياً وعمودياً ، فهو يضم فنون امبراطورية واسعة امتدت من الصين وتركستان شرقاً إلى اسبانيا واقصى جبل اطلس غرباً ، وضمت شعوباً كثيرة ، كانت لها حضارات ، وكانت لها فنون ، تأثرت بروح الاسلام ، وبالذوق العربي ، فطورت هذه الحضارة ، وهذه الفنون ، بما لا يخالف هذا الذوق ولا تلك الروح ...

والعرب والمسلمون ، في نهضتهم الحديثة ، وفي خضم احياء التراث ، اهتموا بفنهم ، فانكبوا على دراسته ، وفرقوا بين الفن الديني في بناء المساجد والتكايا ، وبين الفن العسكري في اتخاذ القلاع والابراج والرباطات ،

وبين سائر الفنون الاخرى الجميلة منها والتشكيلية ، واذا بهم يكتشفون ،
ودفعة واحدة ، عالماً لاحد له ولا حصر ، من ثروات فنية اسلامية ،
ولا يزالون يجدون ويجدون من هذا الارث الفني ما يضاف ، وما يهر ،
وما يثير الاعجاب .

وبعد ! كيف يدرس الفن الاسلامي ؟ أيدرس حسب تسلسل تطوره
التاريخي ، كما فعل كثير من كتاب الغرب ، فتبعوا تطوره مع الاحداث
السياسية ، فقسموه إلى فن ما قبل الاسلام ، وفن عصري النبوة والراشدين ،
ثم الفن في العصر الاموي فالعباسي ، ثم تتبعوه في الدويلات المنفصلة ،
وفي عصور وجود اكثر من خلافة اسلامية ؟... أم يدرس حسب بلاده ،
يدرس مثلاً فن الشام ، وفن مصر ، وفن العراق أو فارس ، أو الهند ،
أو المغرب أو الأندلس ؟ أم يدرس كل موضوع فني اسلامي كوحدة ،
ففن بناء المساجد وأماكن العبادة ، وفن القصور ، وفن التصوير ، والنحت ،
وفن الكتابة والارقشة والحزف وما إلى ذلك .

وقد آثرت أن اتبع الرأي الأخير ، فأدرس كل موضوع متبعاً تطوره من
نشاته مع انتقاله من قطر إلى آخر ، ومروره بعصر بعد عصر ، فأجمع
في ذلك بين وحدة الموضوع الفني ، وبين المكان والزمان ، وأثرهما فيما
برز لهذا الفن من ميزات .

وقد اكثرت من الرسوم ، وهي كلها ، الموجودة في هذا الكتاب ، من
رسم أو نقل طلابي في كلية الفنون الجميلة وكلية الهندسة - قسم العمارة في
جامعة دمشق ، اخذوها عن الاصل أو اقتبسوها عن المراجع حيث وجدت ،
وشرحتها شرحاً مقتضباً ، يعطي فكرة عنها ، ويترك للقارئ ان يكتشف
بنفسه آيات الابداع ، ورقة الذوق وكأله .

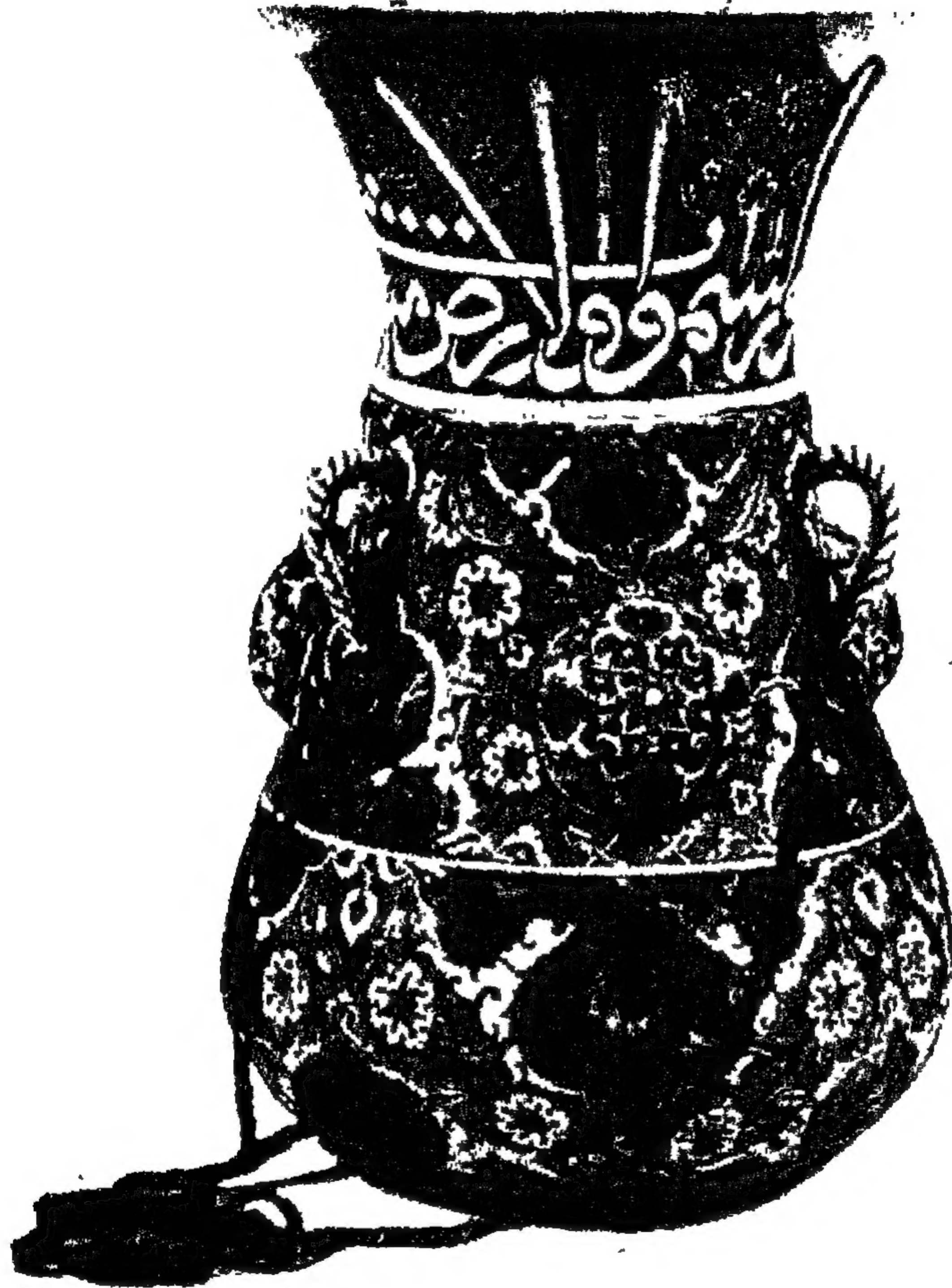
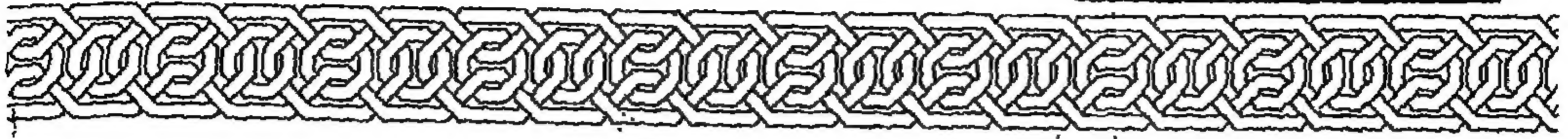


وأملني ان اكون قد بحثت جانباً من جوانب حضارة العرب والمسلمين .
كما هو في واقع الحال ، دون ان اتعرض من قريب او بعيد ، إلى
نظرة المسلمين إلى الفن وتحريم بعضه ، وانما اكتفيت بوصف ما وجد
من أثر فني ، وعرض ما انتج المسلمون وابدعت عبقريتهم من تحف خالدة ،
ثبتت انهم ضربوا بسهم وافر في هذا المضمار الفني ، الذي كان يبدو لبعض
الناظرين ، القليلي البصر ، انه حلقة ناقصة في حضارتهم التي هي جزء اسامي
من التراث الانساني ، فتكتمل بذلك وجوه هذه الحضارة التي لولاها ،
لتأخر سير الركب الانساني الحضاري عدة قرون باعتراف الغربيين .
والله اسأل سداد الخطى والتوفيق

دمشق ١٩٧٣/٢/٢٦ م الموافق ١٣٩٣/١/٢٤ هـ

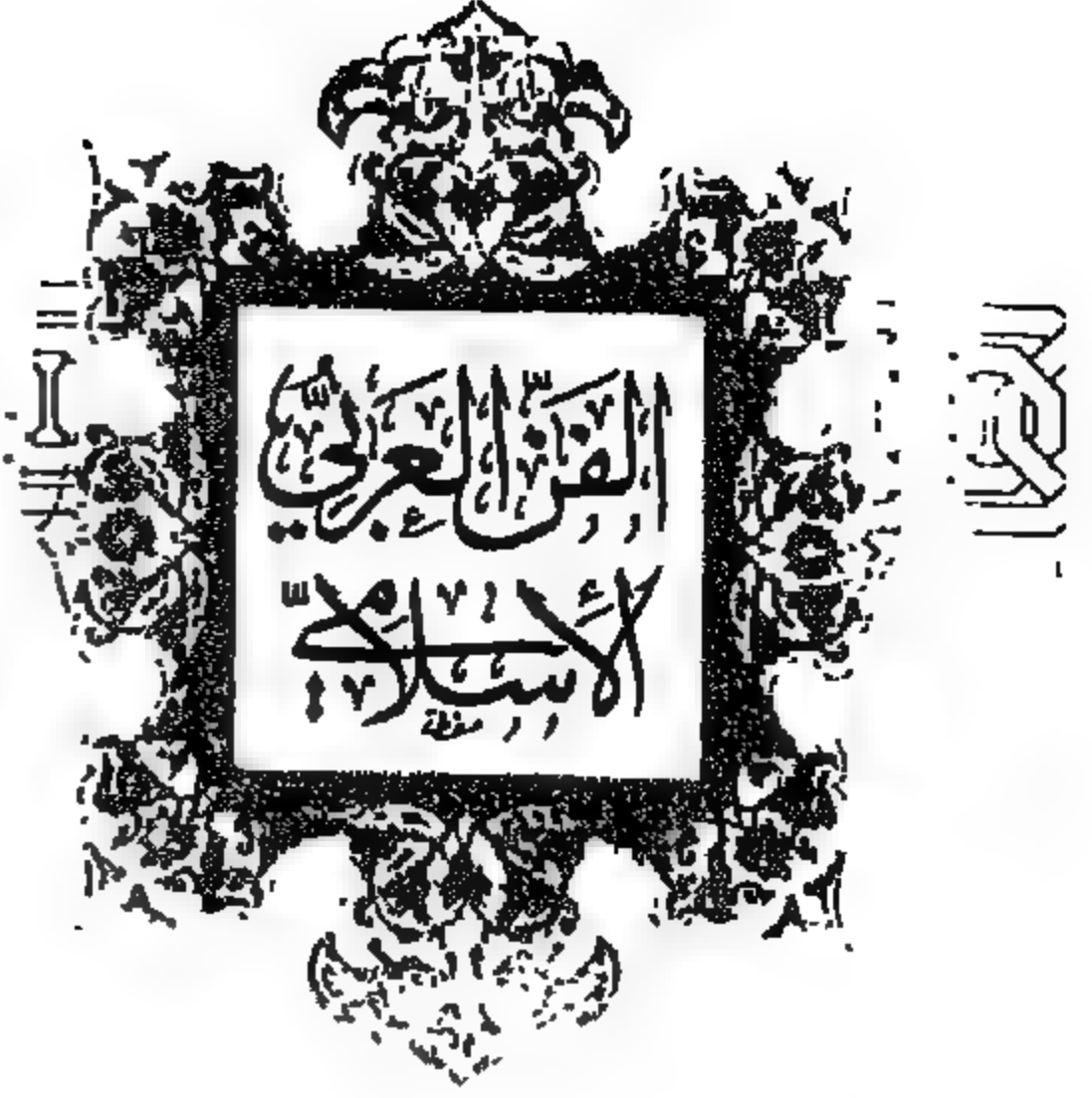
أنور الرفاعي

* * *



طرق الفنانون المسلمون مختلف المواضيع في زخرفة آنياتهم من الفخار والخزف والزجاج والمعدن . . واعدوا لكل آنية الزخرفة التي تناسب استعمالها ، فبعضها اقتصر على الكتابات الدينية ، وبعضها ملئ بالرسوم والصور البشرية والحيوانية .

الفصل الأول

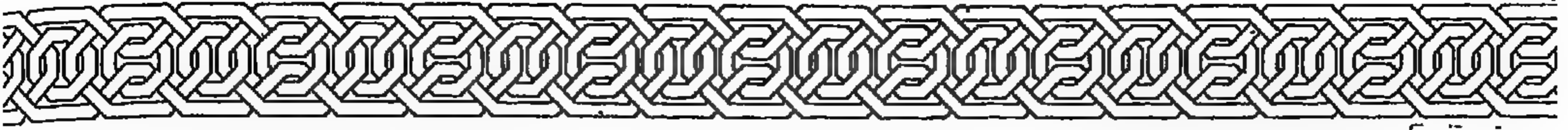


ميزاته - عصوره - مدارسه

الفن الإسلامي : هل للإسلام فن ؟ وليس الإسلام ديناً ؟ والفن فناً ؟ فما علاقة هذا بذاك ؟ ...

ان الدين يلتقى في حقيقة النفس بالفن . فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة ، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال ... وكلاهما ثورة على آلية الحياة . والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام . فليس هو الوعظ والارشاد ، وانما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود ... هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والانسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والانسان . هو الفن الذي يهيء اللقاء الكامل بين « الجمال » و « الحق » ، فالجمال حقيقة في هذا الكون ، والحق هو ذروة الجمال ، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود ^(١) اذن ماذا نعني بالفن الإسلامي ؟ هل هو فن عربي ؟ ام فن اسلامي ؟ الم يكن في الوطن العربي في عصوره القديمة فنون مميزة ؟ ليست فنون ما بين النهرين ووادي النيل وبلاد الشام

(١) من مقدمة كتاب منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب .



واليمن من ارقى انواع الفنون القديمة وأكثرها ديمومة وحيوية ؟ وعدلها الاسلام وادخل عليها تطورات جديدة ؟ اليس من المنطق ان تكون فنوناً عربية اسلامية ، فيها اصالة الفن العربي وذوق وروح الاسلام ؟ ولكن ، هل اكتفى الاسلام في الانتشار فوق ربوع الوطن العربي الكبير ؟ أم رفرف بجناحيه بعيداً ، في شرق وغرب ، وشمال وجنوب ، فدخل في بحوزته فرس وهنود وصينيون وترك وصغد ومغاربة وزنوج ، وقوط وفاندال وغيرهم ؟ او لم ينضو تحت لواء « حكومة الاسلام » مسلمون وغير مسلمين ، عاشوا في ظل دولة واحدة ؟ ألم يكن هؤلاء جميعاً في امصارهم المتباعدة تقاليد فنية وتأثرت بالعرب والمسلمين واستمرت هذه التقاليد خلال العهود الاسلامية المختلفة ؟

الواقع ، ان الفن الاسلامي يعني جميع الجهود التي بذلها العالم الاسلامي خلال عشرة قرون على الاقل في التعبير عن الجمال وصنع الاشياء الفنية . والفن الاسلامي اوسع الفنون العالمية انتشاراً على الاطلاق إذ تمتد آثاره من خليج البنغال في الهند حتى ايبيريا . كما أنه أطول فنون العالم عمراً باستثناء الفن الصيني فقد ولد في القرن السابع الميلادي (الاول الهجري) وبلغ عنفوانه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (٨ - ٧ هجري) ثم هرم منذ القرن الثامن عشر (١٢ هـ) وهو الى جانب هذا وذاك ، اخر فنون العالم ظهوراً قبل ظهور الفنون الغربية الحديثة منذ عصر النهضة الاوربية ، وأخيراً فالفن الاسلامي ذو شخصية قائمة بذاتها ، ذات تاريخ خاص وميزات معينة واضحة . وقد اعطاه الاسلام طابعه الخاص ، اعطاه - كما يقول جورج مارسيه - :

« وجهاً جديداً لا يمكن به التعرف على اصولها . وقد كفى هذا الفن أن يمر عليه مائة عام من الزمان لكي يتوسخ في أعمال لم يعد بالامكان نسبتها



للفنون القديمة التي أغنته . وعبر القرون يتعد أكثر فأكثر عن المؤثرات التي أحاطت بمقدمه إلى العالم . ففي القرن التاسع الميلادي كان يمكن بسهولة اعتبار تاج عمود في مسجد دمشق أو القاهرة بلطف سله وأوراق الاكانتوس التي تغلفه مستوحى من الطراز الكلاسيكي الكورنثي وفي الحادي عشر الميلادي يصبح تحديد هوية الأصل نوعاً ما أكثر صعوبة .

كما يمتاز هذا الفن الاسلامي بتنوعه العظيم ، تنوع أصاب نواحيه وأشكاله وجماعاته وزخرفته وأقاليمه ورجاله . تنوع بلغ من الشدة حداً يصعب فيه كثيراً أن نجد فيه تحفتين متماثلتين . ومع ذلك فانه يمتاز بوحده . فلو أنك عرضت على أي شخص - كما يقول ديماندر - تقتصر معرفته بالفنون على المبادئ العامة والبسيطة ، صوراً متنوعة ، لتحف مصنوعة في العصور الاسلامية ، منها مثلاً صورة لقطعة من العاج الاندلسي واخرى لقطعة من النسيج المصري وثالثة من الزجاج الدمشقي ، فلا شك أنه يشعر بوحدة أساليبها ، ولا يتردد في الحكم بانتمائها جميعاً الى الفن الاسلامي .

ظهور الفن العربي - الاسلامي وتطوره : بدأ الفن الاسلامي ، مع بدء الدعوة ، فقد لفت القرآن الكريم الانظار إلى ناحيتي الجمال والزينة في المخلوقات إلى جانب ما لها من النفع فقال : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . . . والحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . . . » (سورة النحل) وأشار القرآن الكريم إلى الوسيلة التي توصل الانسان المؤمن إلى تهذيب الخلق حتى يصل إلى حب الخير ، وتهذيب الذوق حتى يصل إلى حب الجمال ، فاقسم ببعض المظاهر



الطبيعية لنذكر ما فيها من أسرار الجمال الفني ، من تكوين محكم وتنسيق بديع وألوان رائعة ، وتناسب ، وتقابل ، وتكرار ، وظلال وأضواء - كما يقول د. محمد عبد العزيز رزوق - دون أن يحرم القرآن على أتباعه منع الحياة المشروعة : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . وكلاوا واشربوا ، ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، (سورة الاعراف) .

وبنى النبي عليه السلام مسجد المدينة ، واتخذ المسلمون المساجد في كل بلد انتشر فيه الاسلام . ولئن نشأ فن عمارة المساجد تلبية لحاجة دينية فارتبط المسجد بالدين ، كما ارتبطت المعابد في دنيا العالم بالعقائد الدينية ، فان الفن الاسلامي ما لبث أن ارتبط كثيراً أو قليلاً بالحاكم أو حاشيته المباشرة وبالطبقة الغنية . فالمعمار شيد المساجد والقصور ، من أجل الخليفة أو الأمير ، وكذلك فعل عند بناء المدارس والأضرحة ، ونقش النقاشون الرخام وصور الرسامون المخطوطات المستمدة من النباتات أو الأشكال الهندسية ، وحاك العمال البسط والسجاد ، وصنع الفنانون مختلف الأثاث وأدوات الاستعمال الفنية ، فكانت المنشآت المعمارية وصناعة الرياش والحلي وأدوات الزينة تزدهر تبعاً لحالة السلم الذي تتمتع به البلاد وتبعاً لغزارة الموارد التي تغذي بيت المال يتداولها التجار والحكام وذوي الثروة والجاه وقد امتد الفن الاسلامي حيث انتشر الاسلام ، على شريط عريض يمتد من شرق الارض الى مغربها ، من خليج البنغال وتخوم الصين الى أقصى المغرب وعبر الى اوربا الى الاندلس وجنوب غرب فرنسا ، وتوغل في القارة الافريقية وما وراء النهر وبخارى وتركستان ، فجمع العالم المتمدن في

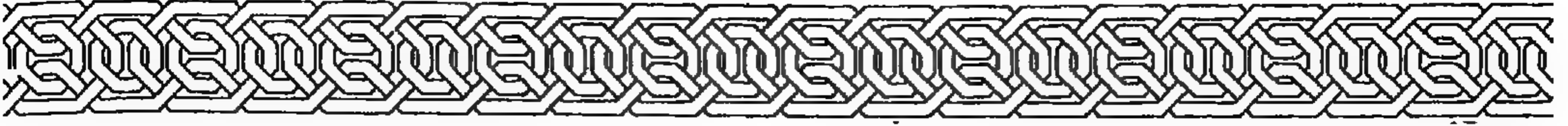


العصور الوسطى ، ومزج بين تقاليد شعوب العالم القديم والوسطى - عدا
اوربا ... ولكي نفهم تطور الفن الاسلامي لا بد أن نربطه بالخطوط
العريضة لتاريخ العرب المسلمين .

ففي زمن بني أمية بدأ ظهور الفن الذي يمكن ان نسميه الفن العربي
الاسلامي . ولم يكن في مطلع أمره بسيطاً ، كما قد يخيل إلينا . لأن
العرب بدأوا باقتباس الفنون التي سبقتهم لانعدام التقاليد الفنية لديهم .
كما هو الحال لدى جميع الأمم . فاقبست الأمويون الفنون البيزنطية التي
وجدوها في سورية والشرق الأدنى وأوجدوا منها طرازاً فنياً خاصاً ، هو
مرحلة انتقال بين الفنون البيزنطية والطراز العباسي . وقد نقل ولاتهم
وقوادهم أساليب ذلك الطراز إلى سائر الأقاليم الاسلامية على يد الصناع
الذين كانوا يستقدمونهم من الشام ومصر ، وقد حدث أن بقي ملك بني أمية
في المغرب بعد زواله في المشرق ، فبقي الطراز الأموي قائماً وتطور ليظهر
منه طراز أموي غربي يشمل أجمل آثار الأندلس .

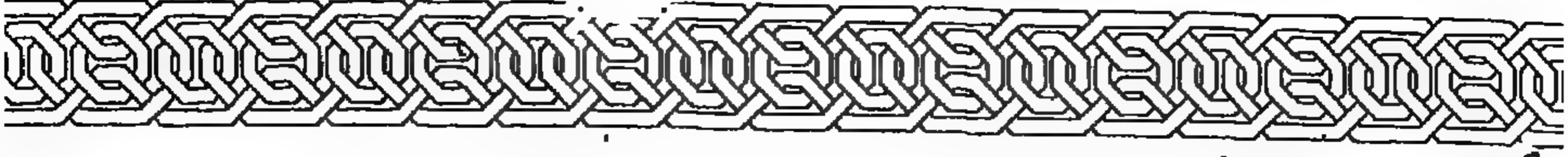
ولما آل الحكم للعباسيين (منذ سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠) وانتقل مركز
الخلافة الى العراق تأثرت جميع نواحي الحياة والدولة بالتقاليد الساسانية
ومن ذلك الفن أيضاً الذي اتخذ اتجاهاً جديداً واضح التأثير بالأساليب الفنية
الفارسية ، فلم يعد فناً عربية اسلامياً بل غلبت عليه صفة الفن الاسلامي
وبلغ هذا الفن أوج عظمتة في سامراء (القرن الثالث هـ) . ونجح
العباسيون كالأمويين في فرض اساليبهم على الامبراطورية الاسلامية كلها
وأصابوا في ذلك توفيقاً لا يعد له إلا توفيق الاسكندر وخلفائه في نشر
الأساليب الهلينية في الشرق الأدنى والوسط .

وما انحطت السلطة المركزية العباسية (أول القرن الثالث هـ) حتى



انحط معها الفن الاسلامي الموحد . ومع نشوء السلطات المحلية المستقلة في الاقاليم الاسلامية ، بدأ نشوء أساليب محلية مستقلة في الفن : وهكذا حاول الطولونيون بعث طراز إسلامي خاص بهم في مصر ، فنقلوا من العراق كثيراً من التحف الفنية التي مهدت لانتاج محلي مقتبس مما وجد في بغداد مع تعديل مازال ينمو ويظهر حتى جاء الفاطميون ، فبعث خلفاؤهم وامراؤهم واغنياء الشعب في مصر روح فن جديد فيه ترف عظيم ، ووصل الفنانون المصريون إلى طراز فني مستقل ، غني بالرواق والجمال ، وفق رجاله في صدق التعبير عن الحالة النفسية ، وفي دقة تصوير الحركة بدرجة لم يبلغها الفنانون في مصر قبلهم ، فكان عصر ثورة ملموسة في الفن ، تتمثل فيما خلفه هذا العصر من تحف خزفية مزينة بزخارف مرسومة بالبريق المعدني او محفورة تحت الطلاء الزجاجي ، او تحف زجاجية ومعدنية جميلة الصنع دقيقة الزخرفة ، وما خلفه هذا العصر أيضاً من أخشاب مزخرفة محفورة زينت القصور والمساجد ، واقمشة من الكتان والحور والصوف موشاة بكتابات تاريخية هامة وزخارف عربية نباتية وهندسية .

فلما كان عصر الايوبيين والمماليك الذي ظهر في مصر والشام ، وازدادت ثروة البلاد ، ومال امراء المماليك إلى حياة الترف ، وملء القصور بالاثاث النفيس واسباب الراحة والنعم ، والتسابق بيناء القصور والمساجد والمدارس والاضرحة ، واقتناء كل ما هو جميل ونادر فتحسنت صناعة التحف النحاسية المكففة بالذهب والفضة ، والمشاكوات من الزجاج المموه بالميना ، وأنواع الخزف والفخار المطلي بالميना أيضاً والاعشاب المطعمة بالعاج والابنوس ، والمثريات وغيرها من الصناعات الفنية التي تشهد بطابع فني عتلى عتلى هذا العصر ، ويدل على ذوق رفيع ، ومهارة بد ظاهرة .



أما في العراق والشرق الايراني فقد قام على انقاض الطراز العباسي طراز جديد هو الطراز السجلاوي الذي لم يتبع له السيطرة في عهد السلاجقة بالقرن الخامس على القسم الشرقي من العالم الاسلامي . ثم قامت في ايران ، من بعده ، وبعد تمزق الامبراطورية السلجوقية الى دويلات ، اساليب قومية ايرانية اولها الطراز المغولي الذي ازدهر منذ وطد المغول حكمهم هناك في القرن السابع الهجري حتى سقط خلفاء تيمور وقامت الدولة الصفوية (في مطلع القرن التاسع فازدهر الطراز الصفوي وسيطر حتى بداية القرن الثاني عشر الهجري . ثم فقد تألق مع سيطرة الفنون الاوروبية.

ويمكن اخيراً ان نضيف ان الفن الاسلامي غزا الهند منذ القرن العاشر الهجري ؛ ولكنه كان متأثراً بالطراز الايراني . كما ان العثمانيين اوجدوا منذ القرنين التاسع والعاشر طرازاً تركياً تأثر بالاسلوب البيزنطي أولاً وبالاساليب العربية كما تأثر في القرون الاخيرة بالطرز الفنية الاوروبية.

عصور الفن الاسلامي :

قلنا ان لازدهار الفن العربي الاسلامي علاقة واضحة بالاستقرار السياسي وبمبول الحكام الشخصية ، وإن بإمكاننا أن ننسب الطرز الفنية إلى الدول الحاكمة ، ولهذا رأينا أن نعتمد لحد كبير على التقسيمات السياسية في التاريخ الاسلامي ، في تحديد عصور الحياة الفنية . على أن نتذكر أنه إذا كان من الممكن معرفة التاريخ الذي بدأ فيه حكم الأميرة الحاكمة أو زوالها فانتا لا نستطيع أن نعرف بالدقة أو بالتحديد نفسه تاريخ قيام أي طراز فني أو زواله . لأن الطرز تتطور تدريجياً ويمكن تقسيم الحياة الفنية في الاسلام إلى العصور التالية:



١- عصر العالم الاسلامي الموحد : ويمتد من أواسط القرن السابع الميلادي حتى نهاية القرن التاسع الميلادي ، أي فترة الفتح وانتشار الاسلام في العالم القديم . ومن العاصمتين دمشق ثم بغداد وأخيراً سامراء تألق الفن العربي الاسلامي الوليد ، ولم يكن هذا الفن جديداً جدة واضحة لأنه لم يكن قد تكشف بعد عن شخصيته المستقلة ، حتى لقد يعده بعض الكتاب ازدهاراً متأخراً لعبقرية شعوب الشرق العربي القديمة وأطراف الجزيرة وشعوب البلاد التي ضمت إلى الدولة العربية .

في هذا العصر ، استطاع الاسلام وهو خلو من أي تقليد فني ، أن يتوضع في بقعة من أقدم البقاع المتحضرة ويستفيد في وقت واحد من عالم البحر المتوسط والعالم الآسيوي ، فمنحه عالم البحر الأبيض المتوسط الفن الهلنستي ، والعالم الآسيوي الفن الإيراني ، فتأثر بهذين الطرازين اللذين تعاقبا أو تزاخما أو اشتراكا في طابعها على آثار العصر الأموي والعصر العباسي الأول . ولكن التأثير الإيراني لا يظهر إلا حين ينتقل مركز الحكم إلى العراق ويحل خلفاء بني العباس في بغداد وسامراء محل ملوك الساسانيين في المدائن ، إذا ذاك يظهر استعمال الآجر في تركيب الجدران والكوى ، ويظهر استعمال الجص وغيره في نقشها وزخرفتها ويظهر « الايوان » هذا في نفس الوقت الذي تحتفظ فيه سامراء مثلاً بزخارف هيلينية !

ومعظم الذين قاموا بهذه الأعمال الفنية الأولى في الاسلام كانوا بالطبع من سكان البلاد الأصليين : من السوريين والعراقيين والقبط والبربر ، وهم من العرب وغير العرب وقد وضعوا الأسس الأولى للفن العربي - الاسلامي وحددوا أهم ميزاته الباقية .

٢- عصر الخلافت الثلاث : ويمتد بين القرن العاشر حتى أواسط القرن الثاني عشر الميلادي : وفي هذه الفترة التي امتدت كالسابقة ، قرنين ونصف



تفككت الامبراطورية العباسية

القرن تفككت الامبراطورية العربية بوضوح وظهر فيها ثلاثة مراكز كبرى : الخلافة العباسية في بغداد والشرق والخلافة الفاطمية في الوسط، وتحكم من القاهرة ما بين ليبيا إلى الشام . والخلافة الأموية في الغرب (الأندلس) . وقد خرج الفن الاسلامي برعاية هذه الخلافات الثلاث من عصر التقليد والتقليد وبدأ يتميز بشخصية متشابهة الملامح في مراكزه المختلفة ؛ بغداد والقاهرة وقرطبة ، في الوقت الذي كانت فيه التأثيرات المحلية تظهر أيضاً وتفرض نفسها وتميز بين الأساليب في الشرق والغرب . وهكذا استطاعت وحدة العقيدة ، والحاجات الدينية ، والأسس الفكرية ، والمصالح الاقتصادية الواسعة ، وحرية الانتقال والتبادل التي وجدت في العالم الاسلامي أن تؤثر بدورها على الحياة الفنية وتحفظ لها الطابع الاسلامي الخاص ، سواء كان الاثر العربي هو الغالب ، أم الاثر الأعجمي الاسلامي .. ولكنها سمحت مع ذلك للمراكز المختلفة من الشرق والوسط والغرب أن تحتفظ بإبداعها الخاص . ومقارنة سريعة بين المسجد الأكبر السلجوقي في أصفهان ، ومسجد الحاكم الفاطمي في القاهرة ومسجد قرطبة في الأندلس ، ترينا بوضوح الطابع المحلي الخاصة . وهكذا ظهر الفن السلجوقي في الشرق ، والفن الفاطمي في مصر والشام ، والفن الأندلسي - المغربي في أقصى المغرب .

وفي هذه الفترة ظهرت بعض العناصر الزخرفية في الفن الاسلامي كالمقرنصات ، والنقش البارز بالعناصر النباتية المحورة وغيرها . ومن المدهش أنها انتشرت بسرعة وظهرت في أوقات متقاربة في مراكز جد متباعدة من العالم الاسلامي ، بل إننا لنرى فوق هذا أن فترات المسلمين في هذه الفترة قد تجاوزت المملكة الاسلامية إلى الغرب على أيدي الصليبيين ونجد آثارها في ما بقي من فنون العصور الوسطى الغربية، كما أن الأماكن



التي جلا عنها الاسلام إذ ذاك ظلت في عهد حكامها الجدد تشع بالفن الاسلامي ، كصقلية مثلاً في عهد النورماندين .

٣ - عصر ما بعد الخلافات : ويمتد ثلاثة قرون أيضاً (منذ نهاية القرن

الثاني عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر م) انهارت منذ مطلعها الخلافات الثلاث وحل محلها حكومات الأتابكة والمماليك المغتصبين الذي تعرض العالم الاسلامي في عهدهم إلى أخطار خارجية هائلة : ففي الشرق غزوات المغول (جنكيز خان) ثم التتر (تيمور) عدا الخطر الصليبي الفرنجي ، وفي الغرب كان الحكم العربي ينحسر عن الاندلس قطعة قطعة . ومع هذا فإن تقسيم العالم الاسلامي إلى دول صغرى وتعدد مراكز الحكم فيه شجع الفنون على نطاق ضيق . والاضطراب الخارجية زادت في الخامس الديني وخلقت فيه التصوف ، وانعكس ذلك بشكل مساجد ومدارس وأربطة وأوقاف كثيرة ملأت البلاد الاسلامية ، ولكن مجال الابداع في ذلك كله كان محدوداً . بمعنى أن العصر الذهبي قد انتهى وانطوى العالم الاسلامي على نفسه يتغذى من ذاته فلم يتصل بفنون الغرب التي كانت بدأت عصر النهضة إذ ذاك ، ودفع ذلك انحطاطاً وجموداً متصلاً في كل تقاليده الفنية .

في هذه الفترة ازدادت المدارس الفنية الاسلامية تميزاً رغم تشابهها ، وبدأ كل قطر يخلق أشكاله الفنية الخاصة ، ومعظمها من الأبنية ، واضعاً في مخططها وألوانها وهندستها وزخرفتها شخصيته المحلية المستقلة ، فبنى الفرس الجوامع ذات الباحات الواسعة والأواوين المزينة بالمقرنصات ، والمآذن المتعددة . والقباب البصلية الشكل المزينة الظاهر . وأما في الشام ومصر فكانت أحجام الأبنية أقل ضخامة ، والألوان أقل وضوحاً والقباب أكثر

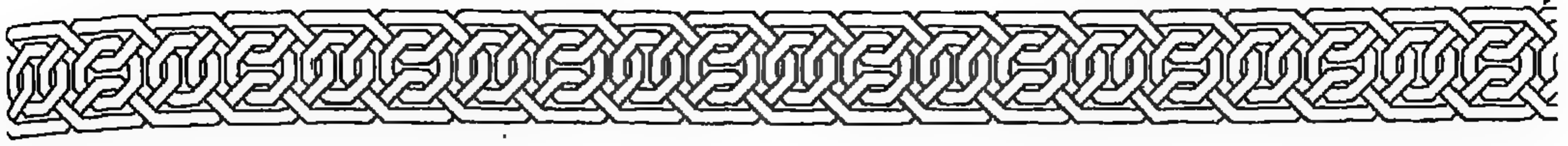


استدارة والمآذن ذات شرفات . وأما في الاندلس والمغرب فكانت مخططات الأبنية بسيطة والأبراج مربعة والسقوف محدبة والزخرفة واضحة تغشى كل شيء .

على أنا مع هذا نجد كثيراً من الملامح المتشابهة في فنون البلاد المختلفة بسبب هجرة الفنانين وتنقل الناس ونقل فكرة المؤسسات المختلفة من قطر إلى قطر : كالمدارس مثلاً التي انتشر بناؤها من بغداد وسمرقند إلى غرناطة وفاس على نمط واحد من الهندسة .

٤ - الفن المغربي - الاندلسي : ولعل من المفيد ان نفرّد لهاتين المنطقتين الاسلاميتين فقرة تشرح اساليبها الفنية المتشابهة والتي يتم بعضها بعضاً ... واذا كان الفن الاسلامي بمجموعه يتميز بأنه فن يجمع بين الفن العربي الاصيل وبين فن كل قطر انتشر فيه الاسلام اوضحه الحكم العربي ، فان هذه الميزة ايضاً تظهر في المغرب والاندلس بتمازج الفنين الشرقي والبربري .

والبربر قبل الاسلام اتبعوا اساليب معمارية تتلاءم مع طبيعة بلادهم الجبلية ، فاتخذوا « التخرمت » اي الدار المحصنة وتتألف من بناء مربع تقوم في أركانه الأربعة أبراج ولسورها مدخل واحد . كما اتخذوا « الايغرم » أي المخازن المحصنة وهي عبارة عن أجنحة منفصلة تنفتح على ساحة داخلية ، وتقع في أعالي الجبال ، في نقط استراتيجية ، تتخذ مستودعاً للخزن وقلعة يلجأ إليها سكان المناطق المجاورة عند الخطر . واتخذوا أيضاً « الاجدير » وهي دار مربعة لها باب خارجية واحدة تؤدي إلى ساحة مركزية فيها عدة طبقات من الغرف ، وصاروا بعد الاسلام يضيفون إليها مسجداً ، وتتخذ لحفظ المؤن كما تحوى صهاريج خاصة لحفظ المياه ..



والأبواب البربرية تصنع عادة من أخشاب مسمرة في إطار فوق عوارض عمودية ، تنقش عليها رسوم بدائية وتتوسطها مطرقة من حديد على أنماط شتى .

وأول من أدخل الفن الاسلامي إلى أفريقيا هم الأغالبة ، ووضعوا اسس الفن الجديد في القيروان حين جددوا مسجد عقبة بن نافع على نمط مساجد دمشق والقاهرة ثم بدأ الاقتباس في مدينة فاس ... ولما جاء المرابطون والموحدون ، ومن بعدهم بنو مرين وبنو زيان (في تلمسان) والحفصيون (في تونس) زادوا في اغناء الفن المغربي الاندلسي ، وتميزه بالنقش على الخشب والجبس والادهان البديعة والشاشيات الملونة والنحاس المموه والمرمر المفصص وتوصيع المنارات بالزليج^(١)

هـ - العصر العثماني الإيراني : ويبدأ منذ القرن السادس عشر ونستطيع أن نسجل انتهاءه مع نهاية القرن الثامن عشر وقد عاد إلى العالم الاسلامي الشرقي والأوسط خلال هذه القرون نوع من الوحدة بظهور الامبراطورية العثمانية على البحر الأبيض المتوسط وشاهات الصفويين في إيران .

وقد نشر العثمانيون في البلاد التي حكموها نوعاً خاصاً من الأبنية الدينية ذات قباب كبيرة مفلطحة ومآذن رشيقة نرى أجمل آثارها في عاصمتهم (اسلام بول) ونرى منها في البلقان والشام أيضاً .

(١) الزليج نوع من الترصيع الخزفي ، أصله من الاندلس ، يشبه الفسيفساء ويعرف بالمفضض . والترصيع هو التكفيت وتعرف في بعض البلدان باسم التلبيس والترسيب والتنزيل وأطلق عليها في مشرق العالم الاسلامي في العصر العباسي : التطبيق . وقد دخل الترصيع بلاد المغرب عن طريق سورية ، ولا يزال يسمى هذا الفن في اسبانيا واوروبا باسم الفن الدمشقي (داماسكينو) ولا يزال يقلد في صنع الاواني والحلي .



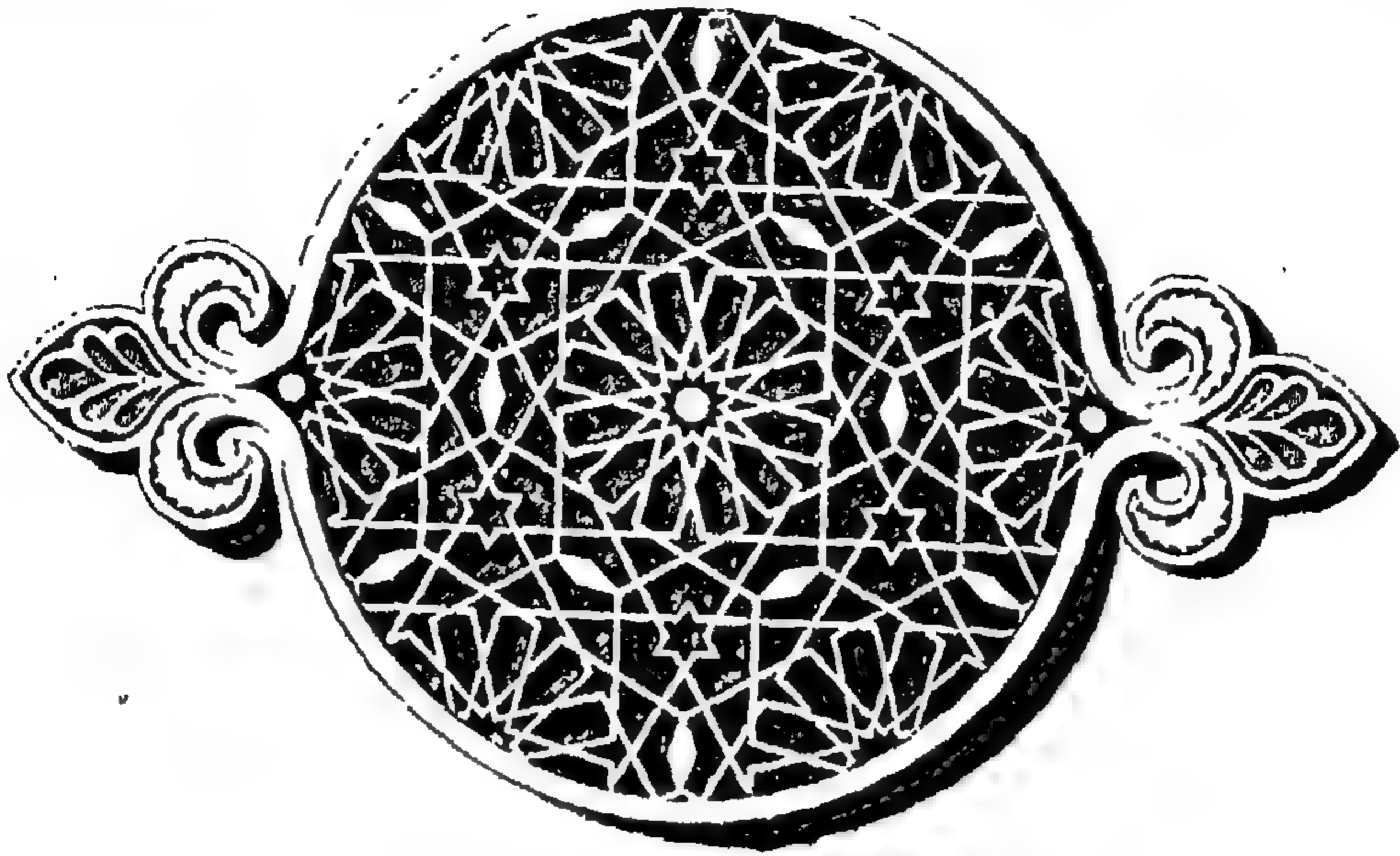
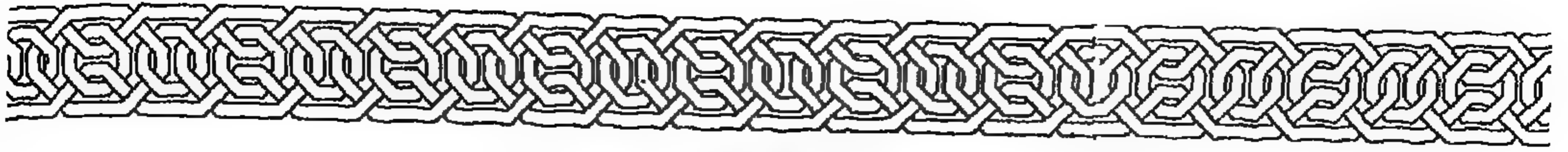
أما إيران فقد حافظت على كثير من تقاليدها الفنية : وترينا أصفهان في عهد الشاه عباس الكبير في مخططها العام وابنيها الدينية نموذجاً فريداً من مدن الاسلام . وقد استطاع الطراز الايراني أن يغزو الهند ويخرج فيها التحفة الفنية المشهورة : تاج محل في آكرا . ويضاف إلى هذا أن إيران عرفت رسم الكائنات الحية وسجلت فيها وفي الزخرفة تقدماً هو الوحيد من نوعه في الاسلام .

مميزات الفن العربي الاسلامي

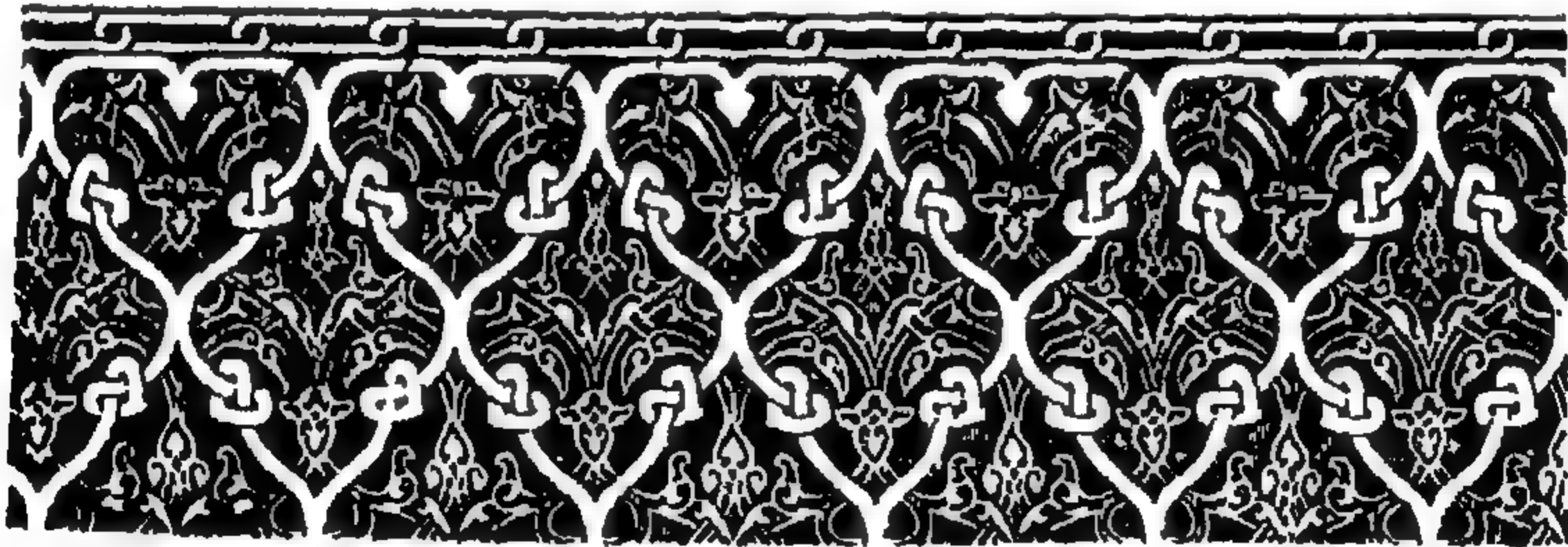
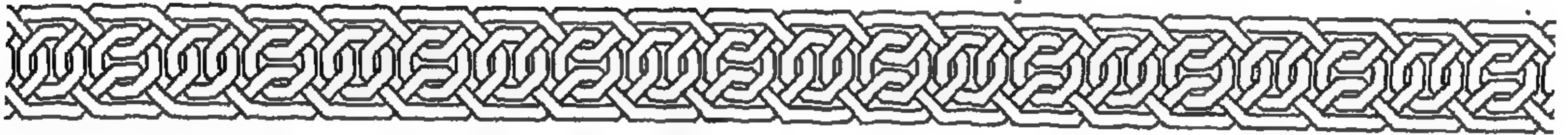
تختلف مميزات الفن العربي الاسلامي باختلاف نوع الفن والعصر والمكان . ومع ذلك فيمكن أن نرى فيها صفات مشتركة عامة :

١ - إنه ذو شخصية واحدة رغم تعدد مراكزه وتباعد أقطاره وظهور التأثيرات المحلية فيه . وقد حاول الباحثون تعليل هذه الوحدة في الفن العربي الاسلامي بأنها ترجع أولاً لتأثير العامل الجغرافي المتشابهة في مختلف الاقطار الاسلامية منذ إيران إلى مراكش ، فهناك دوماً مناطق جبلية من حولها سهول وصحارى ، ومناخها جميعاً معتدل وأكثر ميلاً للجفاف ، كما أن نوع الحياة الحضرية والزراعية واحد . وترجع الوحدة ثانياً لتأثير العامل التاريخي فمجموع العناصر التي كانت تشكل القاعدة البشرية في الشام ومصر والعراق هي من بقايا العرب القدماء وكانت على صلة بشعوب آسيا وأفريقيا التي انطوت تحت لواء الدولة الجديدة التي جاءها الاسلام ، فوحد الناس فيها في لغة واحدة ودين واحد وحكم متشابه الأسس . ومن هذا وذلك مشتت الأساليب الفنية متشابهة في كل مكان .

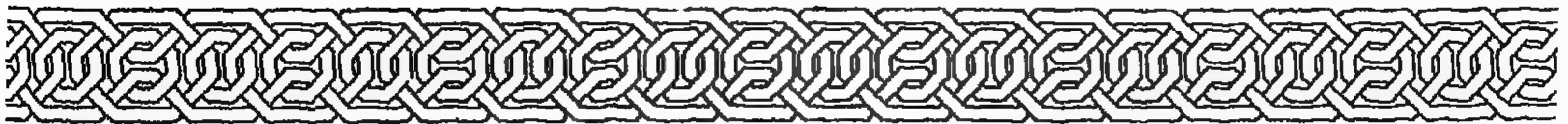
٢ - إنه فن ديني بمعنى أنه متأثر بروح الاسلام وانصبت أنواعه المختلفة على المواضيع الدينية في الدرجة الأولى : من بناء للمساجد والمدارس



زخرفة موجودة في واجهة مسجد شمس الدين منقر في القاهرة
صنعت عام ٧١٥ هـ . وتعد نموذجا من الزخرفة الاسلامية
في مصر في اوائل القرن الثاني الهجري

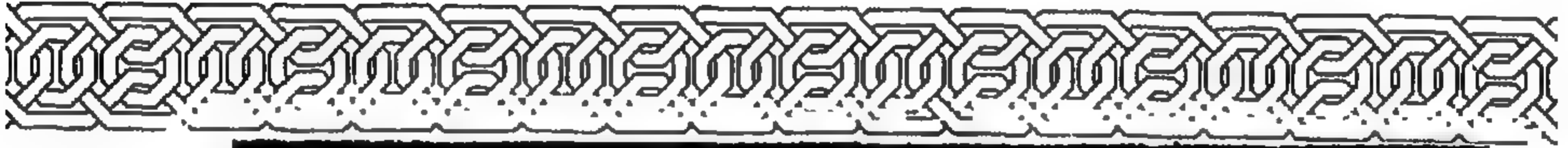


زخرفة موجودة الان في المسجد الذي بناه خاير بك احد امراء
المماليك في عهد السلطان الغوري اول حاكم من المماليك عينه
العثمانيون بعد فتح مصر، والمسجد في القاهرة، بني عام ٩٠٨ هـ
وفي الزخرفة اسلوب التوشيح العربي . ويعني التوشيح تكرار
عنصرين زخرفيين او اكثر متشابهين تشابكا هندسيا ، متماثلا
او منتظما ، تتباين فيهما الحركة تبانيا توفيعيا (انظر دائرة
المعارف الاسلامية . مقال آرابسك)

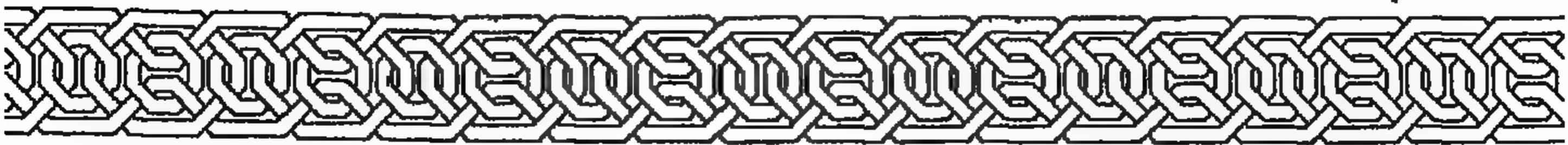




نموذج لزخارف اسلامية نباتية موجودة في مسجد الامير سيف الدين
صفرتمش الملوكي في القاهرة صنعت عام ٧٥٧ هـ



جزء من كتابه كوفية مزخرفة معقودة على هيئة قنديل . من الطراز
الايوبي . موجودة على ضريح في القاهرة اقيم في القرن السابع الهجري
وينص هذا الجزء على كلمة : خالدين .



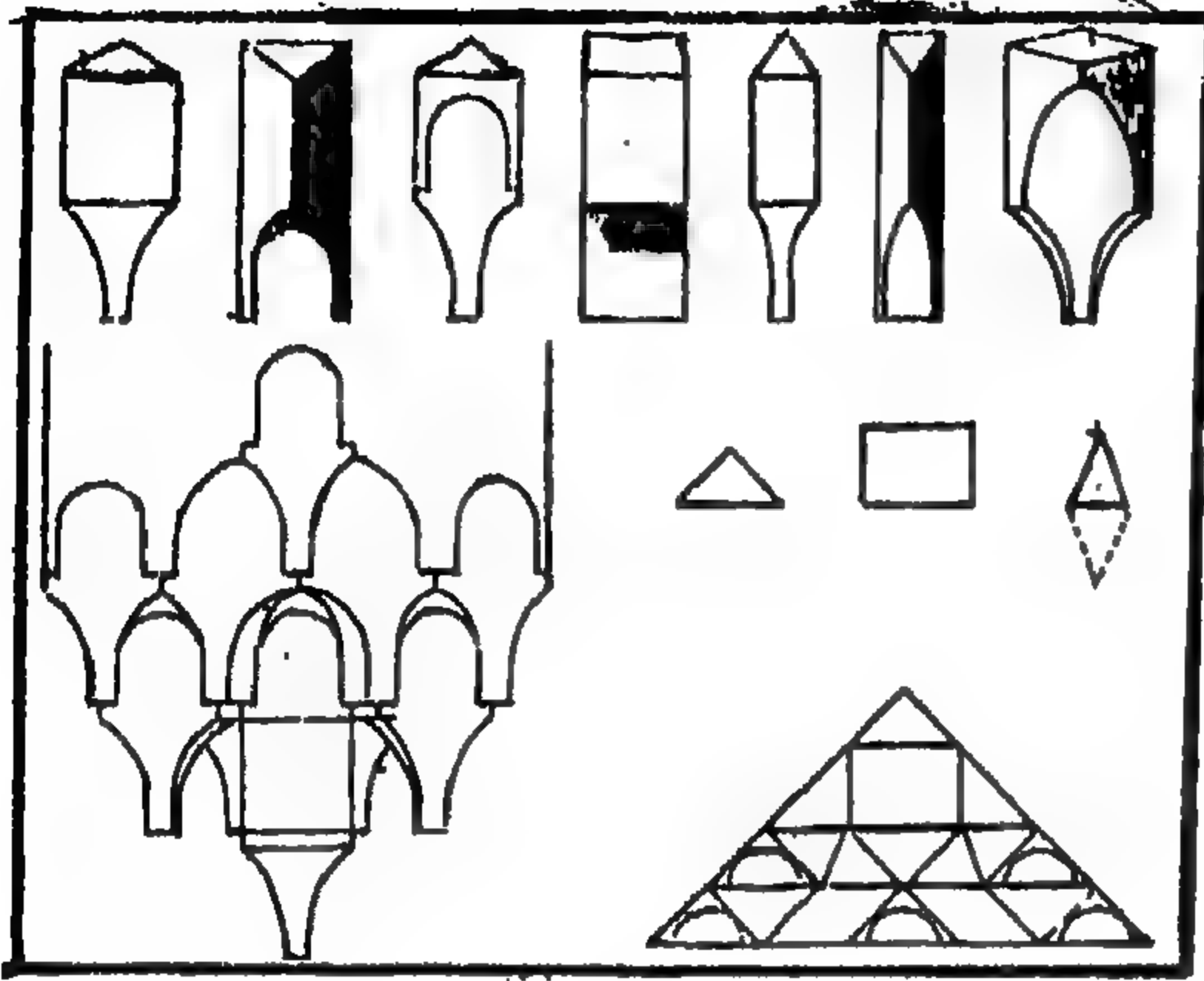


والتكايًا ومن زخرفة بالآيات القرآنية ، وكثيراً ما كان الباعث على الأعمال الفنية باعاً دينياً . ويكفي أن نستعرض الآثار الإسلامية من الكؤوس والمصاييع والأباريق في المتاحف إلى الأبنية الضخمة لئلا نرى الدور الكبير الذي قام به الدين في الانتاج الفني .

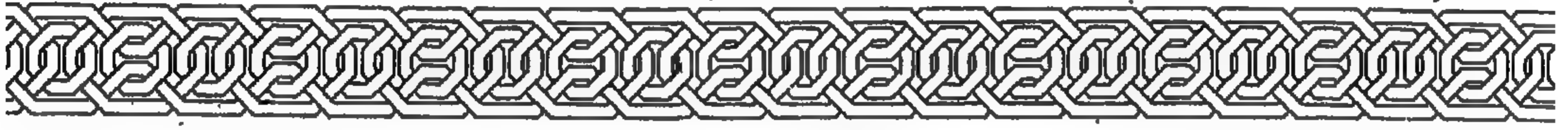
٣ - إنه فن كثير الزخرفة : وملء القطعة الفنية بالزخارف عنصر رئيسي في الفن الإسلامي . نجد ذلك على الجدران والمنابر والسقوف كما نجده في المنسوجات والبسط والزجاجيات ، وفي التوابيت والشواهد وجلود الكتب . وقد اعتمد العرب على عنصرين اثنين في الزخرفة : الأشكال الهندسية التي برعوا فيها براعة مدهشة اقتبسها عنهم الغربيون من مضاعفات مختلفة وأشكال نجمية متداخلة ودوائر مزجت خطوطها بالكتابة .. الخ . والأشكال النباتية التي تفتنوا في تصويرها ولكن على طريقة التكرار كما في القاشاني والسجائر . ولم ترسم الأزهار مع ذلك بشكلها الطبيعي إلا في فارس وسورية . أما في غيرها ، ولا سيما في العصر الفاطمي فقد كان النبات والحيوان معه يحوّر إلى شكل زخرفي خالص . واستخدم العرب الخط العربي ، بأنواعه المختلفة في التزيين ، وتفننوا في اختيار الآيات والحكم والاشعار للزخرفة بها ، ومن العبارات التي اشتهرت بها الزخرفة الاندلسية : « ولا غالب إلا الله » .

وبلغ الشغف بالتزيين في البلاد العربية والإسلامية أن غشيت أعالي المداخل والابواب والارواوين في الابنية بأشكال هندسية صغيرة متدلية عرفت بالمقرنصات .

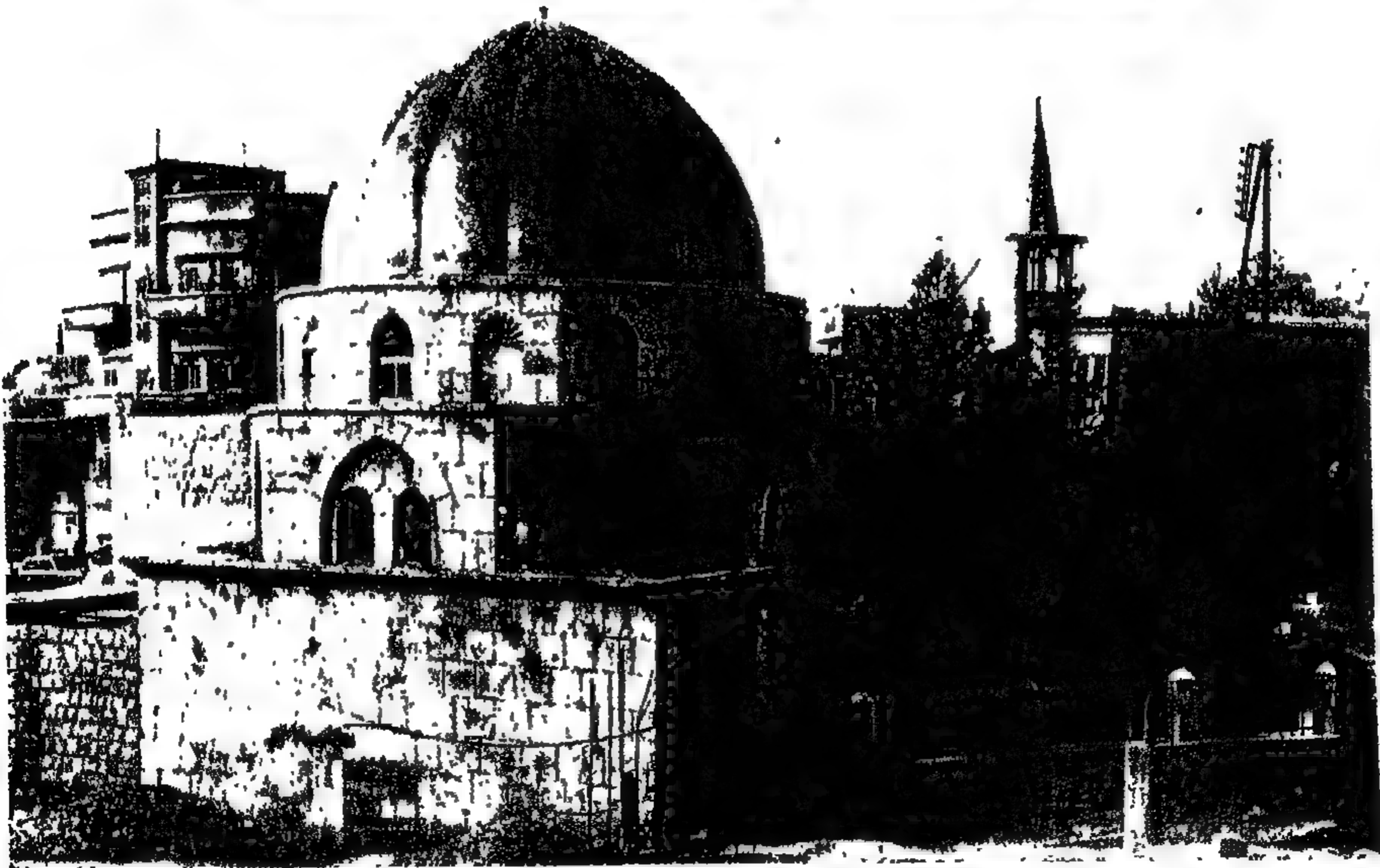
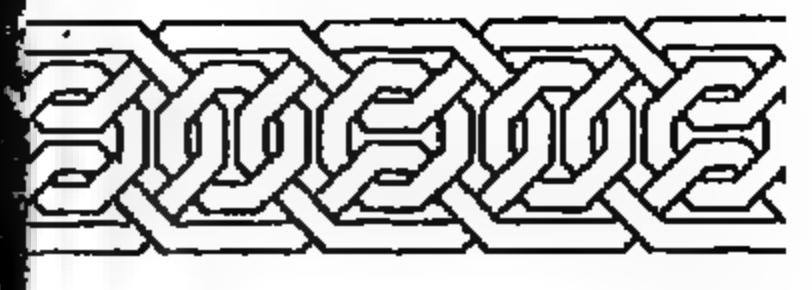
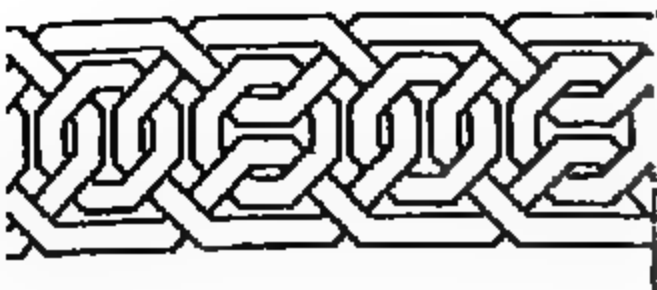
٤ - إن الفن الإسلامي أهمل رسم الأشكال الانسانية والحيوانية وخاصة في أماكن العبادة . وليس معنى ذلك أن المسلمين لم يعرفوها



شكل - ٧ -
يرى الفنون المعماريون ان القواعد الاسلامية تتألف من سبعة عناصر
تساعد في اطلاق الشكل ومن اشكال تساعد في التوسط ومن
تنسيقها مع بعضها يحصل المعماري الفنان على القواعد
البديعة الصنع التي تالفت بها العمارة الاسلامية

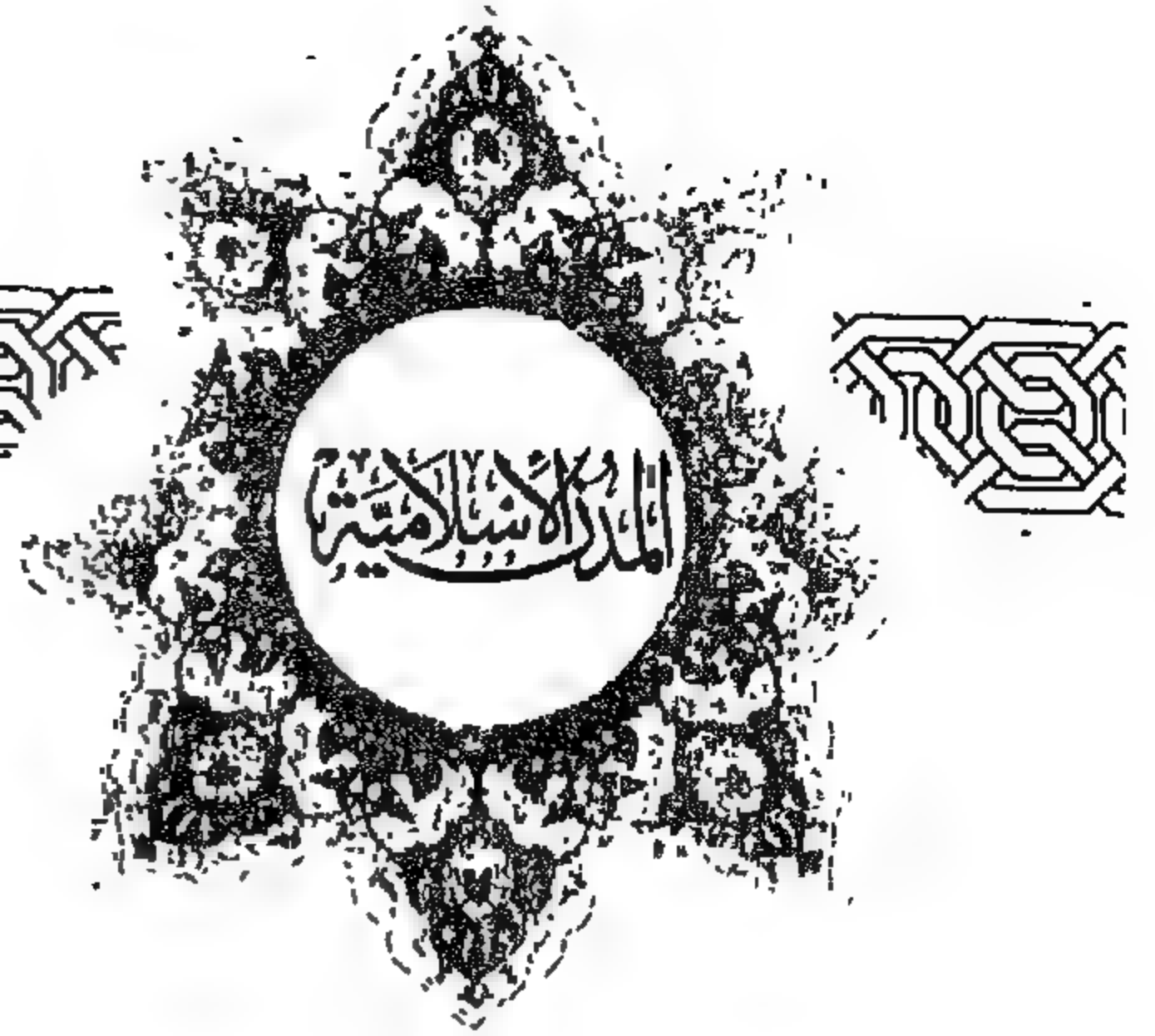
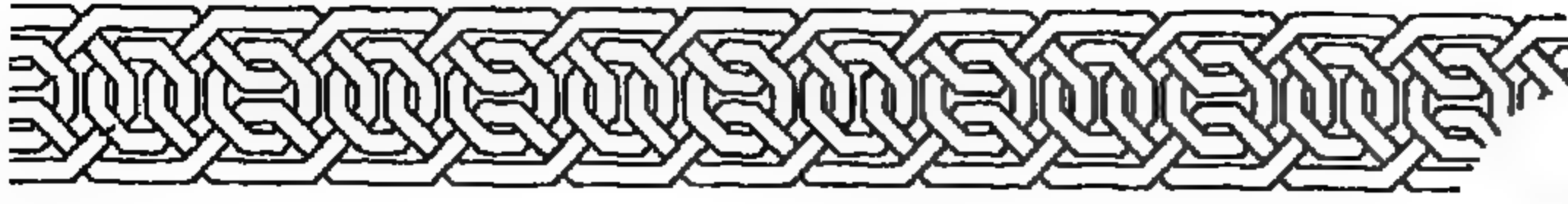


إطلاقاً فقد أثبتت رسوم « قصر الحير » وتماثيله (وهي في متحف دمشق)
وأشعار بعض الشعراء أن رسم الانسان والحيوان كان معروفاً ، ولكن
أتقياء المسلمين كرهوا ما حارب به الرسول وكرهه أيام حارب الأصنام
والشرك ، فبقي هذا العنصر الفني ضعيفاً مهملاً . واحتال بعض الفنانين
على الأشكال الحيوانية فنوّرها حتى صارت أشبه بالزخرفة كما في صحن
وجد في سامراء وعليه رسم نسر يظهر وكأنه ورقة مستننة مغطاة بالزخارف
حتى ما يكاد يبين . وأهم مظاهر الفن العربي الاسلامي يتمثل في المدن
والعمران والفنون الجميلة .



نماذج من المقرنصات الإسلامية تعود إلى العهد الأيوبي
ولا تزال موجودة عند مدخل المدرسة الأناطولية ومدرسة الصامية وغيرها بمشوة

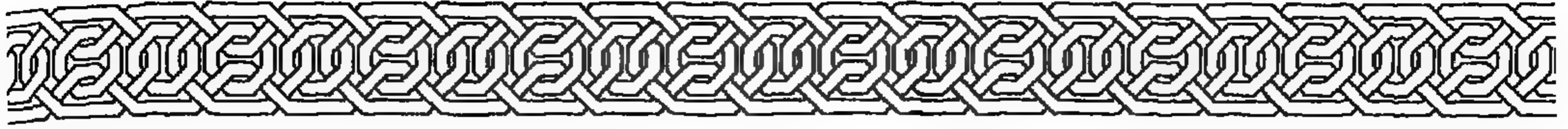
الفصل الثاني



بناء المدن في الاسلام :

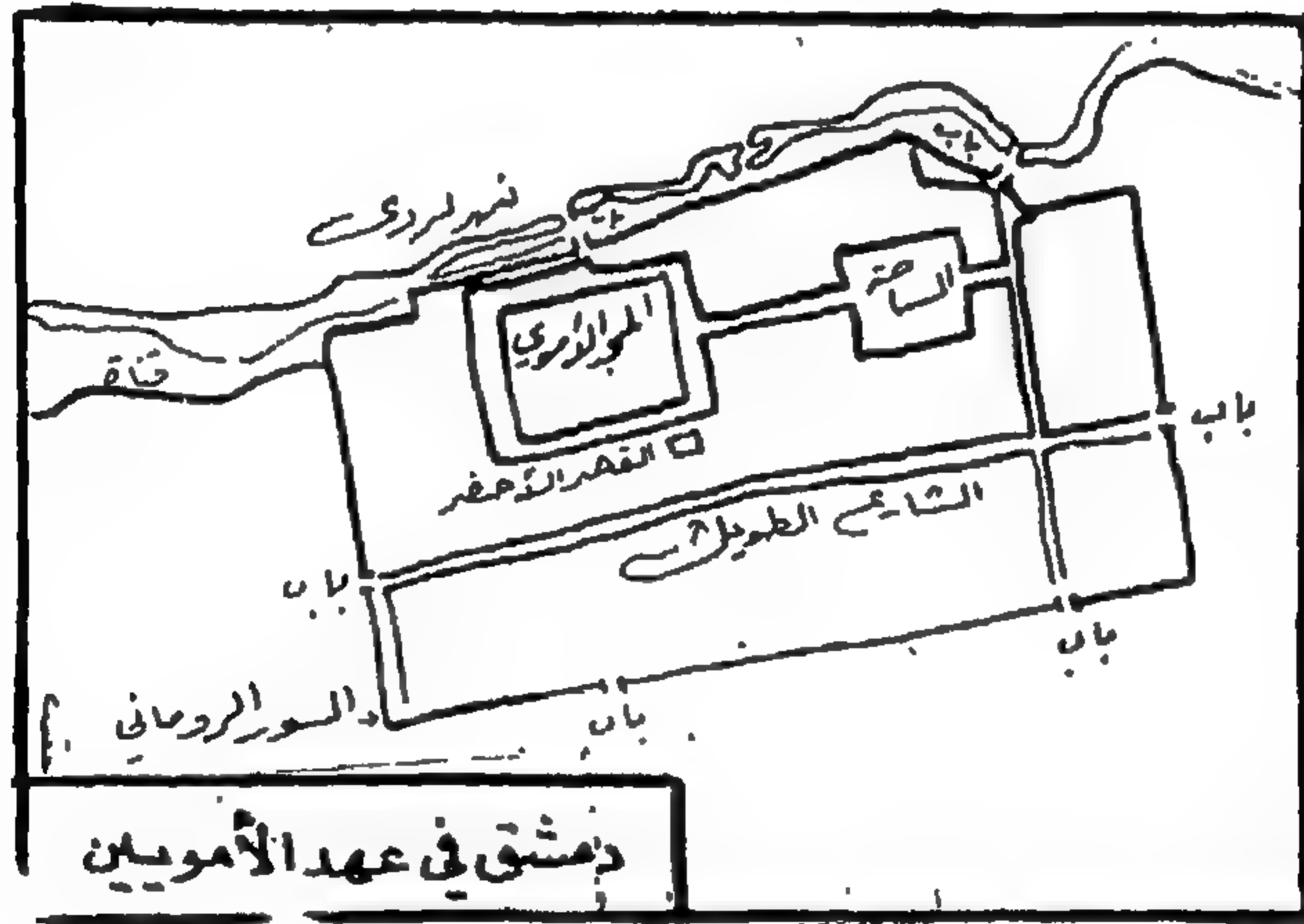
بدىء بناء المدن في الاسلام في زمن مبكر جداً اذ ما كاد العرب يفتحون العراق ومصر حتى تونس في زمن عمر بن الخطاب حتى كانوا وضعوا اسس أربع مدن . وهذا ما لم ينتبه إليه المؤرخ (ابن خلدون) حين كتب ان العرب ما دخلوا بلاداً الا أمرع إليها الحراب ! واستغل بعض الشعوبيين ذلك التشجيع ، وقد استمر بناء المدن قائماً حتى العهود الاسلامية المتأخرة . وقد اختلفت الغاية والطريقة في بناء المدن الاسلامية الكبرى بعض الاختلاف عنها في المدن الاخرى . فبعض المدن القديمة كان ينشأ محطة للقوافل التجارية ثم ينمو بالتدريج وبعضها قرى تجارية أو مرفأً بحري ذو موقع هام ، كروما ومدن سوريا الساحلية ، وبعضها ثما في واحة كدمشق ، أو على نهر أو منبع غزير كمدن مصر . أما المدن الاسلامية فكان الدافع الأول لبنائها هو الغاية الحربية في الدرجة الأولى لاقامة الجند ولانزال الجاليات العربية الفاتحة ، كمدن الهلنيين في الشرق الأدنى بعد فتح الاسكندر . ولما استقر الحكم الاسلامي أصبح ينظر في بناء المدن إلى صلاحها لتكون حاضرة أو مركز تجارة .

وقد احتفظ العرب ، حتى فيما بعد نزولهم في المدن وعيشهم الحياة المدنية بالتنظيم القبلي وظلوا ينتسبون إلى القبيلة لا المدينة . ولهذا كانت



المدن تقسم منذ تأسيسها الى احياء خاصة تدعى الخطط أو « القطاعات »
 ينزل في كل خطة أو « قطيعة » قبيلة من القبائل • ولكن حي منازل ومسجده
 وسوقه حتى ومقبرته الخاصة • وكان لهذه السياسة اسوأ الأثر عليهم من
 الناحية السياسية اذ ابقت الخلافات القبلية وزادت أحياناً في احتدامها •

وكان يتوسط المدينة في غالب قصر الحاكم والمسجد والجامع ودور
 القواد والحكومة وتحاط المدينة بأسوار منيعة للدفاع كما كان للاحياء
 غالباً أبواب ضخمة يمكن اغلاقها عند الخطر •



شكل - ١٠ -
 اتسعت مدينة دمشق بعد أن أصبحت عاصمة الدولة الاموية
 وكثرت القصور وأصبح المسجد الاموي آية في الفن والسعة
 واتخذ الناس الدور خارج سورها وشق فيها نهر يزيد

وقد انشأ المسلمون عدداً كبيراً من المدن بقي معظمها قائماً الى اليوم
 كالبيصرة وبغداد وسامراء ومرو والقاهرة والقيروان وفاس • كما وسعوا
 وزادوا من مساحة وأبنية عدد آخر من المدن أهمها : اصفهان والموصل
 وخراب ودمشق والقدس والاسكندرية وقرطبة وغرناطة •



مدن العراق :

كانت « المدائن » عاصمة الساسانيين وأهم مدن العراق قبل الاسلام كما كانت الحيرة أهم مراكز العرب في العراق . فلما كان العهد العربي حظي العراق باهم الامصار التي انشأها المسلمون سواء في صدر الاسلام أو في العهد العباسي اذ قام فيه في الأيام الأولى للفتح ، البصرة والكوفة ثم انشئت واسط ثم كانت بغداد فسامراء .

١- البصرة : هي أول مدينة بنيت في الاسلام وكانت من قبل قرية صغيرة فأمر عمر بن الخطاب قواده إثر معركة القادسية بتخطيط بعض المعسكرات على اطراف العراق بما يلي البادية العربية لينزلها الجند العربي وعياله . فاخطت عتبة بن غزوان في ربيع سنة ١٦ هـ . مدينة البصرة وبنى المسجد ودار الامارة بجانبه ثم أمر ببناء خطط المدينة لكل قبة خطة خاصة ، أي حي فيه مسجده واسواقه ومقبرته . ثم أخذ الناس يشيدون الأبنية من اللبن والآجر حتى اتسعت المدينة وجرت إليها الترع والمياه من شط العرب . ولم يمض نصف قرن على تأسيسها حتى غدا أهلها من العرب مائتي الف ومن الأعاجم حوالي مائة الف وحتى اضحت مصرأ من أهم الأمصار الاسلامية : فمن الناحية التجارية اضحت حاضرة العالم الاسلامي وورثت الالة كمرفأ بحري يصل الصين والهند عن طريق الخليج العربي بالعراقين والشام والجزيرة وما وراءها . ومن الناحية السياسية كانت أحد مصري الاسلام في الشرق ، وكان سكانها من العرب يحسب حسابهم في كل أمر بجانب أهل الكوفة . ومن الناحية العلمية ظهرت فيها حياة أدبية راقية كان ميدانها سوق المربد المشهورة ، وقد درس علماء البصرة الدين واللغة واشتهر فيهم كثير من النحاة كانت لهم مدرسة خاصة في النحو تنافس مدرسة الكوفة .

وقد بدأ انحطاط البصرة منذ أواسط القرن الثالث الهجري واهم
النكبات التي أصابتها إذ ذاك تخريبها على يد الزنج في ثورتهم المعروفة .

(٢) الكوفة : بديء بتأسيسها في الشهر الأول من سنة ٨١٧ هـ (كانون الثاني
سنة ٦٣٨ م) وذلك أن الجيش الفاتح لم يطب له المقام في المدائن عاصمة
بلاد الفرس وظهر على جنده السقم لاعتيادهم جو الصحراء فأمر عمر بن الخطاب
قائده سعد بن أبي وقاص أن يرسل رائدين يرقدان نزلاً للجند فوق اختيارهما
على مكان غربي الفرات انتقل المحاربون وعيالهم إليه وعسكروا فيه ثم بنوا
بيوتاً من القصب مالبثت أن التهمت النيران فأمر الخليفة باتخاذ دور دائمة
من اللبن وبأن يؤسس في المدينة مسجد جامع ودار للأمانة فبني المسجد
وسط المدينة حيث تتفرع الطرق والحارات وكان أول شيء خط بالكوفة
كما يذكر الطبري ، وبنى سعد منزله قريباً من المسجد وفيه اتخذ بيت المال .
وتحول إلى قصر الامارة . وقد دلت الحفريات الجديدة في الكوفة ان
قصر الامارة كما يقول بشير يوسف فرنسيس : شيد بالآجر المحكم التشكيل
والجص ، وكان مربع الشكل تقريباً وكانت تدعم ثلاثة من أركانه
أبراج مستديرة .

ومالبثت الكوفة ان عمرت بالمباني التي قام على انشائها بناؤون من
الفرس ووفد إليها كثير من الناس حتى اتخذها علي بن أبي طالب مقراً
ملكه بعد ان غادر المدينة المنورة ، لكثرة اشياؤه فيها وتوسطها في الأراضي
الاسلامية وحفظها لطابعي الحياة البدوية والحضرية معاً . ولكن نجاح
معاوية بتأسيس الدولة الاموية حرما هذا المكان السياسي الممتاز وأخذت
دمشق مكانها .

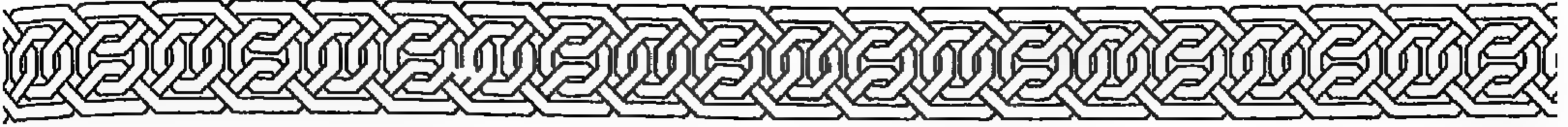
ومع هذا فقد حافظت الكوفة على مكانة سياسية مرموقة . خلال



العهد الأموي اذ غدت قصبة العراق ، وكان يعهد إلى واليها بتعيين ولاية أذربيجان وممذات وأصبهان والموصل ويضاف إلى هذا في شأنها السياسي أنها غالباً ما كانت مقر المعارضة والنقمة على الحكم الأموي وفيها قيادة الحركة الشيعية ومنها أديرت الحركة العباسية السرية حتى كانت أولى عواصم العباسيين . وقد شهدت في العهد العباسي عدداً من التيارات السياسية الدينية أهمها الحركة الاسماعيلية والقرمطية . وإذا امتازت البصرة بالتجارة فقد امتازت الكوفة بالسياسة .

أما في الناحية العلمية فالكوفة ثاني المصيرين في العراق ، ولم يكن علماءها في الفقه والدين والشعر واللغة والنحو ليقاوا شهرة عن علماء البصرة . ولم يبدأ انحطاط المدينة الا منذ القرن الرابع وقد ورثتها اليوم النجف .

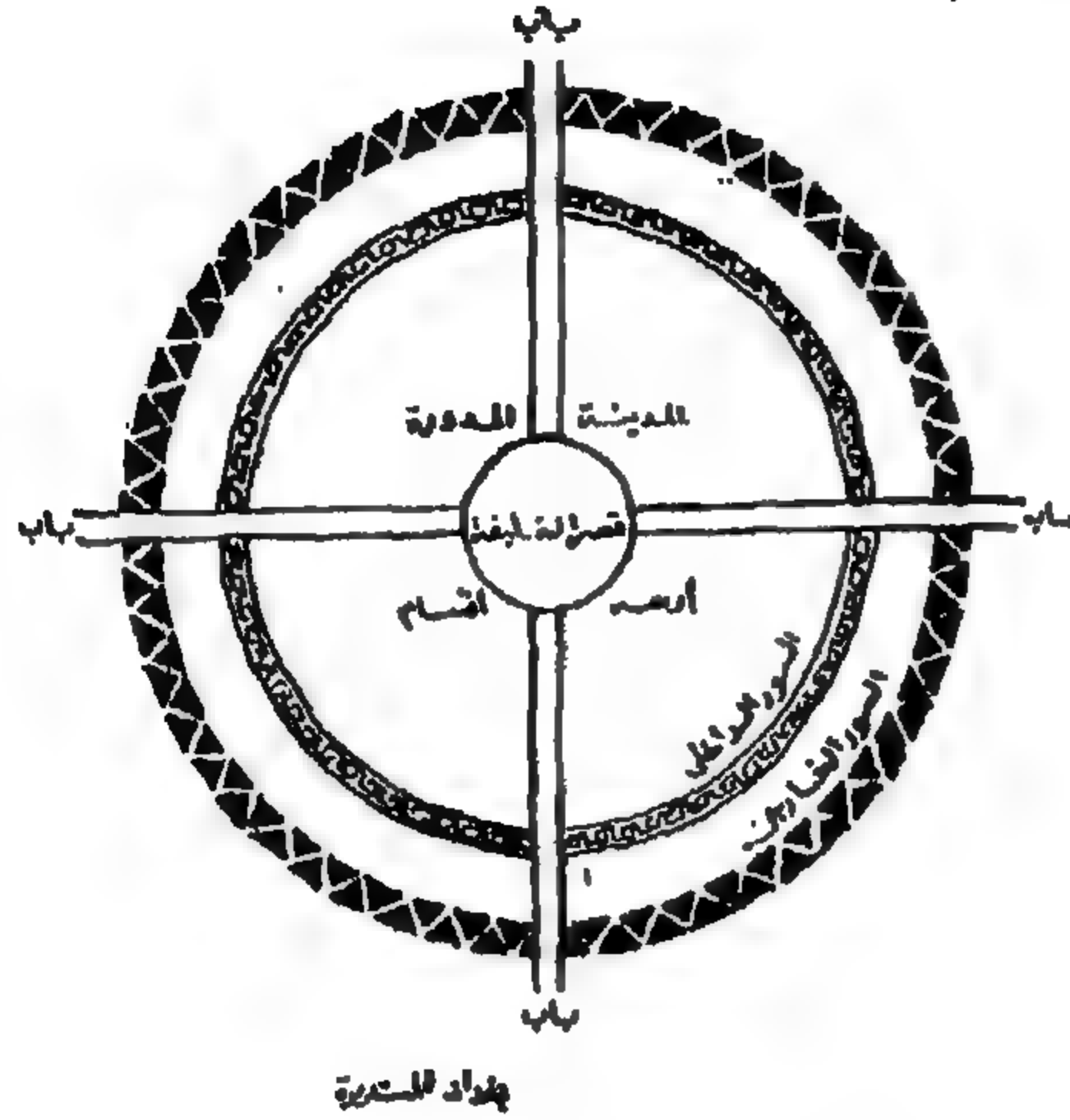
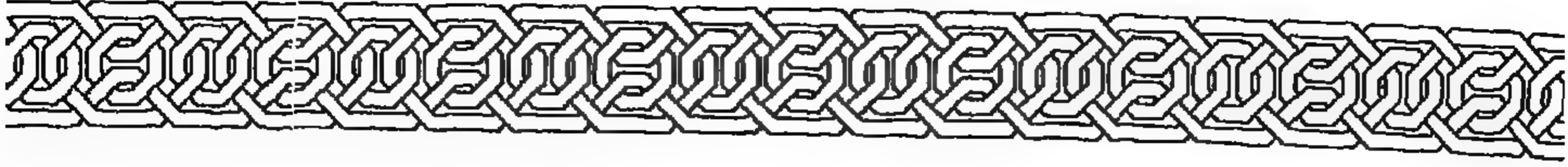
(٣) واسط : بعد أن وطد الحجاج أمر الحكم والامن في العراق رأى أن يتخذ له مركزاً لإدارته ومقرراً لجنده قريباً من البصرة والكوفة معاً ، مهد الحركات الثورية المناوئة يجعل فيه الجنود الشاميين الذين يرسلهم عبد الملك لشد أزره وليكونوا عدته يوم النوائب ولا يختلطوا بالعراق والجنود العراقي لئلا تسري فيهم روح الثورة . فأتخذ مدينة واسط في مكان قريب من بلدة الحن اليوم ، وسط بين البصرة والكوفة معاً . ومنع الموالي من دخولها ولكن سكانها تنوعوا فيها بعد ، وجاء أحد ولاية البصرة بجماعة من أتراك ماوراء النهر فأنزلهم بها ولم تعد مدينة عسكرية خاصة . وقد كان قد تم بناء واسط عام ٨٣ هـ (٧٠٣ - ٧٠٤ م) كما يؤكد البلاذري والطبري والسمعاني وياقوت والقزويني وكانت واسط على جانبي دجلة ، وكانت قبل البناء الاسلامي مدينة ساسانية اسمها تنسكر . وقد دفن فيها الحجاج (٩٥ هـ) كما يقول ابن خلدان .



وظلت واسط عاصمة العراق طوال العهد الاموي ، ثم بدأ عزها بالافول مع انتقال الحكم إلى العباسيين . وما جاء القرن الثاني للهجرة حتى هجرها الناس هجرانا تاماً لتحول بحرى دجلة إلى مجراه الحالي ، فصارت خراباً وتعرف خرائب واسط اليوم باسم المنارة . وقد كشفت اليوم مديرية الآثار العامة العراقية عن المدينة منذ ١٩٣٦ ، وظهرت جامع الحجاج وقصره ذا القبة الخضراء واستخرجت الكثير من زخارفه وقوام اكثرها غصن كرمه متموج يتشابك ورقها مع غصونها ، وكذلك ازهار وعناقيد وغيرها او زخارف نباتية اخرى ونجوم وازهار ...

٤ (بغداد : كان لابد مع انتقال الحكم للعباسيين من البحث عن عاصمة جديدة ، غير دمشق الاموية ، وقد بويغ السفاح في الكوفة ولكنه استبدل بها الحيرة ، عاصمة له ثم انتقل إلى الانبار وبني بها « الهاشمية » ولكنها لم ترق للمنصور من بعده ، ففتش عن مكان جديد يبنى به عاصمة جديدة للملك الجديد فوقع على : قرية بغداد . على الضفة الغربية من دجلة . وقد كان اختياره للمكان موقفاً جداً وتوضحت له فيما بعد ميزات هامة هي التي أبقت على بغداد إلى اليوم فهي تقع في منطقة زراعية تتوسط العراق وتربطها الطرق التجارية العالمية كما أنها سهلة التموين والري حصينة الموقع بين الأنهار ، جيدة المناخ .

وقد سمي المنصور مدينته دار السلام وسماها بعضهم بالروحاء والزوراء والمدورة ، لاستدارة مخططها ، ولكن لاسم الذي بقي لها هو الاسم القديم للموقع وقد اختلف المؤرخون في تفسيره على أساس فارسي معناه بستان الله او عطية الله ، والمدينة التي بناها الله وهو على الأرجح آرامي معناه سوق الغنم (ب - مختصر بيت ثم كدادو - غنم) .



شكل - ١١ -

مخطط مدينة بغداد الذي نفذ في عهد الخليفة العباسي المنصور وهو
نواة العاصمة العباسية التي اتسعت فيما بعد .



شكل - ١٢ -

مقطع لأحدى بوابات بغداد التي بناها المنصور عام ٧٦٢ م وكانت
تعلو كل بوابة من بواباتها الأربع قاعة ويعلو القبة القائمة فوق القاعدة ،
رامح يتحرك بحركة الريح .

وضع مخطط المدينة على نهج مستحدث في بناء المدن الإسلامية : دائرة يتوسطها قصر الخليفة ومسجده ويحيط بها قصور القواد ورجال الدولة ثم تقوم الاسوار : سوران يسكن بينها الرعية لها أربعة أبواب مزودجة . ولعل الذين خططوا المدينة تلمثوا بالهندسة الفارسية .

وأمر المنصور قبل مباشرة البناء بجلب المهندسين والبنائين والعمال من جميع أطراف مملكته حتى ناف عددم على المائة ألف عامل ، وأمر بصب اللبن والآجر ، ثم قام المهندسون برسم شكل المدينة على الأرض وتخطيطه بالرماد ، ثم أمر بأن يوضع على المخطط قطن مغموس بالنفط ويشعل . وبذلك ظهر له في الليل شكل مدينته الجديدة ، فأعجبته ، وأمر بمباشرة البناء في سنة ١٤٥ هـ . وكانت المدينة مستديرة يبلغ قطرها نحواً من ثلاثة آلاف متر فيما إذا اعتبرنا السور الخارجي حداً لها ، لأنه كان لها سوران ، ومقسمة إلى أربعة أقسام متساوية ، ولها أربعة أبواب هي : باب الكوفة ، وباب البصرة ، وباب خراسان ، وباب الشام . وقيل ان المنصور أمر بنقل أبواب واسط اليها ، وفي وسط المدينة بني قصر المنصور الذي سمي قصر الذهب ، وقبالته مسجد المنصور ، وكلف المنصور أبا حنيفة النعمان بمراقبة البناء ، والعمال ، كما اهتم بنفسه بكل ناحية من نواحي البناء ، وكان يحاسب المتعهدين حساباً عسيراً ، حتى لقبوه بالدوانيقي نسبة إلى أصغر قطعه نقدية كانت متداولة ، تلويحاً إلى أنه كان يحاسبهم عليها ... وبعد اتمام البناء ، وازدحام المدينة بالسكان اقتطع عماله وقواده قطائع وأرباضاً خارج الاسواق فعمروها وبنوا فيها القصور، ثم أمر ببناء الرصافة لابنه المهدي وجعل فيها ثكنات الجيش ، ثم بنى الكرخ جنوبي المدينة في سنة ١٥٧ هـ ، واتخذ جميع الخلفاء العباسيين بغداد عاصمة



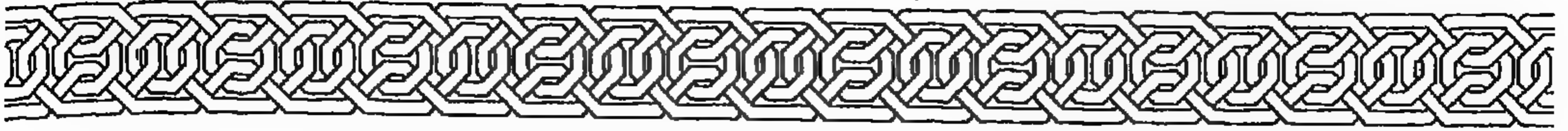
لهم إلى أن قضى عليهم التتر سنة ٦٥٦ هـ وأصبحت بغداد أعظم مدن العصور الوسطى في الكرة الأرضية ، اجتمع لها ما لم يجتمع لغيرها من أعظم الخلفاء كالرشيد والمأمون ، ومن أشهر العلماء والأدباء والفنانين ، والتجار والصناع فكانت مركزاً جامعاً لكل ما في الأملاك الإسلامية من ثقافة وحضارة وفن وغنى .

٥ - سامراء : قصة سامراء من أغرب وأمتع قصص المدن : قصة ارض قفر تصبح في سنوات معدودة عاصمة الدنيا الإسلامية وأكبر مدينة في العالم ثم تنطفئ فجأة بعد نصف قرن فيعود الهدوء والخراب الى المكان.

بعد قرن واحد من بناء بغداد خطرت للمعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة لا عن حاجة لعاصمة ولكن لأن عصية جديدة كانت تظهر في الدولة هي : الأتراك الذين أدخلهم المعتصم الجيش . فبغداد قد ضاقت بهم كثرة وكانت فيهم خشونة وأذى ضاق بها البغداديون ودبت المنافسة بين الترك والفرس والعرب من الجند بما أنذر بالخطر ، ففتش المعتصم عن مكان جديد له ولأصحابه وتنقل في عدد من الأماكن قبل أن يستقر بسامراء على بعد ١٣٠ كم من شمالي بغداد ، على دجلة .

والاسم قديم دون شك . وقد زعم الناس فيما بعد أيام عزها ، أنه محرف عن : سر من رأى لجمال المدينة ، وأيام خرابها عن « ساء من رأى » لسوء منقلبها . وكان المكان المختار جيداً ، جودة مكان بغداد . فهو خصب حصين ، تجاري ويتوسط المملكة كما يتوسط العراق .

شرع المعتصم بتخطيط حاضرتيه سنة ٢٢١ هـ . ٨٣٦ م فطلب الفعلة والبنائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات ، من كل مكان . وبدأ فوضع أساس قصره العظيم ، ووزع القطائع على جنده وعين

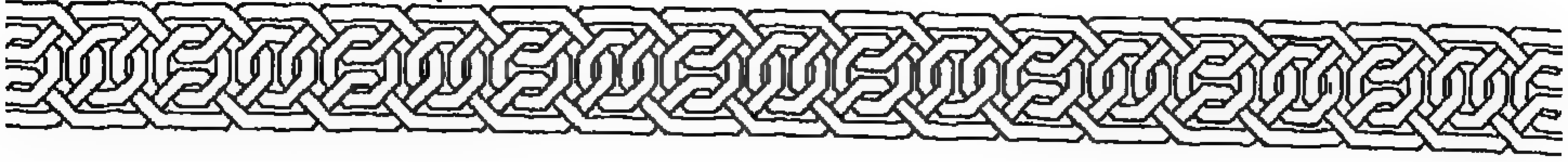


أما كن الاسواق والبساتين ولكنه لم يؤكد على بناء الأسوار لاطمئنان الدولة وثبوت أركانها ، وإنما عني بفصل الجيش ودواوين الدولة عن السكان كما عني بفصل فرق الجيش بعضها عن بعض ، وجعل قائد كل فرقة يبني قصره في قطعة فرقة . ووجه الخليفة همه بعد ذلك الى عمران البلد الاقتصادي : فنشر الزراعة في غربها وجلب لها الاشجار وحفر الترع وحرص على جمع أرباب الصناعات فيها ووسع صفوف الاسواق النخ ...

ويلاحظ في مخطط المدينة ، ومن آثارها الباقية ، أن المعتصم عني بتقسيمها تقسيماً اجتماعياً عسكرياً يتناسب مع كونها معسكراً أولاً ومركزاً حضرياً ثانياً . فجاء مخططها بمتداً على خفة دجلة الشرقية زهاء (٢٠) كم ، وجعلت الشوارع متوازية تتقاطع بزوايا قائمة ويتوسطها على طول المدينة الشارع الأعظم الذي يزيد عرضه على ٢٠٠ ذراع ، وهذا ما يذكر بالتخطيط اليوناني للمدن . وقد سمى لنا ياقوت في معجمه (١٧) قصرأ بناها المعتصم والمتوكل في سامراء من أهمها : دار العامة وبيت الخلافة وقصر الجوسق على دجلة وقصر لؤلؤة وهو السجن السيامي . هذا الى ما أقيم في سامراء من حلقات السباق الثلاث وحديقة للحيوان .



كانت منارة جامع الجمعة في سامراء ، نموذجاً فريداً في المآذن الإسلامية ، لم يعمم وينتشر ، الا في مكان واحد ، في جامع احمد بن طولون بالقاهرة . والفكرة مستوحاة من أبراج ما بين النهرين القديمة المعروفة باسم زقورة او زكورة وهي عبارة عن برج من اللبن والاجر يرقى اليه بدرج حلزوني .



ولاشك أن فترة العمران الكبرى في حياة سامراء هي فترة المتوكل الذي انفق في بناء القصور بالمدينة مايزيد عن (١٤٠) مليون درهم وبما بناه البركة المشهورة والمسجد الجامع ، ومساحة صحنه الداخلي ٤٤ ألف م^٢ بينما لا تزيد مساحة كنيسة الفاتيكان عن ١٥ ألف م^٢ مثلاً وأهم ظاهرة فيه هي المئذنة الملوية التي بنيت على طراز (الزقورات) القديمة ولا تزال قائمة بجانب آثار الجامع الى اليوم .

ولقد ضاق المتوكل ذرعاً بالأتراك في السنوات الأخيرة من عهده فحاول الهرب منهم الى دمشق ثم عاد فبنى في شمال سامراء مدينة لصيقة بها عرفت بالمتوكلية فامتدت سامراء ١٥ كم أخرى على ضفة دجلة وامتد شارعها كذلك وبنيت فيها قصور رائعة منها الجعفري ، كما ابتكر نموذج جديد في بناء القصور يدعى الحيوي قلده الناس فيما بعد . وانفق المتوكل في المدينة الجديدة (٢٠٠) مليون درهم وانتقل اليها ونقل معه دواوين الدولة سنة ٥٢٤٧ هـ ولكنه قتل بعد ذلك بتسعة أشهر فقط وعاد الناس فأهملوا المتوكلية الى سامراء ولكن هذه المدينة أهملت بدورها سنة ٥٢٨٩ هـ في نهاية خلافة المعتضد العباسي الذي انتقل الى بغداد ... فاندثرت شيئاً فشيئاً .

وقد عنت دائرة الآثار العراقية بالكشف عن آثار المدينة وترميم المئذنتين الباقيتين لجامع الجمعة وجامع ابي دلف ورغم انها معاً على شكل ملوية ، فانه حين يقال « الملوية » يقصد بها مئذنة جامع الجمعة . وتقع خارج ضلع الجامع الشمالية على ٢٥ متراً منها ، وفي محور الباب الوسطي ، وهي مئذنة مخروطية الشكل بوجه عام تستند الى قاعدة مربعة ، يصعد الى قمته من سطح مائل عريض يدور حول بدنها من الخارج دوران الحلزون ، ويبلغ طول ضلع القاعدة ٣٢ متراً وقطر قبة الملوية ٦ أمتار ، ويبلغ



علو المئذنة عن سطح الارض ٥٢ متراً

وينبدأ الدرج الحلزوني الذي يوصل الى القبة ، من وسط الضلع الجنوبية ، اي التي قبالة الباب الشمالي للجامع ، ويدور حول بدن المئذنة باتجاه دوران الساعة ، خمس مرات ، الى ان يصل الى باب في القبة ينفتح هو ايضاً في وسط الجبهة الجنوبية .

وينتهي اعلى المئذنة بغرفة صغيرة مدورة الشكل يبلغ علوها نحو ٦ امتار في فرجة جدارها ثماني مشكيات صغيرة مدية العقد ومقعرة السطح ، وتقوم احدى هذه المشكيات مقام باب يفضى الى داخل الغرفة ، ويوصل الى ذروتها مدرج حلزوني يدور داخلها حول محورها .

مدن الشام :

لم يحظ الشام ، من بناء المدن الاسلامية بمثل ما حظى به العراق او مصر ايضاً ، لكثرة مدنه من جهة ، وقصر عهد الخلافة الاموية من جهة اخرى ، وعدم استقرار أسرة حاكمة كبرى أو عهد من العهود بالشام بعد الامويين .

وقد أسس العرب الفاتحون مدناً - معسكرات في الشام كما في العراق : فأقاموا الجابية قرب دمشق و (دابق) شمالي حلب ولكن هذه المدن الجديدة لم تستطع أن تنافس المدن القديمة العريقة قريها . فان معاوية استقر في دمشق كما ان الخطر الدائم على الحدود البيزنطية لم يجبرىء الناس على سكنى دابق ... وهكذا انتضى القرن السابع الميلادي (قرن الفتح) دون أن ينشئ الامويون مدينة جديدة في سوريا . وأنشئت في القرن الثامن وفي زمن الخليفة سليمان (٧١٥ - ٧١٧ م ٩٦ - ٨٩٩) مدينة :



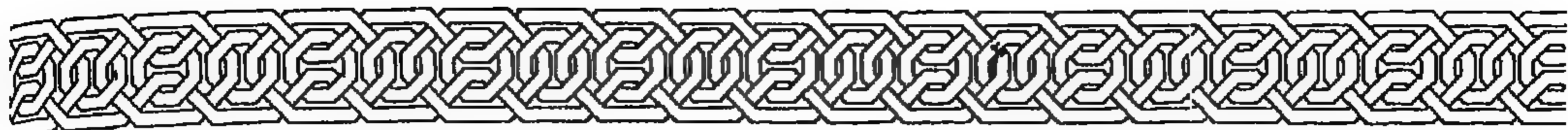
الرملة : على الطريق الممتد بين القدس والبحر ، وقد نقل سايمان اليها سكان مدينة (اللد) المجاورة فعمرت المدينة الجديدة بهم واتسعت وبالرغم من شأن (اللد) من قبل ، ومن مكانة القدس الدينية ، فقد ظلت الرملة عدة قرون مدينة فلسطين الاولى ومركز الولاية ؛ على ان بناء الرملة لم يكن لغرض سياسي او عسكري ولهذا لم تتسع كثيراً وظلت ومكانتها محلية .

الرصافة : برزت هذه زمن هشام بن عبد الملك (٧٢٤ - ٧٤٣ م ١٠٥ - ١٢٥ هـ) وعهده العمراني . فقد ظهر أنه كان مولعاً بالمواقع الصحراوية والعناية بها . وموقع هذه المدينة في البادية على ٤٢ كم إلى جنوب الرقة والفرات . وقد جدد سورها ومبانيها وكان يتردد اليها . ولم تندثر المدينة الا زمن الملك الظاهر بيبرس الذي نقل سكانها الى حماه وسلمية . أما آثارها اليوم فمن أجل آثار البادية السورية .

الرقة والرافقة : ترجع الرقة في بنائها الى عهد الاسكندر المقدوني غير أنها لم تبرز في العهد الاسلامي الا زمن المنصور الذي بنى بجوارها مدينة عسكرية مستديرة ، على مثال بغداد ، هي الرافقة .

وكان غرض المنصور من بناء المدينة ان تكون معسكراً امامياً تتجمع فيه الجيوش لحرب البيزنطيين ولهذا الغرض نفسه استخدمها الرشيد ايضاً ، وكثرة حروبه هي التي جعلت مقامه فيها كثيراً وجعلته يبنى فيها عدداً من القصور . قال بسببها المؤرخون أن الرافقة كانت مصيفه . وتردد الخلفاء والقواد والجند على الرافقة جعلها تتسع حتى تتصل بالرقة في جوارها وتأخذ اسمها ، لاسيما بعد تخريب المغول لها في القرن الثالث عشر .

وبقايا قصور الرشيد في الرافقة وبقايا سورها الآجري ، واحد ابوابه



ما تزال موجودة قرب الرقة الحالية . غير ان المئذنة الآجرية القائمة هي من عهد نور الدين بن زنكي .

على ان اهم ما بناه المسلمون في الشام انما كان في مدنها القديمة نفسها : كدمشق وحلب والقدس .

مدن مصر :

الفسطاط : في مصر ايضاً بدأ بناء المدن مبكراً على شكل معسكر للفاتحين الجدد : فان فاتح مصر عمرو بن العاص لم يشأ أن يتخذ الاسكندرية ، وهي مرفأً بحري ، من جهة وبلد مملوء بغير العرب من جهة أخرى ، عاصمة له . ففعل كغيره من الفاتحين إذ استشار الخليفة عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر : « اني لأحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فلا تجعلوا بيني وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب اليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت ، لأن عمر سمع بفيضان النيل وبإمكان انقطاع الاتصال بينه وبين جنده فتخير عمرو مكاناً هو اليوم القسم الجنوبي من القاهرة على ضفة النيل الشرقية ليقم فيه معسكر جنده ودعى المعسكر الجديد بالفسطاط (ولعلها من فساتون Fossaton باللاتينية واليونانية ومعناها ما هو محاط بخندق) وكان ذلك ٥٢١ هـ .

والمكان من أقدم النقاط المدنية في وادي النيل وكانت فيه ممفيس ، كما أن عمراً أدرك فيه حصناً للرومان يدعى حصن بابليون . وهذا ما يفسر سرعة اتساع الفسطاط وتحولها بسرعة إلى مركز مدني هام امتد على ساحل النيل الشرقي خمسة كيلومترات تقريباً بعرض كيلومتر واحد . وقد أقام عمرو بن العاص في المدينة شارعاً يتوسطه ميدان بني به مسجداً ما يزال يحمل اسمه إلى اليوم . (جامع عمرو) .

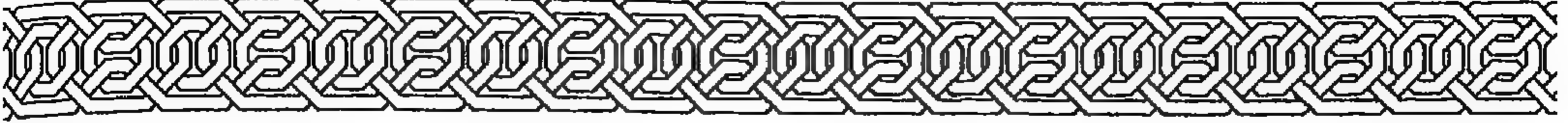


وبقيت الفسطاط قاعدة القطر المصري للولاة العرب نحو قرن من الزمان ثم بنى بجوارها ، في مطلع العهد العباسي وعلى يد صالح بن علي (عم السفاح) مدينة للجند سنة ١٣٢ هـ دعيت بالعسكر . ولما آل حكم مصر لأحمد بن طولون بنى بجانبها بلدته المعروفة بالقطائع وبنى جامعها المشهور ذا المئذنة الملوية وقصره المدعو بالميدان . وبعد ذلك بجوالي نصف قرن بنيت مدينة :

القاهرة : ما كاد يتم على يد جوهر الصقلي فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ ، باسم الخلافة الفاطمية وصاحبها المعز لدين الله الفاطمي ، والمقيم في تونس ، حتى فكر الفاتح بنقل مركز هذه الخلافة إلى مصر ، وبناء مدينة جديدة تكون مقراً لآسياده ، ومركزاً قريباً من الشرق لنشر الدعوة الفاطمية وتخير لذلك مكاناً في جنوب القطائع ، وسميت « القاهرة » وقيل في سبب اختيار هذه الاسم عدة اقوال لعل اقربها انها « قاهرة » للحدثات ، باقية على كر الزمان . أو ان بناء أسسها تم في طالع برج القاهرة ، وهو اسم احد الكواكب .

وقد بديء ببناء القاهرة في يوم مشهود (شعبان سنة ٣٥٨) فوضعت أسس أسوارها لتكون معسكراً حصيناً ، كما وضع جوهر أساس قصر فخم لمولاه المعز الفاطمي . وأخذت كل قبيلة من قبائل البربر المحاربة معه تخط لنفسها خططاً خاصة تبنيها باسمها ، واطلق على المدينة اسم المنصورية نسبة للمنصور والد الخليفة فلما قدم المعز سماها باسمه القاهرة المعزية .

وكانت المدينة على شكل مربع ، بعيدة عن ساحل النيل . ولكن سرعان ما كثرت الأبنية في ظاهرها خارج الأسوار فامتلات المنطقة بين جبل المقطم والنيل بالسكان بينما كانت القصور الفاطمية كالقصر الكبير الشرقي مثلاً ودواوين الدولة ، كلها داخل الأسوار . وأهم ما بناه جوهر في المدينة هو المسجد : « الجامع الأزهر » الذي بنى للصلاة أولاً ولكنه سرعان



ما تحول في زمن المعز إلى جامعة علمية لنشر الدعوة الفاطمية .
وقد استطاعت القاهرة أن تكون ثانية حواضر الاسلام بما أسبغ عليها
الفاطيون من عز وبذخ في عهودهم الزاهرة ثم قبض لها ان تصبح حاضرة
الايوبيين ثم المماليك من بعد ، مما جعلها تغنى عصرها بعد عصر بالابنية
المختلفة . ولم يبدأ هودها الا بدخول السلطان سليم مصر سنة ١٥١٧ م .
وقد استمر ذلك الى عهد محمد علي وأولاده في العصر الحديث ، فاستعادت
عظمتها كمدينة حضارية وسياحية وسياسية في دنيا العالم عموماً والعرب خصوصاً
وكمركز ثقافي اسلامي وعلمي حديث . خاصة انها توسعت جسداً حتى
ضمت حواضر مصر السابقة ؛ وكثيراً من آثار مصر الفرعونية ، فجمعت
في رقعتها تاريخ آلاف السنين من حضارة مستمرة راقية .

مدن المغرب :

القيروان : في سنة خمسين هـ . غزا عقبة بن نافع في عهد معاوية ،
بلاد المغرب وانتصر على البربر وعينه معاوية والياً على افريقيا ففكر بإتخاذ
مدينة محصنة تكون مركزاً لعملياته الحربية وداراً للتموين والسلاح لمتابعة
الفتح وملجأ أميناً للجند العربي من تآلب البربر عليها ، واختار لذلك مكاناً
قريباً من تونس الحالية ، يملؤه بالغابات ، وأمر ببناء مدينة القيروان .

وقد اختط عقبة المدينة على نهج المدن - المعسكرات ، فاخط في
وسطها المسجد الجامع ثم دار الامارة ثم بيوت الجند وبني حولها سوراً
متيناً . واستمر العمل في بنائها طيلة اربع سنوات (٥٠ - ٥٤ هـ / ٦٧٠ م)
وكان اهتمام عقبة ببناء الجامع اكثر من بقية احياء المدينة حتى
قيل : « لم يبن عقبة مدينة لها جامع ، بل بني جامعاً له مدينة » .
وقصد عقبة ان يكون الجامع قيرواناً أي معسكراً وحصناً ، واختار
مكان قيروانه بعيداً عن شاطئ البحر ليكون المسلمون في مأمن من

اسطول الروم وغارات الفرنج التي كانت لا تزال تنقض على تونس من صقلية وإيطاليا واليونان ، فتحتل وتخرب مدن الساحل مثل سوسة وجربا . وقد قال له أصحابه حين فتش على مكان المدينة الجديدة : « نحن اصحاب إبل ، ولا حاجة لنا بجاورة البحر » وكانت الصحراء التي اقيمت فيها المدينة تشبه صحراء الحجاز وعسير ، فوجد عقبة ان الجندي العربي المسلم فيها لن يشعر بالغربة او التغرب عن بلاده ويعيش في بيئة جغرافية ملائمة . وصرعان ما اصبحت القيروان قاعدة مملكة افريقيا .

وبذلك ، كما يقول أحد الكتاب ، اصبحت الغابة الكثيفة التي كانت مرتعاً للوحوش والزواحف أرضاً مستوية تقوم فوقها تلك المدينة الزاهرة التي لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم . وقد اتخذها الفاطميون في أول تأسيس دولتهم عاصمة لهم ، ثم انتقلوا منها إلى المهديّة بالقاهرة بعد ان أسسها لهم قائدهم جوهر الصقلي . ومن بعدهم اتخذها ملوك الصنهاجيين مقراً لهم ، كما كانت منزلاً لأهل قریش من بني فهد وبني تميم وبني هاشم . وفيها مدافن عدد من الصحابة .

المهديّة : وقد اتخذ الفاطميون من القيروان عاصمة لهم في مطلع عهدهم حتى وضع عبيد الله بن المهدي سنة ٣٠٣ هـ أساس مدينة جديدة في جنوبها على الساحل هي « المهديّة » خوفاً على نفسه . ولم تلبث هذه المدينة ان اصبحت مرفأ هاماً بين الشام ومصر من جهة ، وصقلية والمغرب والاندلس من جهة اخرى . وبني المهدي فيها داراً للصناعة تتسع لأكثر من مائتي مركب . وامر في الوقت نفسه ببناء مدينة أخرى بجوار « المهديّة » سماها زويلة ذات سور وابواب وحراس ايضاً ، وجعلها للأسواق ، وربط بين البلدين بيمدان فسيح .

وقد ظلت المهديّة حاضرة الفاطميين حتى انتقلوا إلى مصر والقاهرة سنة



٥٣٦٢ هـ . وظلت آهلة بالسكان حتى افتتحها روجر النورمندي صاحب صقلية سنة ٥٤٣ هـ .

فاس : هي إحدى المدن الإسلامية القليلة التي لم تبني كمعسكر ، فقد وصل ، ادريس بن عبد الله هارباً إلى المغرب الأقصى بعد موقعة فخ (أيام المهدي سنة ١٦٥ هـ) واستقر في بعض القبائل البربرية ثم قام ابنه الشاب ادريس (الثاني) بعد أن بايعه الناس فبنى مدينة فاس لأنصاره وشيعته سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧ م) فتم بناؤها في سنة . وقد قدم عليه فيها جماعات كثيرة من العرب : من ضواحي قرطبة ، ومن القيروان ، وألف هؤلاء النواة الأولى للحين الأساسيين في المدينة .

وأهم ما بنى في فاس أول بناؤها : السور الحجري ، والمسجد الجامع ومنارته التي تشبه منائر القيروان بالقبّة التي تعلو رأسها . وقد استمر العمران في المدينة في عهد يحيى بن محمد الإدريسي خاصة إذ بنيت فيها « الحمامات والفنادق للتجار وقيمت خارجها الأرباض ورحل إليها الناس من الثغور القاصية » وقد امتلأت فاس بالآثار الإسلامية الرائعة فيما بعد انقراض أصحابها لاسيما في عهد الدولة المرينية (القرن ١٣ - ١٦) التي حولت فاس إلى مدينة جديدة مزدهرة بالأعمال العمرانية التي تمثل تراث فاس الثمين : وتقدر بثمانمائة وخمسين بناء بين جوامع ومدارس وتكايا عدا ٦٠٠ سبيل ومائة حمام ومائتي مدرسة ومائتي فندق . ومن أشهر الأبنية جامع الأندلس وجامع القرويين أكبر جوامع المغرب وزاوية مولانا ادريس . وشبه الكتاب فاس بمدينة دمشق في روائها الفني وطبيعتها الخلابة . كما شبهوا مدينة مراکش ببغداد ببناياتها وقصورها وحدائقها ، ولم يبدأ انحطاط فاس إلا زمن الشرفاء السعديين منذ القرن ١٦ .



مدن الاندلس :

قرطبة : ليست قرطبة في الاصل من بناء العرب وإنما كانت عاصمة الأندلس زمن القوط ، ويقال أن قرطبة أقدم مدينة في شبه جزيرة ايبيريا . انشأها مهاجرون وتجار من فينيقيا وسواحل الشام في نفس الوقت الذي انشأوا فيه قادس وقرطاجنة ومالقة وغيرها من جنوب شبه الجزيرة فهي مدينة تدين للعرب القدماء بنشأتها ، وقد اتخذها فاتح اسبانيا ، موسى بن نصير قاعدة له ، ودعا فيها للخليفة الوليد بن عبد الملك . وكانت اتخذ المسلمون لقرطبة مقراً لهم مما يؤذي سكان البلاد الأصليين فتاروا مراراً وحاولوا استرجاعها دون جدوى . ولما فر عبد الرحمن الداخل إلى الاندلس اتخذ قرطبة مقراً للدولة الأموية الأندلسية . واقم فيها الكثير من الأبنية والقصور وخاصة المساجد وتبلغ ثلاثة آلاف . ويعد المسجد الجامع الذي بناه عبد الرحمن الداخل فيها من النماذج البديعة لما وصل اليه الفن العربي . وبالرغم من أنه حول إلى كنيسة منذ حوالي خمسمائة سنة إلا أن الطابع الاسلامي واضح فيه إلى اليوم . وقد كان له واحد وعشرون باباً وفيه ١٢٦٣ سارية ومنبر ركب من ست وثلاثين ألف قطعة من العاج مرصع أكثرها بالمسامير الذهبية والحجارة الكريمة ، وتسمى الكنيسة الجديدة التي أقيمت داخل جامع قرطبة باسم الجامع الكاتدرائية (لا ميشكيتا كاتيدرال) وهي اغرب تسمية في الدنيا . والجامع يقع على ضفة الوادي الكبير وأمامه القصر الاسقفي وكان قصر الخلفاء ، وبينها يجري شارع كان يسمى المحجة العظمى .

ويمتاز هذا البناء الاسلامي باقواسه المزدوجة التي تعطيه شخصية يتميز بها عن جوامع العالم ، وقد لجأ إلى هذه الطريقة المهندس المعماري الذي بناه ليزيد في ارتفاع السقف حتى يصبح متناسباً مع مساحته لم يقلد وفي

مكان آخر معروف ... وكان هذا الجامع أيام الحكم العربي مدرسة كبرى
ومحكمة ، فقد كانت حلقات الدروس تقام عند كثير من اعمدته ، كما
كان قاضي قرطبة يعقد فيه مجلس الحكم كل يوم ... ويعقد جلسة خاصة
صباح كل خميس على باب المسجد لا داخله للحكم في مايعرض عليه من
قضايا النصارى واليهود في قرطبة .

وقد وصف الشاعر أبو محمد بن عطية قرطبة وما تفخر به على سائر
المدن بقوله :

باربع فاقت الأمصار قرطبة	وهن قنطرة الوادي وجامعها
هاقن ثنتان ، والزهراء ثالثة	والعلم ، أكبر شئ ، وهو رابعها
كما وصفها شاعر آخر بقوله :	
دع عنك حضرة بغداد وبيجتها	ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الأرض قط مثل قرطبة	وما مشى فوقها مثل ابن حديد

وقد ذكر المؤرخون ان سكان قرطبة زمن عبد الرحمن الناصر بلغوا
نيفاً وخمسمائة ألف وأن دورها زادت عن الثلاثة عشر ألف دار وحماماتها
العامة بلغت ثلاثمائة حمام ومساجدها ثلاثة آلاف وكان لها ثمانية وعشرون
ضاحية . وقد أطلق عليها الاوروبيون في القرن العاشر الميلادي اسم
«جوهرة العالم» .

الزهراء : وإلى الشمال الغربي من قرطبة بنى الخليفة عبد الرحمن
الناصر سنة ٣٢٥ هـ مدينة الزهراء ، على اسم جارية له ، لحاجته بعد أن
وطد حكمه ، إلى مدينة عاصمة . وقد تأتى الناصر في البناء فجلب للمدينة
الرخام بمختلف ألوانه من كل مكان ، وعمل في البناء عشرة آلاف عامل



يوميًا واستمر العمل في عهد ابنه المستنصر من بعده حتى سنة ٨٣٦٥، أي حوالي أربعين سنة !

وكانت الزهراء ضاحية ملكية تشبه قصر فرساي وقصر الاسكوريال اللذين بنيا بعدها بعد قرون . وكانت تشتمل على ثلاث مدن متدرجة في البناء على سفح الجبل ولكل منها سورها : أعلاها فيها القصور وفي الثانية الجنات والبساتين وفي الثالثة الديار والجوامع . وبني الناصر لنفسه قصره العظيم « دار الروضة » . فغشى الجدران بالذهب والرخام السميك الصافي واتخذ قرميد السقوف من الذهب والفضة ، وفي وسط القصر صهريج عظيم مملوء من الزئبق تنعكس أشعة الشمس منه على القصر فيصير من ذلك نور يأخذ الأبصار . هذا إلى ما في القصر من تماثيل ذهبية لبعض الوحوش : أسد بجانب غزال بجانب تمساح ... الخ . ينصب الماء من أفواهها في الأحواض !

يصف ستانلي لين بول المؤرخ الانكليزي مسجد قرطبة بأنه كان فيه « واحد وعشرون باباً طليت بالنحاس الأصفر اللامع وثلاث وستون ومائتان وألف سارية وقد أجريت الفضة في حيطان محرابه المزين بالفسيفساء وصب من سواريه الذهب والابريز واللازورد . أما المنبر فقد صنع من العاج وتقيس الخشب وهو مؤلف من ست وثلاثين ألف قطعة منفصلة . مرصع أكثرها بالأحجار الكريمة وسمر بمسامير من الذهب » .

ويذكر المقرئ في كتابه نفح الطيب عند كلامه عن الزهراء : إن حيطان قصر الناصر كانت من الذهب والرخام السميك الصافي ، وإن قراميده من الذهب والفضة . وفي وسط القصر صهريج عظيم مملوء بالزئبق وفي كل جانب من جوانب القصر ثمانية أبواب انعقدت في حنايا من العاج

والابنوس المرصع بالذهب والجواهر القائمة على ساريات من الرخام الملون والبلور الصافي ، وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب ، فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار... ثم يصف حوضاً صغيراً أخضراً منقوشاً بتأثيل الانسان فيقول بأن الخليفة جعل عليه اثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر النفيس الغالي بما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد إلى جانبه صورة غزال ، إلى جانبه صورة تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعقاب ، وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ، ودجاجة وديك... وكل هذا من ذهب مرصع بالجواهر النفيس ، ويخرج الماء من أفواهها .

الزاهرة : وقد أقامها الحajib بضواحي قرطبة على نهرها الأعظم وشيد فيها قصرأ فخماً وانتقل إليها سنة ٣٧٠هـ ونزل معه فيها خاصته والعامة . كما أقيمت بها الدواوين والأعمال وأهراء المؤن والارصاد . ثم أقطع المنصور ماحولها لوزرائه وكتابه وقواده فابتنوا فيها من الدور ما جعلها تتصل بقرطبة نفسها ، ولكن هذه الضاحية الملكية ذابت بدورها في قرطبة بعد موت صاحبها .

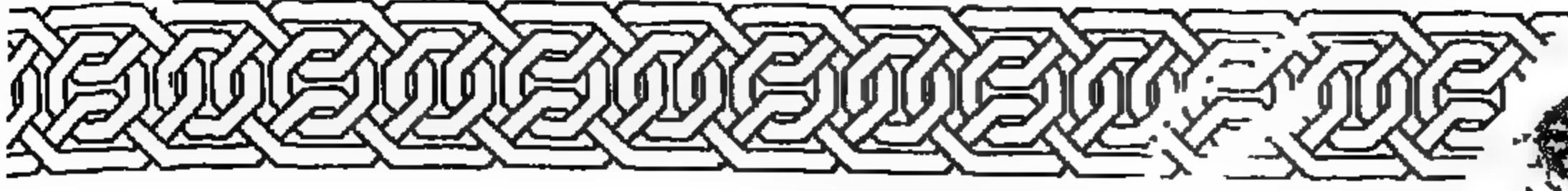
غرناطة والخمراء : ويطلق اسم غرناطة على دولة غرناطة الواقعة في الجنوب الشرقي من شبه جزيرة إيبيريا والتي كان يحكمها بنو الأحمر ، كما يطلق على مدينة غرناطة قاعدتها في عهد تلك الدولة ، والمدينة تقع في الشمال الغربي من إحدى حلقات جبال سيرا نافادا ويروها نهر دارو ويحيط بها غوطة غناء ويتدرج قسم من بنائها على سفح التلال المجاورة ، ولقد أطلق عليها عرب الأندلس ، اسم دمشق لشبهها في الوضع وكثرة ما فيها من الماء والمزارع والبساتين ، وكان أكثر قصور المدينة كما يقول سيد أمير علي مزيناً بالحدائق المسوجة بالعرائش وزاخرة بأشجار الفاكة كالبرتقال والليمون ، والحمائل



الناصرة ذات الشذى العطري ، وفوق ذلك ينساب في المنازل غدران صافية ويتوسط الشوارع النوافير الجميلة التي ينبثق منها الماء ، فتبعث في النفس غبطة وفرحاً عظيمين . أما المنازل فكانت بالغة حد الروعة والابداع الهندسي وكان يحيط بها سور فيه ألف وثلاثون برجاً للمقاتلة ، واثنان عشر باباً ، وفي داخله مائة وثلاثون طاحونة لطحن الغلال بقوة التيارات المائية ، وكان يوجد مقابل غرناطة على إحدى تلالها قلعة بني الأحمر وقصورهم الحصينة التي شكلت مجموعها مدينة « الحمراء » بدأ بناءها مؤسس الأندلس : محمد بن يوسف بن الأحمر الذي لقب نفسه « الغالب بالله » ثم عمل أخلافه على توسيعها وتجميلها . وأشهر آثارها قصر الحمراء وهي الآثار الباقية حتى اليوم من اطلال غرناطة ، وأشهر ما فيها قاعة الأسود التي تتوسطها بركة من الرخام الأزرق ، صحنها مسدس الشكل ، ويحمله اثنا عشر سبع من الرخام الأزرق .

ويصف سيد أمير علي المؤرخ الهندي الحمراء بقوله : « ومن الصعوبة بمكان أن نوفي الآن هذا العمل الذي سمي بعمل الجن حقه من الوصف والابداع . إذ أن القلاع والحصون والقصور بفنها المعماري الدقيق وأروقها وأعمدتها الفخمة وقببها وسقوفها ذات الزخرفة والنقوش البديعة التي لم تفقد شيئاً من رونقها الأصلي إلى الآن . وإبائها الهوائية المشيدة ليمر منها النسيم المعطر بشذى الورد . والبرك التي أحكم المهندسون تشييدها فأصبح انبثاق الماء فيها تابعاً لإرادة الإنسان أن أراد رفعه وأن أراد أنزله من علوشاهق في أشكال هندسية بديعة . كذلك كانت الأبنية المنقوشة بالأصباغ والمزدانة بالفسيفساء على أجمل صنع وأتم إتقان . فتعكس عليها الأضواء والألوان منها الذهبي والقرمزي والأزرق والأرجواني ومختلف التماثيل ، وبهو السباع المشتمل على ١٢٨ عموداً فخماً ، وأرصفتها البيضاء والزرقاء وتناسق الألوان القرمزية الذهبية . وتماثيل السباع التي يجري الماء من أفواها والبركة المرموية ... كل ذلك يحتاج إلى قلم فنان ليوفيه حقه من التصوير والابداع » .

الفصل الثالث



كان لخروج عرب الجزيرة إلى الأطراف العربية في صدر الإسلام
للغنى الذي رافقته الانتصارات على البيزنطيين والفرس وإطلاعهم على الفنون
المعمارية التي كانت في البلاد التي قدموا إليها أن أخذوا في تقليدها فشيّد
كثير من الصحابة دوراً جديدة في مكة والمدينة من الحجارة والرخام ،
وكانت دار عثمان بن عفان والزبير بن العوام من أعظمها وأجملها . كما
كان لتعاليم الاسلام ، أثر عظيم في الفن الجديد ، الذي اقتبسه العرب ،
وقلدوه تقليداً ماهراً ، وأدخلوا عليه كثيراً من التطور الذي يلائم تعاليمهم
الجديدة، حتى غدا فناً اسلامياً خالصاً يأخذ بنصيب من هذا ومن ذاك
ولكنه يشكل نموذجاً قائماً بذاته ، فكان لا بد للمسلمين من مساجد
لصلاتهم الجامعة ، ولعقد اجتماعاتهم السياسية ، ولا يمكن أن يبنوها على
طراز كنائس المسيحيين ، أو بيوت العبادة عند الموسويين أو الوثنيين
إذ حرمت عليهم الأصنام ، والتماثيل والصور التي ترمز إلى الكائنات الحية
ذات الروح ، فكان لا بد لهذه المظاهر الفنية من أن تمحى فلا يظهر
أثرها في المساجد الجديدة ، ولا في قصور الأمراء والخلفاء . ولا نلبث
أن نرى كثيراً من المسلمين ، في العصر الأموي ثم في العصر العباسي
والدويلات المنفصلة والأندلس ينحون في طرازهم المعماري والفني منحى جديداً ،



فهم محرمون الصور والتماثيل في المسجد ويزينونها بالأعمدة والفسيفساء والقاشاني والزخارف الهندسية والنباتية والثريات والمقرنصات والتيجان والقناديل الذهبية أو الفضية ، ولكنهم يبيعون لانفسهم في قصورهم ومدنهم استعمال الصور ذات الروح ، والتماثيل العربية ، واستعمال الأواني الذهبية ذات الصور المختلفة ، ويلبسون الأقمشة الحريرية المذهبة والمنقوشة بالصور ، ويرعون الفنون بشتى أنواعها من موسيقى وتصوير ونحت وعمران ، فهم بذلك يفصلون بين فن ديني قوامه المساجد وما يتصل بعبادة الله تعالى ، وفن مدني خالص يتصل بحياة المرء في الدنيا وتمتعه بجمالها وفنونها .

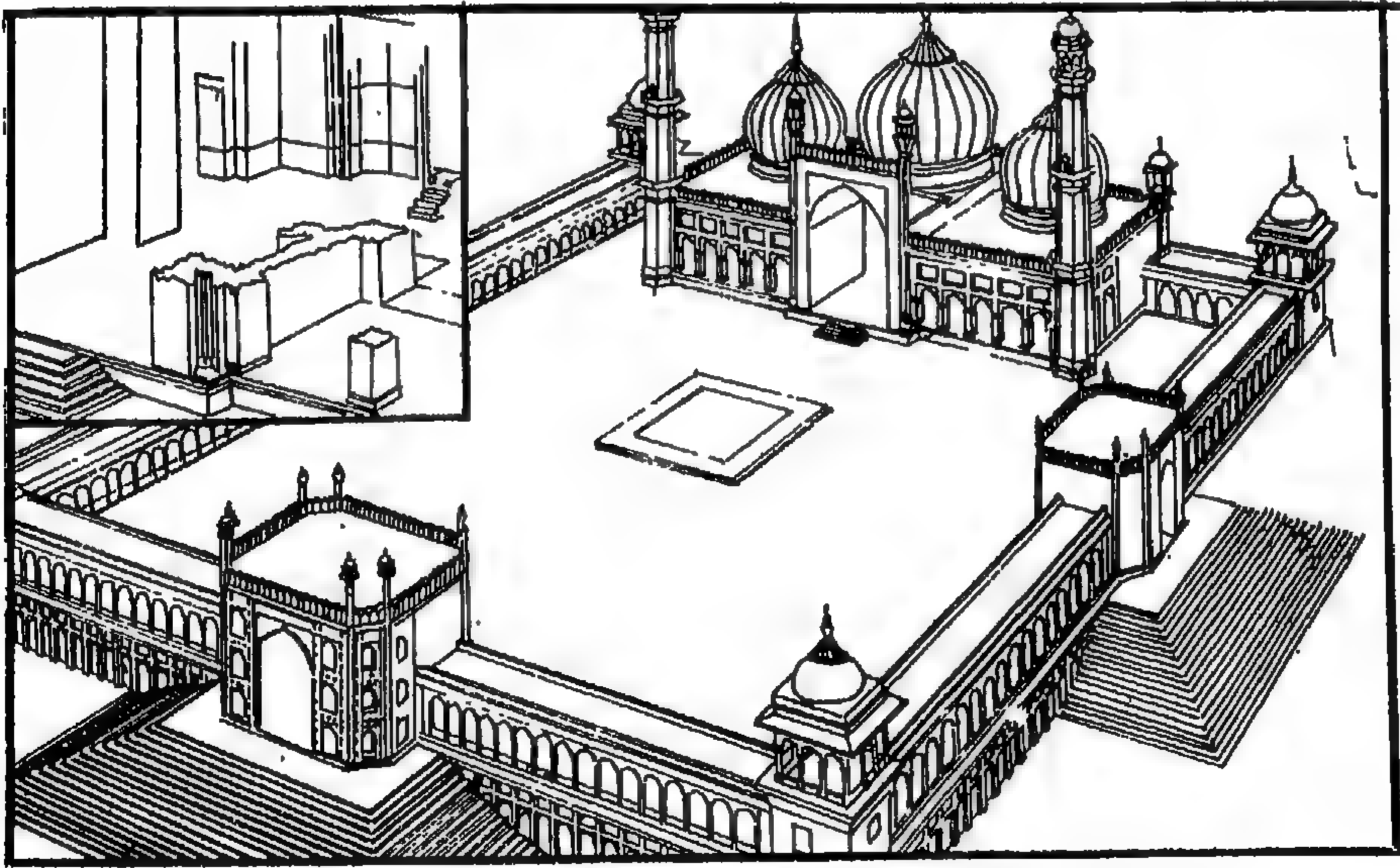
كان المسجد أهم مباني المسلمين ولم يكن في أول الأمر أكثر من بناء مربع يقوم سقفة على عمد من جذوع النخل أو نَمَا يؤخذ من الأبنية القديمة . ثم تطورت عمارة المسجد على يد البنائين من غير العرب وزادت فيه أجزاء يظن بعض الباحثين أنها اقتبست عن بعض اجزاء العمارة المسيحية ولم تلبث المساجد أن أصبح لها نظام لا تكاد تخرج عنه ، فكان معظمها يتكون من ساحة كبيرة مكشوفة في الغالب يتوسطها بركة ماء ومحيط بها أربعة أروقة تسندها الأعمدة ، وأحد هذه الأروقة وهو الرواق المتجه نحو الكعبة واسع جداً ويدعى الحرم ، وفيه المحراب والمنبر .

ويلي المسجد في الشأن « المدرسة » وقد استقلت ببناء خاص منذ القرن الخامس الهجري وكان المسجد من قبل مركز التدريس . وتصميم المدارس كان يشمل في الغالب صحناً مكشوفاً تحيط به أربعة إيوانات في شكل متعامد وأحد هذه الإيوانات هو المدخل وفيه السلم الذي يؤدي للطابق العلوي.

ثم يأتي « الضريح » أو المشهد ويسمى أحياناً تربة أو قبة ويختلف تصميم الضريح باختلاف الأقطار الإسلامية لكنها في معظمها لم تكن أكثر من



غرفة يعلوها قبة . وهناك « الرباط » وهو نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون انتشر في صدر الاسلام وهي في معظمها أبنية مستطيلة تعلوها أبراج للمراقبة وتحيط غرفها بالصحن الداخلي ولا نوافذ لها . وقد زالت الصفة الحربية عنها مع الايام وأصبحت بيوتاً للتقشف والصوفية . وهناك الخوانك (جمع خانكاه أو خانقاه) أو التكايا وهي بيوت للمتصوفة . وعني المسلمون ببناء « الأسبله » في أركان المساجد وبتشييد البيمارستانات (المستشفيات) وبناء الخانات . والاسواق في المدن . وكان « للحمامات » شأن خطير في الاقطار الاسلامية ولها نظام في بنائها يراعى انتقال المتحمم من الحر إلى الهواء الطلق فكان في كل حمام ثلاثة أقسام كل منها أسخن بما سبقه . أما « القصور » الاسلامية فكان يعنى بها العناية الكبيرة ولكننا لانعرف



شكل - ١٤ -

نموذج لفن بناء المساجد في الهند الاسلامية يلاحظ الجدار الخارجي الذي يشبه أسوار القصور وسعة الفناء ، وفي وسطه البحرة للوضوء ، ثم الحرم وقبابه متائرة بالطراز الهندي وكذلك مناراته



عن نظامها وتصميمها ما يستحق الذكر الا في العصور المتأخرة (منذ
نهاية القرن الثامن الهجري) لان معظمها لا سيما قصور العباسيين في
العراق قد اندثر . ومعظم ما بقي قائما هو في الاندلس .

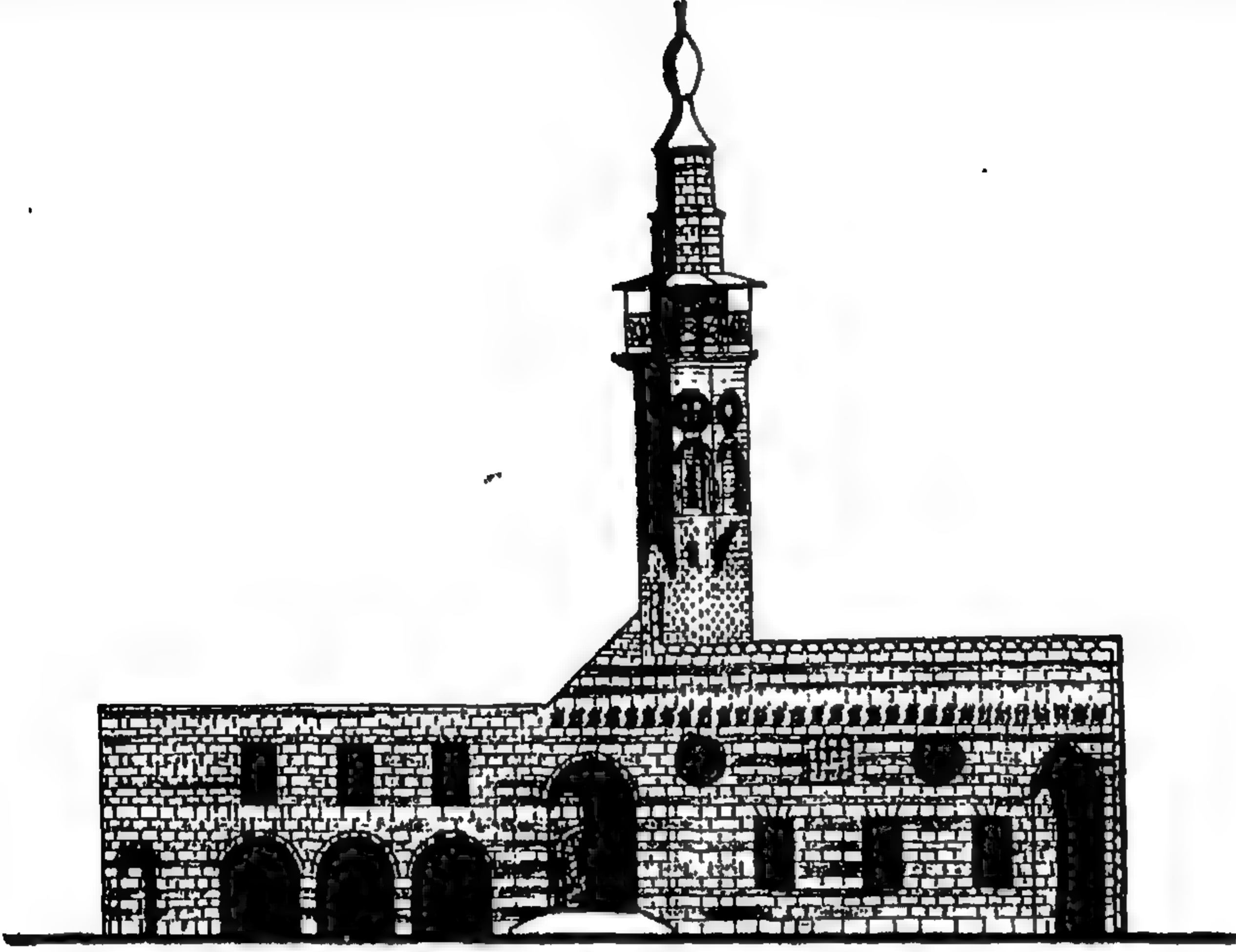
وقد وجد في هذه القصور ملاعب وساحات ، ومخازن واسعة تلحق بها ،
عرفت باسم خزائن ، - مفردها خزانة - او خانات ، - مفردها خانة -
وقد تعددت ، فمنها خزانة الكتب ، وقد بلغت في قصور الفاطميين
اربعين حجرة ، وخزانة الكسوات ، وخزائن الجوهر والطيب والطرائف ،
وخزائن الفرش والامتعة ، وخزانة الشراب - اي الدواء - وخزانة
التوابل ، وخزانة النبود ، وخزائن الازهار . اصف الى هذه المباني ما كان
يعرف بالحواصل (جمع حاصل) وهي اصطبلات الخيل ومناخات الجمال
والفيلة واهراء لحزن الغلال ، وشون للاتبان ، ومخازن للبضائع ، والطواحين
والمطابخ .. هذا بجانب الحدائق الملحقة بالقصر .

وقد ذكر انه بلغ عدد المرافق التي كانت لسكن قصر المأمون ما بين
حجر وغيرها ثلاثمائة وستين مرفقا .

وأخيراً فان البناء الحربي كان ذا شأن واضح في تاريخ الاسلام
وما من مدينة هامة إلا وقد بني لها السور أو جدد مرة بعد مرة ، وما من
مكان هام الا وبنيت فيه قلعة حصينة تتسع وتضجر حسب قيمته .

مدارس فن العمارة الإسلامية :

يمكن أن نلاحظ في العمارة الإسلامية أنها كانت في الغالب دينية
وأنها اقتبست الأساليب التي وجدت ريشا وجدت أسلوبها الإسلامي الخاص
وقد تبعت في معظم الأحوال استبحار الرفاه في الدولة والميل الشخصي
من الحكام . وأخيراً فقد تميز كل قطر من الاقطار الإسلامية بعدد من
الميزات المعمارية تسمح لنا بأن نقسم مدارس العمارة الإسلامية الى ست مدارس :



شكل - ١٥ -

واجهة جامع الملق في دمشق . نموذج من فن البناء
الملوكي في سورية .

(١) المدرسة السورية - المصرية : كان لاشتراك الشام ومصر في تاريخ واحد تقريباً منذ ما قبل الميلاد بحوالي ألف وخمسمائة سنة ، أثره في توحيد تراثها الفني ، وقد وقع البناء الاسلامي في القطرين ، منذ العهد الاموي ، تحت تأثيرات محلية متشابهة تتصل بالفن الهلينستي الشرقي والبيزنطي واستمر تاريخها متصلاً في العهد الطولوني ثم الاخشيدي ثم الفاطمي ثم الايوبي والملوكي والعثماني وهذا ما يوضح ، مع اتصال القطرين الجغرافي ، تشابه الاساليب الفنية فيها :

ومساجد هذه المدرسة حتى القرن العاشر مستطيلة الشكل وسقوفها عامة مسطحة . ولا تظهر السقوف ذات القباب إلا في العهد الفاطمي



« القرن العاشر » كما تظهر المقرنصات أما الأقواس فهي نصف دائرية أو مدية أو بشكل قطع ناقص « حدوة الفرس » ومآذنها أحياناً مربعة ولكنها في غالبا مضلعة . وقد ظهر في العصور الأخيرة منها زخرفة البناء بتنسيق ألوان حجارتها وعمل الأشكال التزيينية منها .

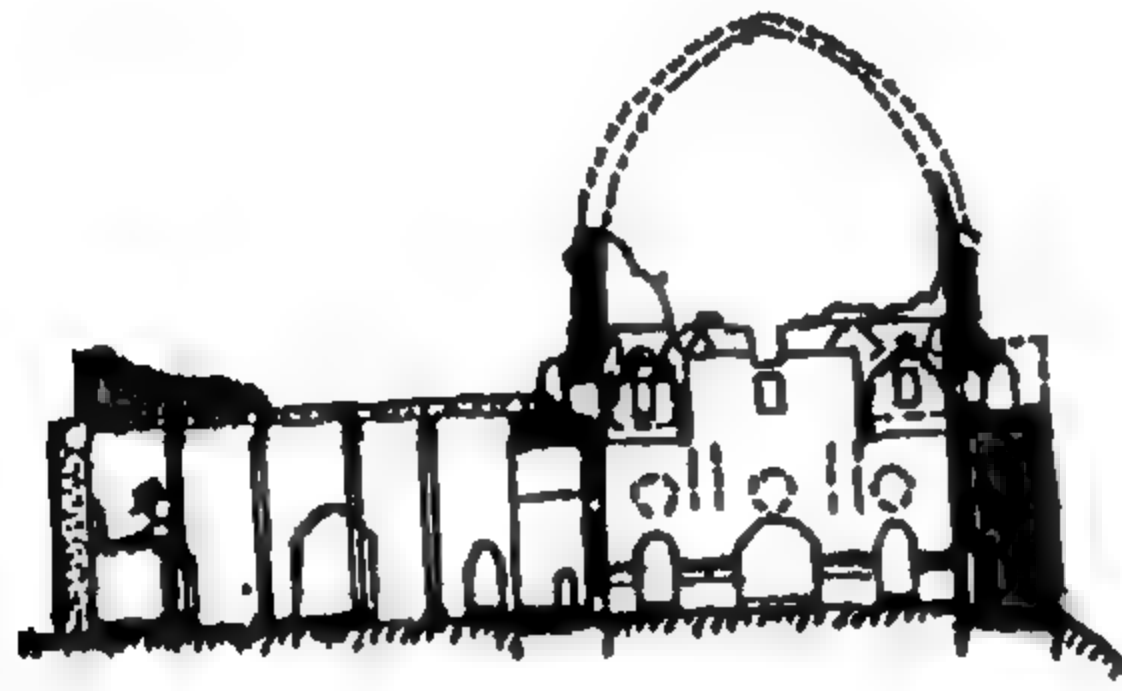
وأزهى عصور هذه المدرسة العصر الأموي في الشام والفاطمي والأيوبي في مصر والمملوكي في القطرين معاً . ومن أهم أبنيتها مسجد عمرو بـ مصر والجامع الأموي بدمشق وقبة الصخرة في القدس والجامع الأزهر في مصر والمدرسة الظاهرية والعاذلية الكبرى في دمشق وقلعة حلب .

(٢) **المدرسة العراقية - الفارسية :** والأسس الأولى لأساليب هذه المدرسة فارسية . وقد سيطرت في العهد العباسي ولكنها لم تنفذ بتأثيرها إلا في غرب العراق . وبلغت أوجها في مدينة سامراء في القرن الثالث . ولا نستطيع أن نوضح الكثير من أسلوب هذه المدرسة إلا في العصور المتأخرة ، وفي زمن الصفويين خاصة القرن « ١٦ - ١٧ » وهو من أزهى عصور الفن الإسلامي الإيراني . إذ استعمل القوس الفارسي « المدبب القليل الارتفاع » كما جعلت الأبواب الكبرى للمساجد ضمن إطار مستطيل مزخرف تقوم على جانبيه مثلنتان رشيقتان ، والمآذن اسطوانية عامة ، وأما القبة فمتطاولة بصلية الشكل مزخرفة الظاهر والباطن . واشتهرت هذه المدرسة باستعمال القاشاني بزخارفه النباتية ونادر استعمال الزخارف الهندسية .

وأهم آثار هذه المدرسة كانت في بغداد وسامراء ولكن معظمها اليوم أطلال ، وبقي في إيران أبنية اصفهان الرائعة وأخصها بالذكر « ميدان شاه » قلب المدينة الفني ومسجدي شاه : الجامع الذي بناه الشاه عباس ويعتبره بعضهم من أجمل مباني العالم . وتعود شهرته إلى الغنى الفائق في

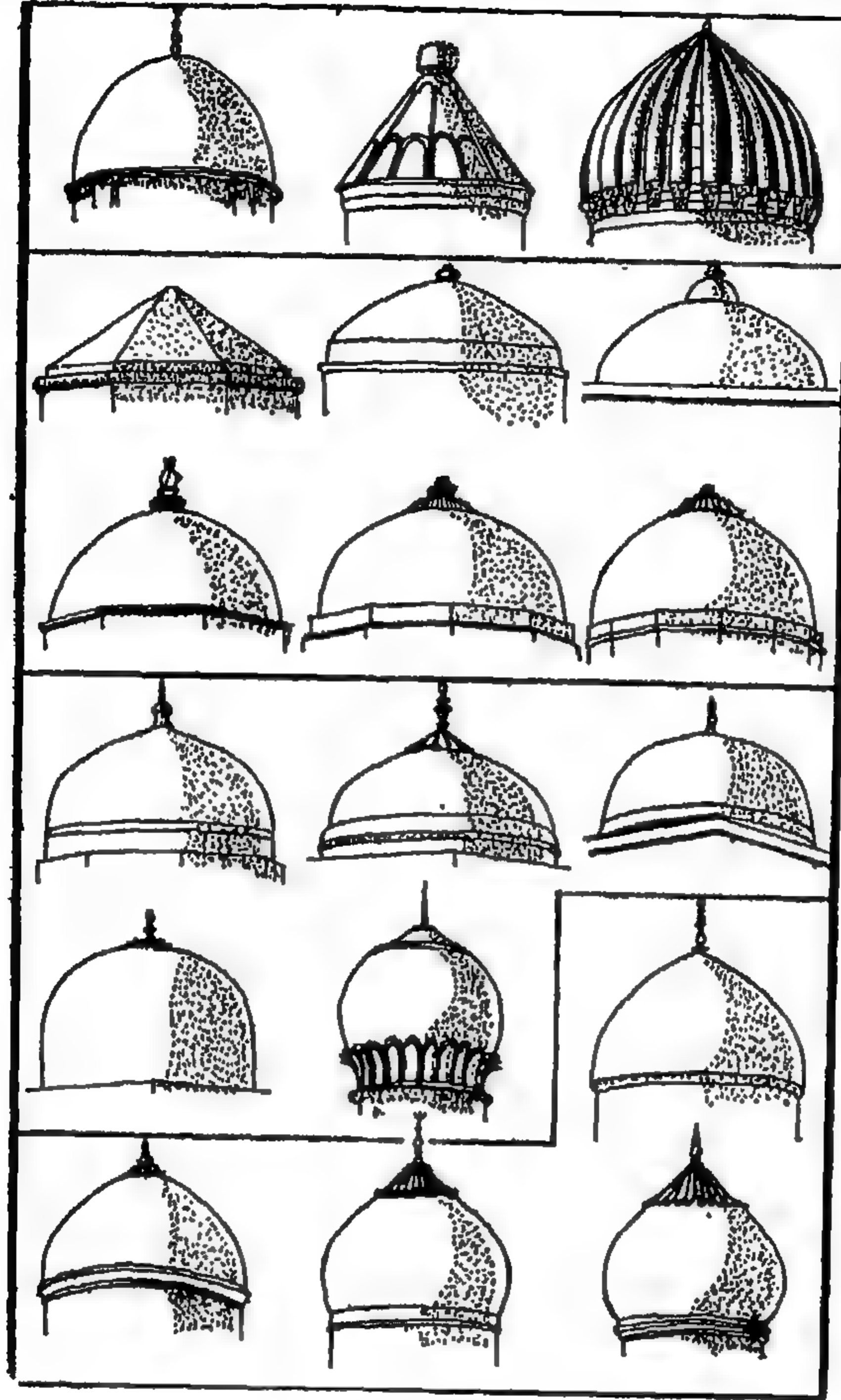
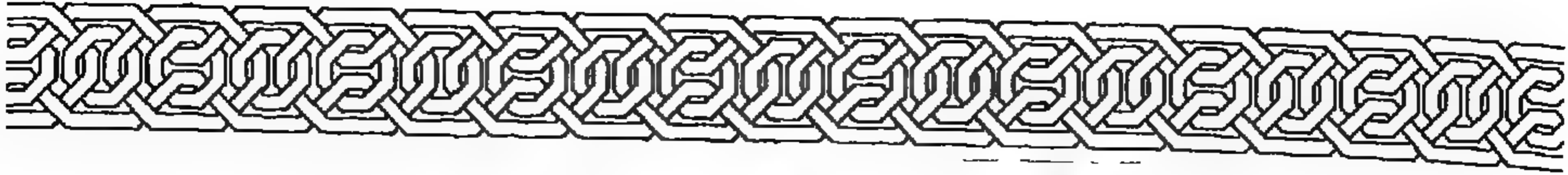


الزخارف الداخلية ، رغم ان الوحدة المعمارية فيه غير متكاملة ، كما يعود الى هذه المدرسة بناء مشهد الكاظمين في بغداد الذي أتمه الشاه اسماعيل الصفوي في القرن السادس عشر الميلادي . وقد انتشر في عهد الصفويين بناء الاضرحة على نوعين : في غرب ايران حيث كان الضريح عبارة عن ردهة يليها بناء تعلوه قبة ، وفي شرق ايران اتخذ الضريح شكل جوسق مثنى الاضلاع ، ومن اجل الامثلة على ذلك الجامع الضريحي للشيخ صفي الدين باردبيل الذي انشئ في القرن السادس عشر واكمل في اواسط القرن التالي .



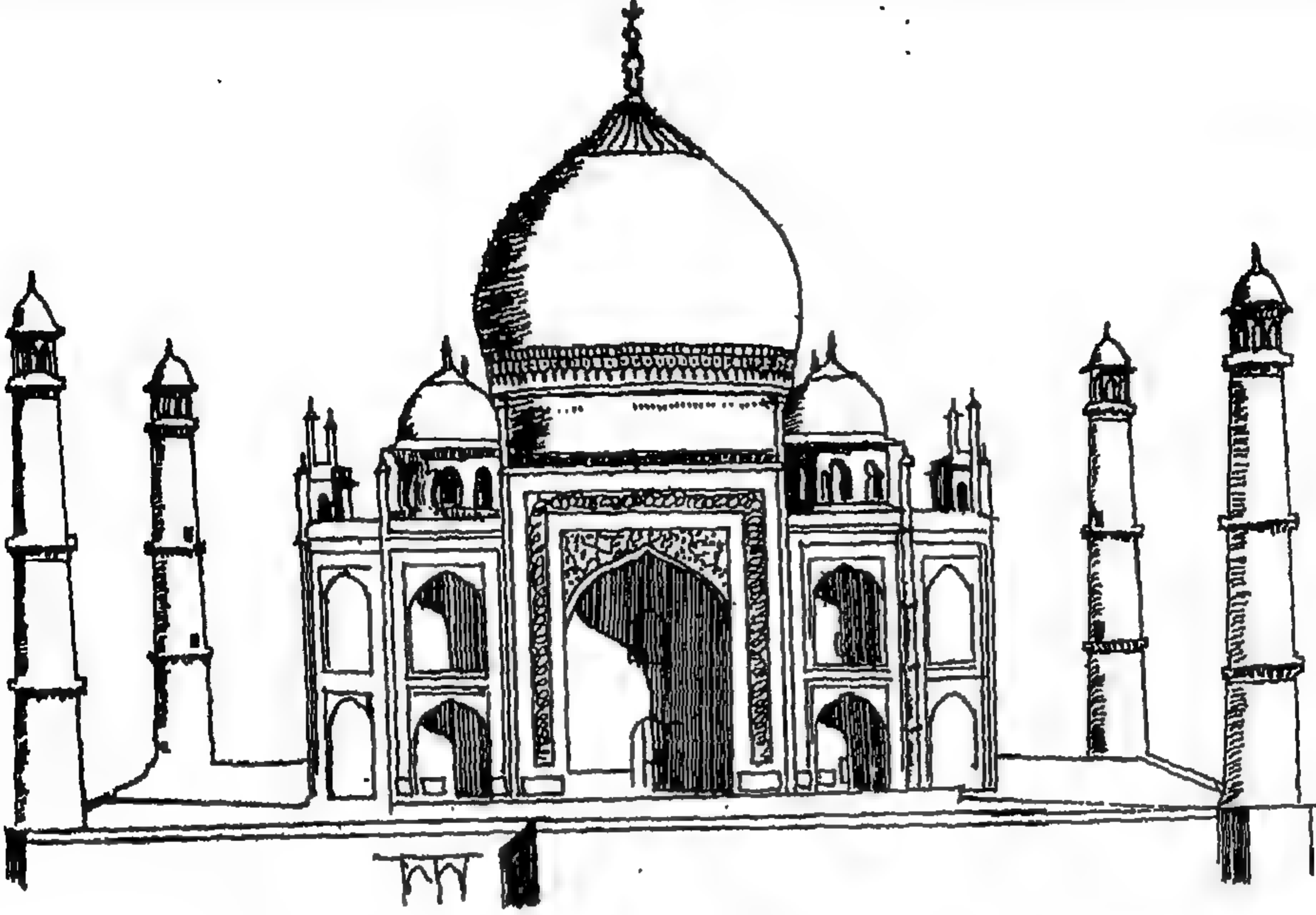
شكل - ١٦ -
مقطع بناء مسجد الجمعة في أردبيل

٣ - المدرسة الهندية : وقد ظهرت في شمال الهند منذ القرن الثاني عشر حتى السادس عشر ابنية اسلامية هندية الطابع ثم جاء سلاطين المغول المسلمين « القرون ١٦ - ١٨ » فاقتبسوا في ابنيتهم القوس والقبة البصلية عن المدرسة الفارسية . وزادوا على ذلك استعمال الرخام المحرق والدعائم الضخمة . ومن اشهر مراكز الفن الهندي الاسلامي مدينة دلهي وفيها قصر أباطرة المغول والجامع الاكبر . وهناك خاصة مدينة « أغرة » التي اشتهرت بأثرها الفني الخارق « تاج محل » وهو ضريح تذكاري لزوجته الشاه جهان المتوفية سنة ١٦٣١ م ظل يبني خلال ٢٢ سنة عمل أثناءها فيه ٢٠ ألف عامل .

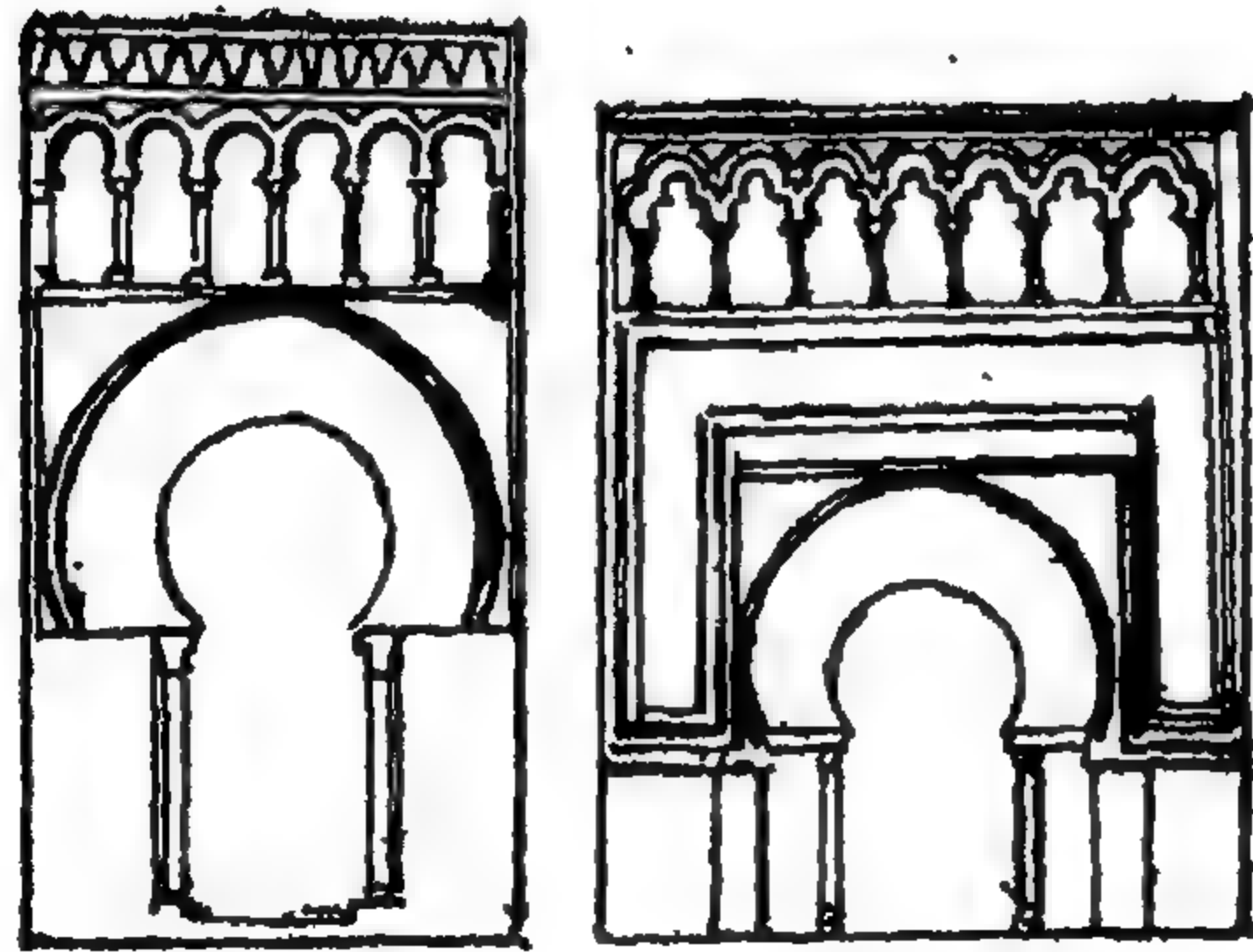


شكل - ١٧ -
نماذج القباب في العالم الإسلامي مشرقية ومغربية

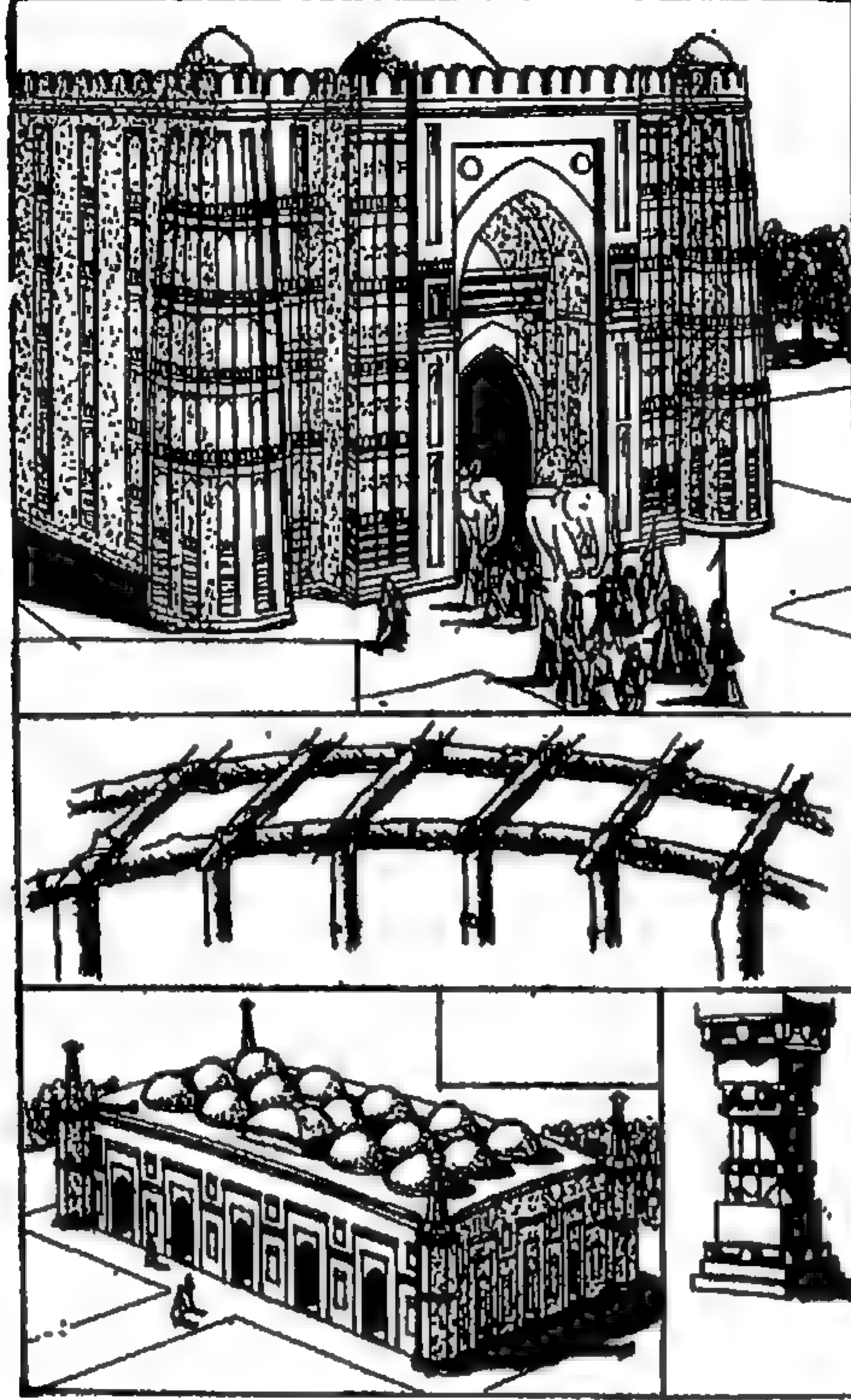
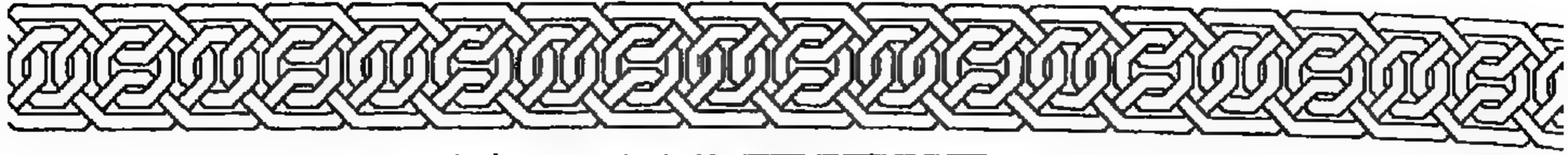
٤ - مدرسة المغرب والاندلس : ظل الطراز الأموي سائداً في الاندلس حتى القرن الخامس الهجري (١١ م) وقد برز خاصة في جامع قرطبة غير أن الطراز المغربي - الاندلسي بدأ بالظهور بعد ذلك في عهد المرابطين والموحدين وازدهر وبلغ أوجه في القرن التاسع هـ (الخامس عشر م) في



شكل - ١٨ -
من روائع الفن الاسلامي في الهند بناء تاج محل في اغرا (١٦٣٥ م)



شكل - ١٩ -
استخدمت نفس الاساليب المعمارية في الاندلس وفي شمال افريقيا الشكل
الى يمين - القساريء لمحراب الجامع الكبير في قرطبة
والشكل الاخر لباب مكتبة الجامع الكبير في القيروان

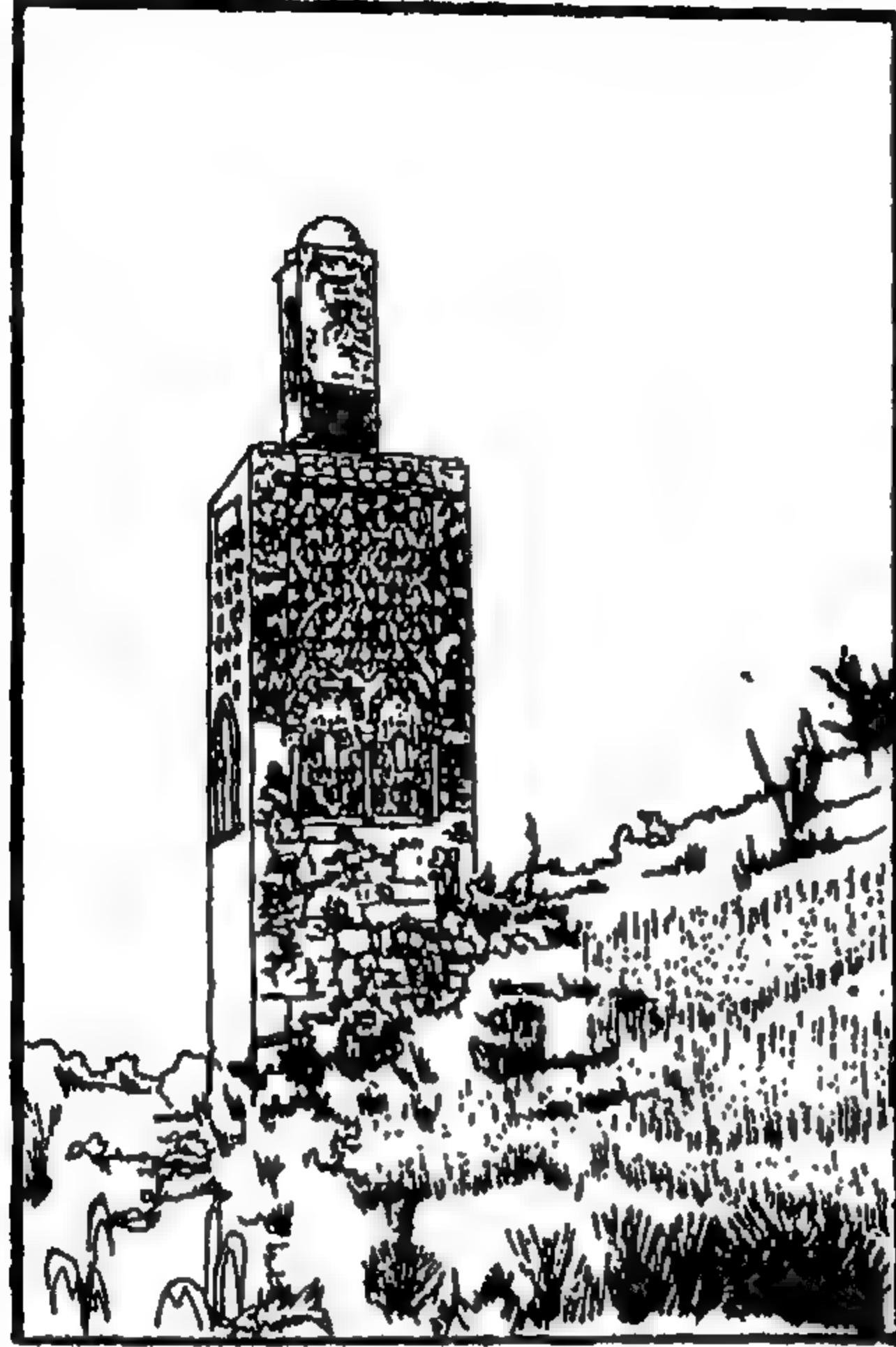
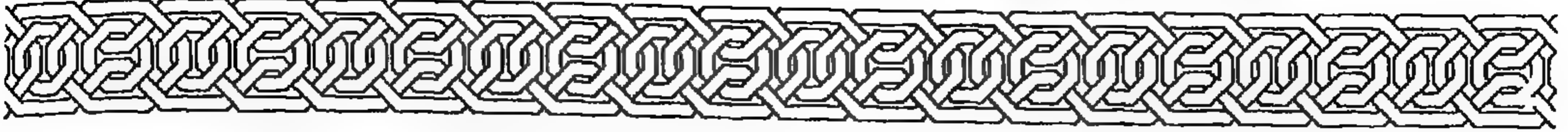


شكل - ٢٠ -

نماذج من فن البناء الاسلامي في الهند . في الاعلى دقهيل
أو سوق مغطاة ضخمة ، وبوابة ، وطريق عبرها
وفي الوسط طريقة رفع السقف وفي الاسفل
مسجد في مدينة غور بني عام ١٤٩٣ - ١٥١٩ م

قصر الحمراء خاصة واتصال القطرين في الحكم مسمح بتشابه الاساليب الفنية
بينها . أما في مراكش فقد استمر الاسلوب الاندلسي المغربي حتى عهد
السعديين « القرن ١٦ - ١٧ » ثم بدأ ينحط بعد ذلك .

وأبرز خصائص هذه المدرسة وجود الشرفة المسننة من الخشب فوق
الابواب الكبرى ، واستعمال القوس المتطاولة ، المليئة بالمقرنصات ، وأما
المآذن فهي عموماً مربعة الشكل مكسوة بالقاشاني والاعمدة وقد كثر في



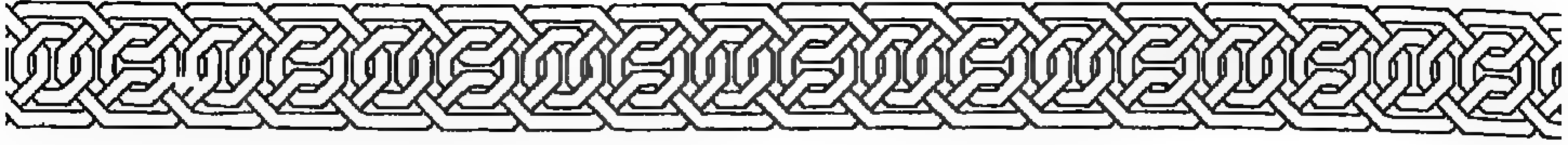
شكل - ٢١ -

بقايا منارة مسجد في الرباط - المغرب - من عهد سلاطين بني
مربن تمتاز بتزييناتها من الفخار المظلي ، أو القاشاني
المغربي الجميل ، الفائر والبارز

هذه المدرسة استعمال الجص المحفور والفسقيات واستعمال اللون الذهبي
في التزيين .

وأهم أبنية هذه المدرسة : جامع قرطبة ومئذنته المربعة البالغة في
الارتفاع ٧٣ ذراعاً . ومدرسة العطارين وجامع القرويين في فاس وجامع
الكتيبة في مراکش عدا قصور الزهراء والحراء في الاندلس .

٥ - مدرسة الاندلس بعد زوال الحكم العربي « الفن المدجن » : لم
ينتسب الفن الاسلامي في اسبانيا عام ١٤٩٢ م بسقوط غرناطة بل استمر
تأثيره في اسبانيا والجزر القوية زهاء قرن كامل تحت اسم الفن المدجن



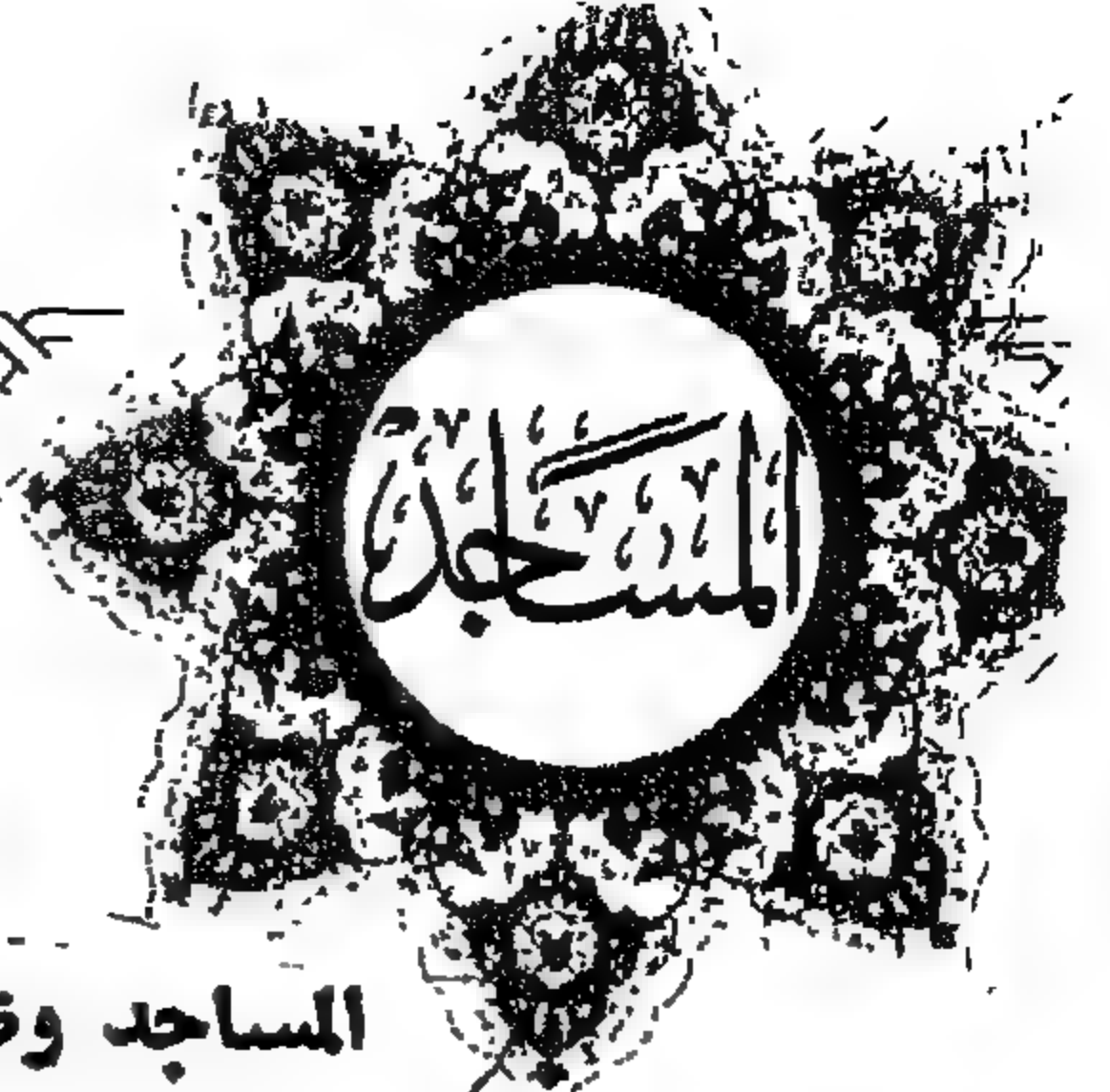
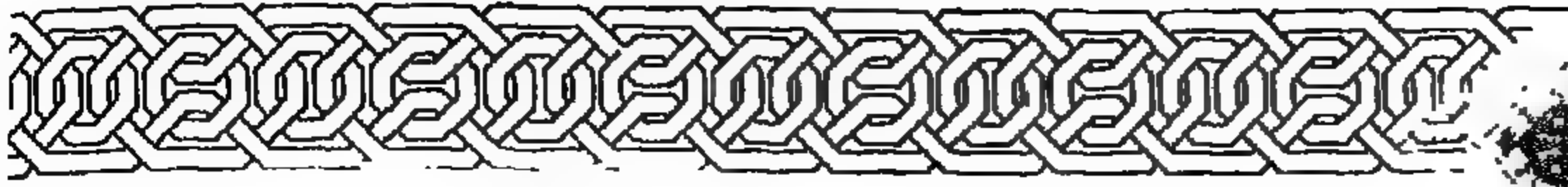
على يد المدجنين وهم المسلمون الاندلسيون الذين بقوا تحت الحكم الاسباني ويظهر اثرهم واثـر العناصر الاسلامية في زخرفة الكنائس الروسية والقوطية ثم اختلطت في ابنية عصر النهضة مع العناصر الواردة من ايطاليا .

واول فن مدجن ظهر في قشتاله ، في الكنائس التي أنشئت بعد عام ١٠٨٥ م عام سقوط طليطلة ، مثل كنيسة سان رومان باقواسها الحدوية وزخرفتها العربية الملونة ، وكنيسة سانت ماري لابلاش في طليطلة « ١٢٠٠ م » والكنيسة الملكية او كنيسة سان فرناندو التي بناها الفونسو الحكيم « ١٢٥٢ - ١٢٨٦ م » في المسجد الاموي الكبير في قرطبة ، وجعل المعمار يون مقرنصاتها وزخارفها النباتية شبيهة بفن غرناطة الاسلامي . وكذلك « القصر » في « اشيليه » « ١٣٥٤ » الذي ذكر عنه المعلقون الفنيون ان بصالاته الفاخرة الزينة وبجداثقه الغناء .. يؤكد بصورة قاطعة استمرار تذوق الفن الاسلامي من قبل الملوك المسيحيين .

٦ - المدرسة العثمانية : تأثر العثمانيون أولاً بالطراز العراقي الفارسي ثم بالطراز البيزنطي فأخذوا عن الأول الزخرفة واستعمال القاشاني وعن الثاني طريقة البناء . وهكذا ظهر مثلاً الجامع العثماني المكون من قاعة مربعة لاصحن خارجياً لها ، تعلوها قبة منخفضة وعلى طرفي القاعة غرف نصف دائرية تعلوها قباب نصفية . أما المآذن فهي لكثرة اضلاعها مستديرة ولكنها رشيقة جداً تستدق في اعلاها ولها شرفتان أو ثلاث شرفات . وتزين هذه المدرسة البناء بالقاشاني الأزرق وبالوان الحجارة احياناً .

وأهم مراكز هذه المدرسة استانبول أما أبرز ابنيها فجامع السلطان بايزيد وجامع السليمانية . ولها في دمشق التكية السليمانية وجامع السنانية عدا قصري العظم في دمشق وحماة .

الفصل الرابع



المساجد وظواهرها المعمارية :

إذا كانت المساجد أهم ما بناه المسلمون من الابنية فان الفن الاسلامي إنما نشأ فيها في الواقع . والمسجد اهم مكان تتمثل فيه العمارة الاسلامية والفن الاسلامي معاً . ولقد ظهر على المساجد الاولى البساطة في البناء والاثاث ، ثم أخذ المسلمون يعتنون بها فيوسعون مساحتها ، ويزينونها بالحجارة والاعمدة ويزينونها لتلائم ما وصلوا اليه من غنى وقوة وسعة ، فكان مسجد قباء الذي بناه الرسول عليه الصلاة والسلام عام الهجرة في المدينة لا يتجاوز باحة مربعة صغيرة تحيط به جدران مبنية من الآجر والحجارة ، يرتكز سقفه المصنوع من الجريد والاعصان على جذوع النخل ، وهو أول نموذج للمساجد الاسلامية ، ثم بني المسجد الثاني في الكوفة بعد سبعين عاماً ، ورفع سقفه على اعمدة من الرخام اخذت من انقاض بعض القصور القديمة ، ثم بنيت المساجد في الجزيرة وفي الممالك المفتوحة . وكانت مساجد الحجاز النموذج الذي تحاكيه مساجد البلدان الاخرى ، وساعد على ذلك مجيء الحجاج في كل عام إلى مكة والمدينة ، وقد أدخل على بناء المسجد في عهد الرسول المنبر ليقف عليه أثناء الخطابة ، ومنع عمر أن يتخذ المنبر في مساجد العالم الاسلامي غير مسجد المدينة ، ولكن المسلمين بعد عمر اتخذوا المنابر للخطابة ، واتخذ معاوية مقصورة في المسجد ليحتجب عن المصلين ، لأنه خشي أن يحل به ما حل بعمر وعلي من اغتيال واقتدى به الخلفاء ، وأدخل على المساجد زيادات أخرى مع الزمن فاتخذت المآذن لأول مرة في دمشق حين أذن المسلمون فيها للصلاة من أبراج المعبد الوثني القديم الذي قام على أنقاضه المسجد الاموي - كما يقول زكي محمد حسن - وأقيمت مآذن في مسجد عمرو في الفسطاط بأمر من معاوية - كما جاء في خطط المقرئزي - واتخذ الحراب الجوف للامام



في الصلاة وللدلالة على جهة القبلة ، وأول محراب كان في مسجد المدينة ، ثم في القسطنطينية ثم في دمشق ، وتعمم بعد ذلك ثم أدخلت **الايوانات** وهي الاروقة التي تحيط بصحن المسجد ولها أقواس مرفوعة على أعمدة أو دعائم ، وألحق بكثير من المساجد غرف خاصة للمؤذن والامام ، أو لايواء طلبة العلم الاغراب ، أو لحفظ مكتبة المسجد ، وفي العالم الاسلامي اليوم آلاف مؤلفة من المساجد ، بعضها قديم وبعضها حديث العهد ، وهي جميعها تحتوي تقريباً ما ذكرنا من حرم وقباء ، ومنبر ومحراب وأماكن للوضوء ومآذن للأذان ، ولكنها تختلف بطراز بنائها ، وتزييناتها ومحرابها ، وشكل مآذنها ، ويغلب على كل اقليم نظام معماري خاص متأثر بالفنون المعمارية السائدة فيه ... ومن أهم المساجد التي بنيت في العصور الاسلامية وكانت ذات ظواهر معمارية أثرت في فن العمارة للمساجد هي :

١ - الحرم الشريف في القدس : يضم الحرم الشريف في القدس ثلاثة

مساجد : مسجد الصخرة ، ومسجد عمر ، والمسجد الأقصى .

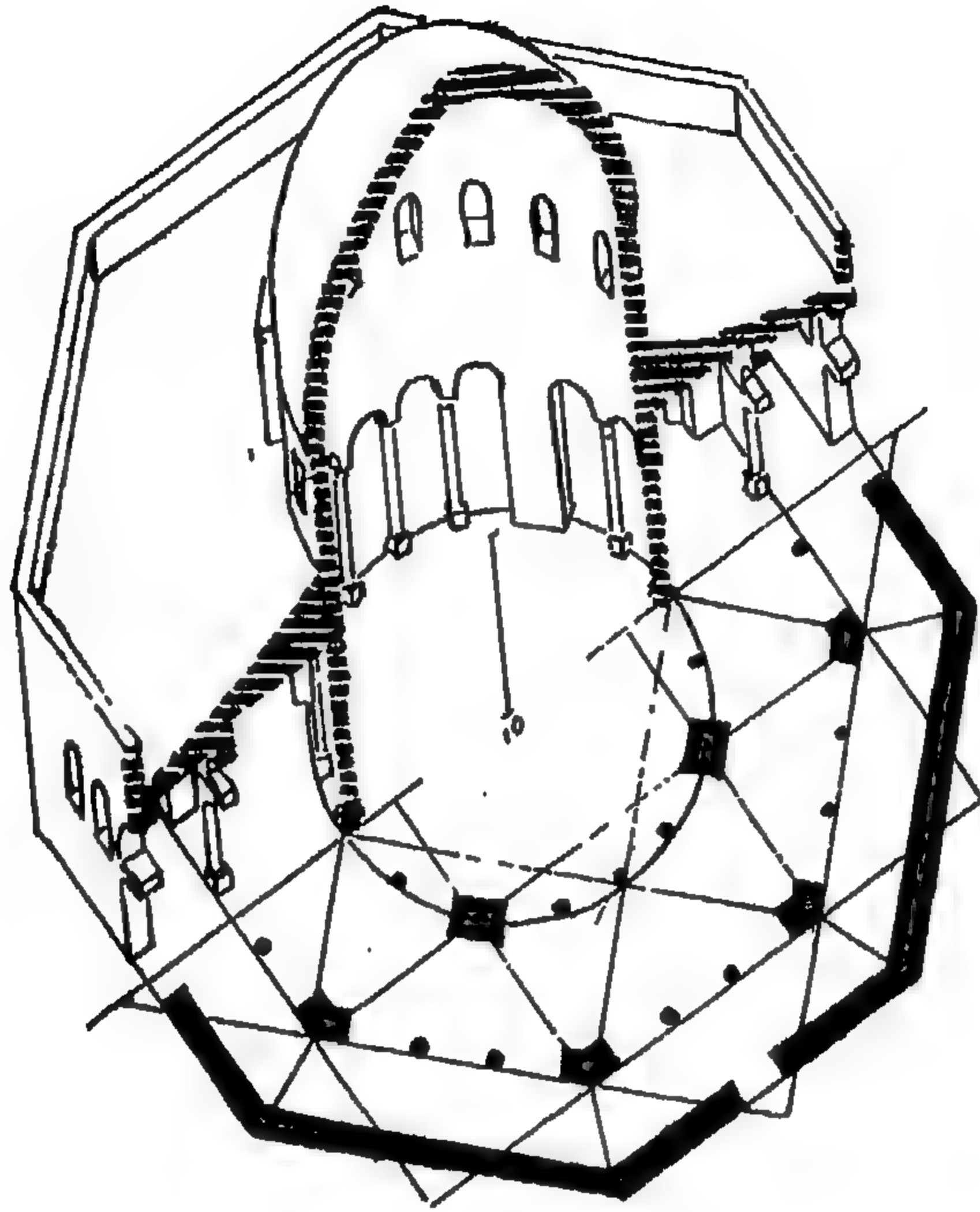
أما مسجد عمر فهو مسجد بسيط يقوم عند الطرف الشرقي من الحرم في المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب لما ذهب إلى القدس ليتسلمها من البطريق صفرونيوس .

وأما المسجد الأقصى فهو المسجد الرئيسي في الحرم وقد بني غرب مسجد عمر ومحاذياً له وهو يشبه في تنظيمه الداخلي الجامع الأموي في دمشق والجامع العمري الكبير في بيروت .

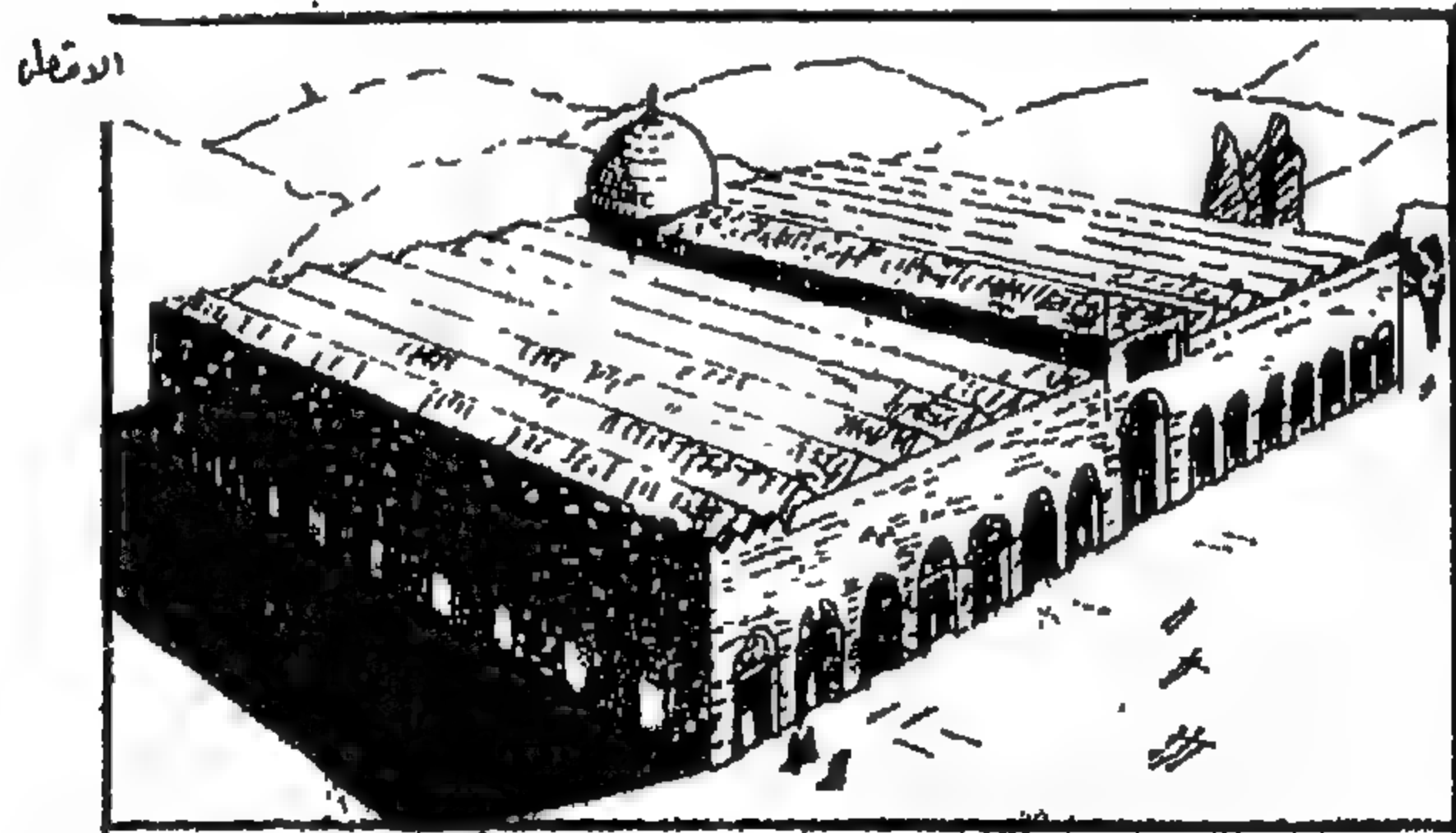
وأما مسجد الصخرة فهو بناء صغير نسبياً مشتمل ، تعلوه قبة كبيرة وكانت أول المساجد التي طلعت على العالم الاسلامي بنموذج جديد من

البناء يختلف عن بساطة المساجد الأولى وزهدها. وقد تم بناء قبة الصخرة في القدس في عهد عبد الملك بن مروان ، فلقد رأى عبد الملك ، أن ينشئ حول الصخرة المقدسة التي وقف عليها إبراهيم عليه السلام ليضحي ابنه ، وفديناه بذبيح عظيم ، ، وهي التي وضع الرسول عليه السلام قدمه عليها في ليلة الاسراء لما عرج إلى السماء ، بناء يتفق ومركز الصخرة الديني عند المسلمين ، وعظمة الدولة العربية القوية والغنية ، بحيث لا يقل رونقها وبنائها وزخرفها عن أعظم الكنائس أو المعابد عند الطوائف الأخرى ، فأحيطت الصخرة ببناء مستدير وحوله رواق دائري ، وجعلت فوق الرواق قبة محمولة على ستة عشر قوساً ترتكز على أربع دعائم واثنى عشر سارية ، وأقيم وراء الرواق عمدان ودعائم أخرى نظمت على شكل مشن منتظم ، وخلفها شيدت ثمانية جدران بارتفاع تسعة أمتار فكان مجموع البناء من الخارج يؤلف مشمناً بديعاً يختلف كل الاختلاف عن بقية المساجد ، وبقي هذا الشكل فريداً في نوعه في البلاد الإسلامية . وقد زينت القبة من الداخل بالفسيفساء ، وقد استبدلها سليمان القانوني سنة ١٥٤٨ م بلوحات من القاشاني المدهون بالمينا ، وكانت استعمال القبة في المسجد - وهي التي كانت مستعملة في الكنائس المسيحية ، وفي أبنية الرومان والبيزنطيين - وفي استعمال الأعمدة ذات التيجان ، والأقواس نصف الدائرية . كل هذا كان فتحاً جديداً في بناء المساجد ، بدأه عبد الملك في القدس ، وتبعه الوليد في دمشق ومما وكمل في المساجد الأخرى المتعددة التي أنشئت في أملاك الدولة العباسية أو في شمالي أفريقيا أو في الأندلس .

وعلى نفس الهضبة التي بنيت عليها قبة الصخرة يقوم المسجد الأقصى وهو بناء أموي تعرض لكثير من عاديات الزمن وهو مؤلف من جناح



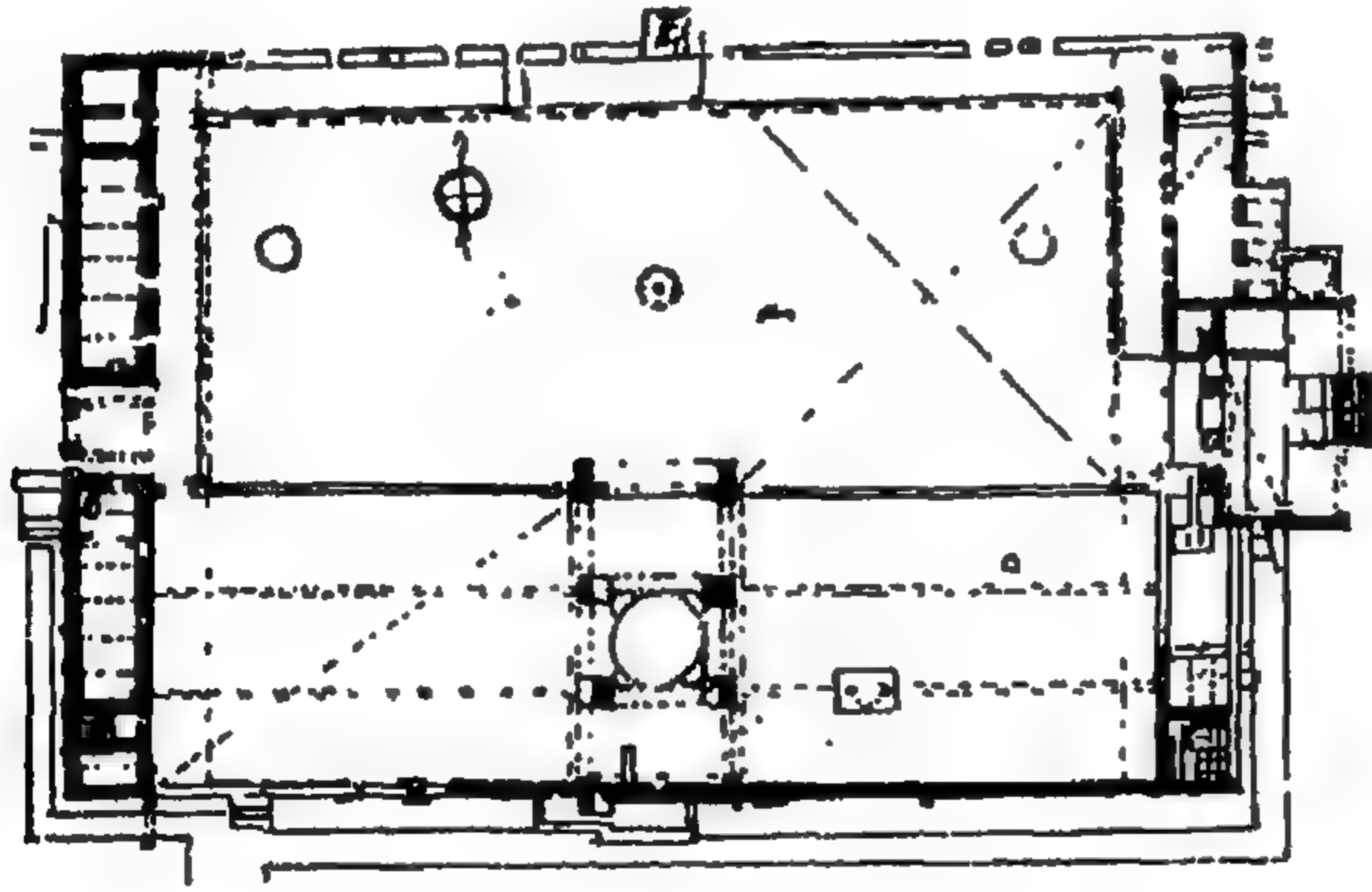
شكل - ٢٢ -
مقطع ومسقط قبة الصخرة في القدس



شكل - ٢٣ -

مركزي عريض تحده أقواس ترتكز على أعمدة وعلى جانبيه جناحان أضيق أضيفت إليه عدة أجنعة على طرفيه .

٢ - المسجد الأموي بدمشق : ويقوم المسجد الأموي بدمشق في منطقة مقدسة من معبد وثني قديم للاله جوبيتر الدمشقي ، وفي عهد الامبراطور تيودور سنة ٣٧٩ م حول الى كنيسة أطلق عليها اسم كنيسة القديس يوحنا ، وكان في كل ركن من أركان المعبد الوثني برج مربع ، وقد اختط أبو عبيدة بن الجراح على المعبد جامعاً ، كما استعمل المسلمون الأبراج للأذان ، ثم جاء الوليد بن عبد الملك وكان كلفا بالعمارة ، فاشترى



شكل - ٢٤ -

مسقط الجامع الأموي في دمشق

الكنيسة من النصارى وعوضهم بدلها ، وأمر بإقامة مسجد فخم مكانها ، وتم تشييده بين سنتي ٨٨ و ٩٦ هـ ، ٧٠٧ - ٧١٤ م ، واستقدم



لبنائه العمال من جميع الاطراف ، وقيل ان امبراطور الروم وجه إلى دمشق مائتي صانع من أمهر الصناع البيزنطيين لينضموا إلى عمال المسجد بناء على طلب الوليد ... والمسجد يتألف من صحن كبير مستطيل الشكل وايران أو بيت للصلاة وطوله ١٣٦ متراً بعرض ٣٧ متراً وفي هذا الايران ثلاثة صفوف من الطارات موازية للقبلة ومحمولة على أعمدة رخامية ذات تيجان كورنثية ، وفوقها أقواس أصغر منها ، وفي الوسط ترى اليوم قبة حجرية أضيفت اليها في عصر متأخر عندما شيدت بشكل بيضوي وقد كان المسجد مفروشاً بالمرمر ، وكانت جدرانه مغطاة بلوحات من الرخام إلى ارتفاع قامة الانسان ، وفوق اللوحات زخارف من الفسيفساء الملونة والمذهبة ، ولم يبق منها إلا جزء في الرواق الغربي ، وقد احترق المسجد عدة مرات ، وأدخل على زخرفته وبنائه بعض التعديل فيما بعد ...

وقد أزيلت الكسوة من بعض الجدران فظهرت ألواح الفسيفساء التي تزين أروقة الصحن وتمثل مجموعة من الاشجار العالية يتخللها قصور وبيوت يعتقد أنها تمثل غوطة دمشق وبردى الذي يرويها .

ويؤكد علماء الآثار أن الأموي بني جميعه دفعة واحدة بعد أن دكت جميع الأبنية السابقة ، ولم يكن بناؤه ترميماً أو إتماماً لبناء سابق . ويقول في ذلك الدكتور سليم عادل : « ونحن لا نقبل نظريات ولزنجور وواترنجور وديسو ولا مانس ومن لف لفهم في أن الوليد لم يبن من المسجد غير القبة والمئذنة الشمالية وانه لم يجر في بناء الكنيسة إلا بعض الاصلاحات الجزئية وذلك لأسباب كثيرة . أهمها : أنه لا يوجد ولا كنيسة يشبه



مخططها مخطط الجامع الأموي ، وإن شكل البناء بصورة عامة يخالف تقاليد سورية النصرانية في فن العمارة . ونعتقد مع تيرش وستوزيكورسكي وسوفاجيه آخر مؤرخي المساجد أنه يقدم لنا نموذجاً متجانساً يصعب القول فيه أنه بني على دفعات في عصور مختلفة ، ثم ان زخارفه الإسلامية تنسجم مع بنائه انسجاماً تاماً يمنع عن التفكير أنها صنعت مستقلة عنه .

ويقول الدكتور زكي محمد حسن : « .. وكان المسيحيون قد شيدوا في هذه المنطقة (أي المعبد الوثني) كنيسة قبل الفتح الإسلامي وقد هدم الوليد هذه الكنيسة وشيد الجامع . فلا صحة لما يزعمه بعض مؤرخي الفنون من أن بيت الصلاة في المسجد الحالي هو كنيسة القديس يوحنا التي قسمها المسلمون بينهم وبين المسيحيين بعد فتح دمشق (أي يقصد أن البناء جميعه من عمل الوليد لا أنه قلب الكنيسة إلى جامع بتغيير مظهرها)

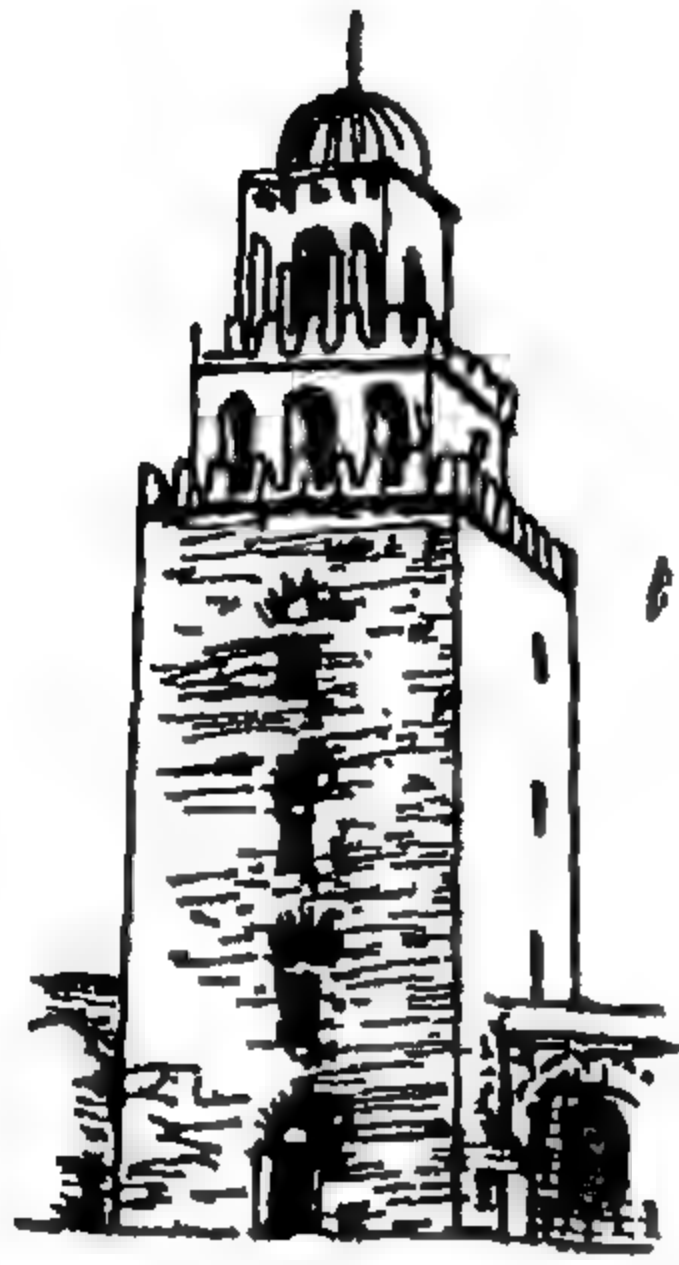
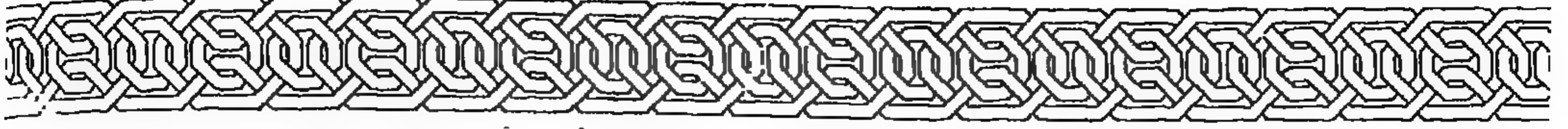
ويقول أيضاً : « ومن المحتمل أن يكون تصميم الجامع الأموي متأثراً بنظام الكنائس السورية وأن تكون واجهة رواق القبلة تشبه واجهة القصور البيزنطية ، وأن يكون الباعث على إدخال البلاطة المعترضة (الرواق النصف في داخل المسجد) في هذا الرواق الرغبة في إظهار أهمية المحراب الذي تنتهي به هذه البلاطة . وفي هذا الجامع بضع نوافذ من الرخام ، فيها أقدم نماذج من الزخارف الهندسية في الإسلام . والحق أن هذا الجامع درة في تاج العمارة الإسلامية . » ويعتبر سوفاجيه أن هذا المسجد كان « أول نجاح معماري في الإسلام » ويؤكد جورج مارسيه أن « البناء المسيحي هدم » قبل إنشاء المسجد إذ أن الصفة



العامة للبناء كما يقول مارسيه « بأقواسه وسقوفه وسطوحه ذات المنحدرين (جمالونين) لا تسمح باعتباره كنيسة محولة إلى مسجد » .

ويؤكد الأمير جعفر الحسني ، ان الوليد ، استصفى كنيسة القديس يوحنا كلها ، فهدمها وشيد مكانها جامع الخالد . الذي أصبح من أكبر مساجد العالم الاسلامي ، بني على غير مثال معروف ؛ استوحى واضع تصميمه من الأبنية السورية قبل الإسلام ، وطرازها المألوف إذ ذاك ، فصاغ منها نوع بناء جديد له طابعه الخاص ، وشخصيته المستقلة ، وقد وفق المهندس والصانع الى حد بعيد في الجمع بين أسلوب البناء القديم وزخارفه وماتستأزمه شروط الحياة الإسلامية وتعاليمها الدينية ، حتى كاد يلتبس على الباحث أصول هذا المزج ويعتبره ابتكاراً لا مزج فيه ولا استعارة ، وهكذا وضعت معه اسس الهندسة العربية التي استراح اليها العرب المسلمون واتخذوها مثلاً يحتذوه . . وللأسف اصاب هذا الجامع غير مرة بزلازل صدعت أركانه ومناراته ، وحرق ست مرات في عصور مختلفة أولها حريق سنة ١٠٦٩ م والأخير سنة ١٨٩٣ م ذهبت بمحاسنه ولم يبق منها إلا النزر اليسير ، وكان يعاد بناؤه في كل مرة الى ما كان عليه قبل الكارثة مع تحوير بسيط .

ومرغان ما شيدت كثير من المساجد التي تشبه في تخطيطها المسجد الأموي بدمشق ، كالمسجد الذي بديء ببناؤه في عهد الوليد وانتهى في عهد أخيه سليمان وهو المسجد الأموي في حلب . وقد شيد في وسط المدينة ما بين باب انطاكية والقلعة ، وقد تطور مع الزمن بناء هذا الجامع واصابه تحوير وتعديل أضاعا علينا



شكل - ٢٦ -

منارة جامع القيروان
(القرن الثامن الميلادي)



شكل - ٢٥ -

مثدنة من مآذن المسجد الأموي
بدمشق (القرن السابع الميلادي)

شكله الأصلي ، ولكن هنالك دلائل وقرائن تحملنا على الاعتقاد بأنه بني على غرار الجامع الأموي بدمشق ، ولكن دونه كلفة ونفقة . وأقل منه اسرافاً بالتمنيق والزخارف . وكذلك يشبه في تخطيطه جامع الزيتونة في تونس ومسجد سيدي عقبة في القيروان ، وجامع قرطبة في الأندلس .

٣ - جامع القيروان : ويدعى بجامع سيدي عقبة ، بناء عقبة بن نافع عندما خط مدينة القيروان سنة ٥٥٠ هـ ، ثم هدم وأعيد بناؤه سنة ٧٦ هـ وزيد في مساحته بأمر هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، والقسم الأكبر من بنائه الحالي يرجع إلى عصر هشام ، ويمتاز هذا المسجد بأعمدته وتيجانه التي نقلها العرب من انقاض أبنية قديمة واستعملوها في رفع سقفه ، وأبعاده الآن تقرب من أبعاد مسجد دمشق إذ يبلغ طوله ١٣٥ متراً وعرضه ٨٠ متراً ، وفي المصلى منه سبعة عشر بهواً توازي محوره الاساسي ، وعلى طرفي البهو الأوسط قبتان رشيقتان . وتتألف مثدنته من ثلاثة أبراج مربعة متعاقبة ، ويرجع بناء الطابق الأول والثاني منها لعهد هشام ، أما

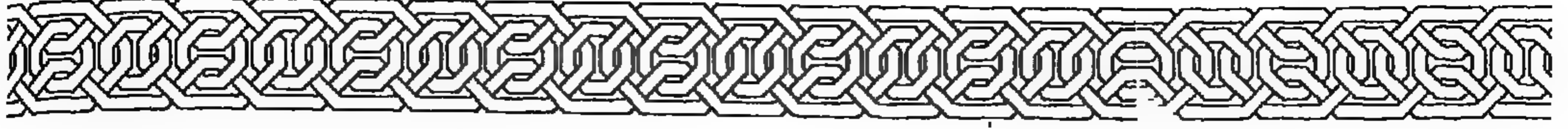


الطابق العلوي فمن المرجح أنه أضيف بعد القرن الخامس الهجري ، وتعد هذه المئذنة من أجل المآذن الإسلامية وتعلوها قبة صغيرة .

٤ - جامع الزيتونة : هو رابع جوامع القارة الأفريقية في الزمان ، فجامع الفسطاط انشئ سنة ١٣ هـ وجامع الناقة بطرابلس (جامع عمرو بن العاص) سنة ٢٣ هـ . وجامع عقبة بن نافع بالقيروان سنة ٥١ هـ وجامع الزيتونة سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م .

وجامع الزيتونة رباط وجامع ، بل رباط فيه جامع . والرباط هو ثكنة (حصن) للمتطوعين لحراسة الثغور . فكان المغرب « دار حرب » يحتاج إلى الدفاع عن المكاسب الإسلامية العربية ... فأسس المغاربة ألف رباط على الساحل من طنجة إلى الاسكندرية لحماية الثغور وحراستها ووقايتها من « الكومندوس » والقرصنة . وجامع الزيتونة رباط لحماية الثغور ، فهو يتركب من أربع قلاع . في كل ركن قلعة مبنية بصناديق الحجر الكبرى ، وفيها صومعة ، مستديرة للاستكشاف والاستطلاع ومراقبة حركة العدو في البحر .

وهو جامعة علمية إسلامية ، تدرس فيه ، علاوة على العلوم اللسانية والدينية ، العلوم الرياضية والطبيعية والطبية ، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته برنامج التعليم وعائلة العلوم التي كانت تدرس وأساليب تدريسها وأسماء الكتب التي تدرس فيها . وحول الجامع كانت أسواق تتعلق بمهمة التعليم وهي سوق الكتّين « الوراقين » وسوق السفارين « المجلدين » ، ومجموعة مدارس لميت الطلبة . وفي الجامع مكتبة أسسها أبو زكريا مؤسس الدولة الحفصية وأضاف إليها من جاء بعده من الخلفاء الموحدين أو من الأمراء



المراديين او الحسينيين فتجمع فيها نحو ٢٥ الف مخطوط منها المنفرد ومنها النادر ومنها النفيس .

يتكون الجامع اليوم من بيت الصلاة والصحن والمئذنة التي تسمى بتونس صومعة وميضاة .

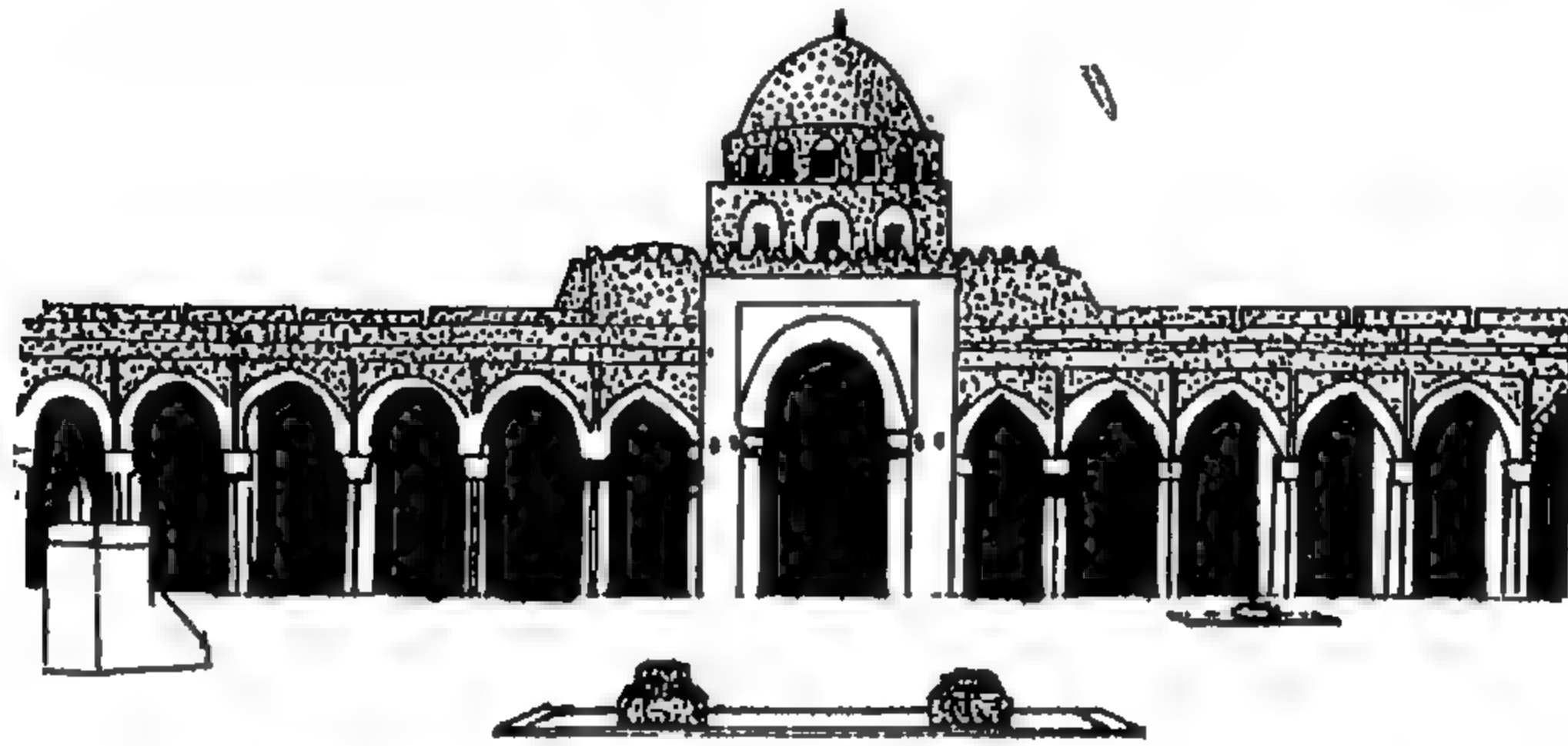
يسكاد جامع يكون متحفا شاملا للانماط والمدارس المعمارية الاسلامية فيه الفن المغربي من أفريقي وأندلسي ومراكشي ، وفيه الفن الفاطمي والعربي والتركي .

أما عن الفن المغربي فبناؤه الأول تجميع من الفنون البيزنطية والارانية والعربية ، تولد منها الفن الإفريقي البحت ، فالقلعة بيزنطية والصومعة المستديرة ايرانية والتأليف العام عربي يحاكي جامع الكوفة . ثم جاء الاغلبة وبنوا المحراب الثاني والقبّة ومقصورة الامير وبيت الصلاة ومجنيات الصحن بعمار أغلبي مغربي فيه الكوفي الأغلب البارز البسيط والقبّة المحكّمة والزليج (القاشاني) الذي جلبه من بغداد اسماعيل الطلاء القيرواني ، ورؤوس الأعمدة المزخرفة بعراش الكروم المفرعة والكتابة بالطومار على طول أعالي جدار الصحن .

ونجد الفن الفاطمي في المجنبة الجنوبية وقبتها التي تحاكي قبة المدخل من جامع عبد الله المهدي بالمهدية . وكذلك تيجان الأعمدة الفاطمية التي زخرفت بصور مجسمة في كل ركن من أركان تاج العمود الأربعة . ونجد الفن الصنهاجي في زخرفة الأعمدة والتيجان التي نقشت أبدع نقش وزخرفت بالكوفي المزهر أبدع زخرفة . ونجد الفن الموحد في الكوفي المربع وأبواب المدخل الشمالي لبيت الصلاة وصحن الجنائز والمكتبة العبدلية القديمة وخزانات الماء ، ثم نجد الفن الأندلسي في زخرف المحراب والأقسام السفلى



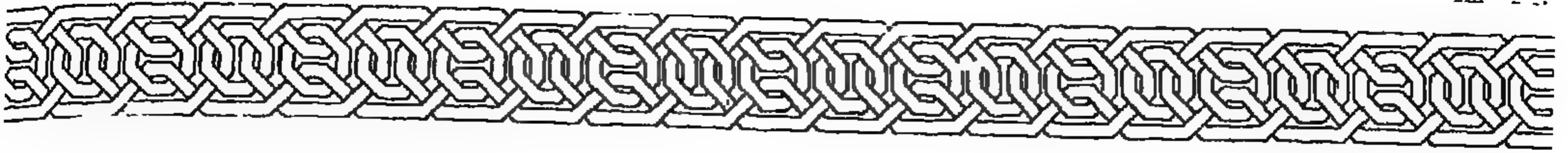
من القبة بالخط الكوفي الأندلسي الرائع . . . أما الفن التركي فنجد في
أبواب دار الإمام وأقواس صحن الجنائز والخطوط المشورة بالرصاص الأسود .
وبالجملة ، الزيتونة مركب إسلامي جامع^(١) .



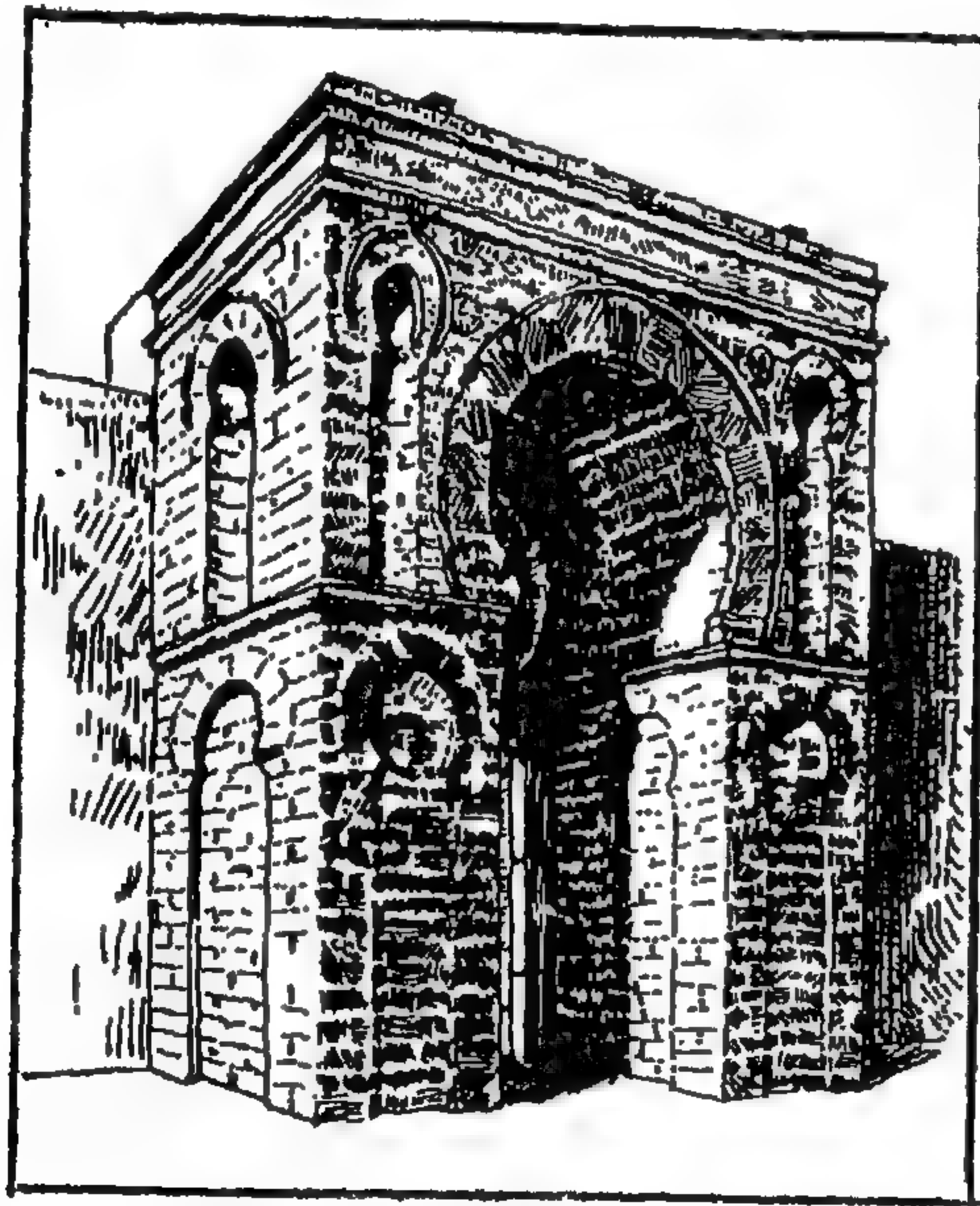
شكل - ٢٧ -
المسجد الجامع في القيروان

٥ - مسجد قرطبة : وقد بناه عبد الرحمن الداخل قبل وفاته بعامين
في سنة ٧٨٦ هـ وأراد أن يضاهي مساجد الشرق سعة وعمراً وعظمة ،
وبني على مثال المسجد النبوي الذي بناه الوليد بن عبد الملك في المدينة
المنورة ، ويمتاز بكثير أعمدته الرومانية وأقواسه على شكل نعل الفرس ،
وكثير منها مزدوج ، يعلو بعضها فوق بعض . وواجهة القبة من الداخل
مزينة بالفسيفساء الدقيقة ، يخاطها قطع صغيرة صدفية وفهية ،
وصورت بشكل أن الناظر إليها من ناحية اليمين يرى مناظر غير المناظر
التي يراها من ناحية اليسار وذلك بانعكاس الضوء فيها . وفي دائرة القبة
والحراب آيات قرآنية بالكتابة الكوفية ، وعن يمين القبة ويسارها بابان
لغرفتين صغيرتين إحداهما لتعبد الإمام والثانية لوضع لوازم المنبر ، أما

(١) عثمان الكعاك . العربي ١١٨

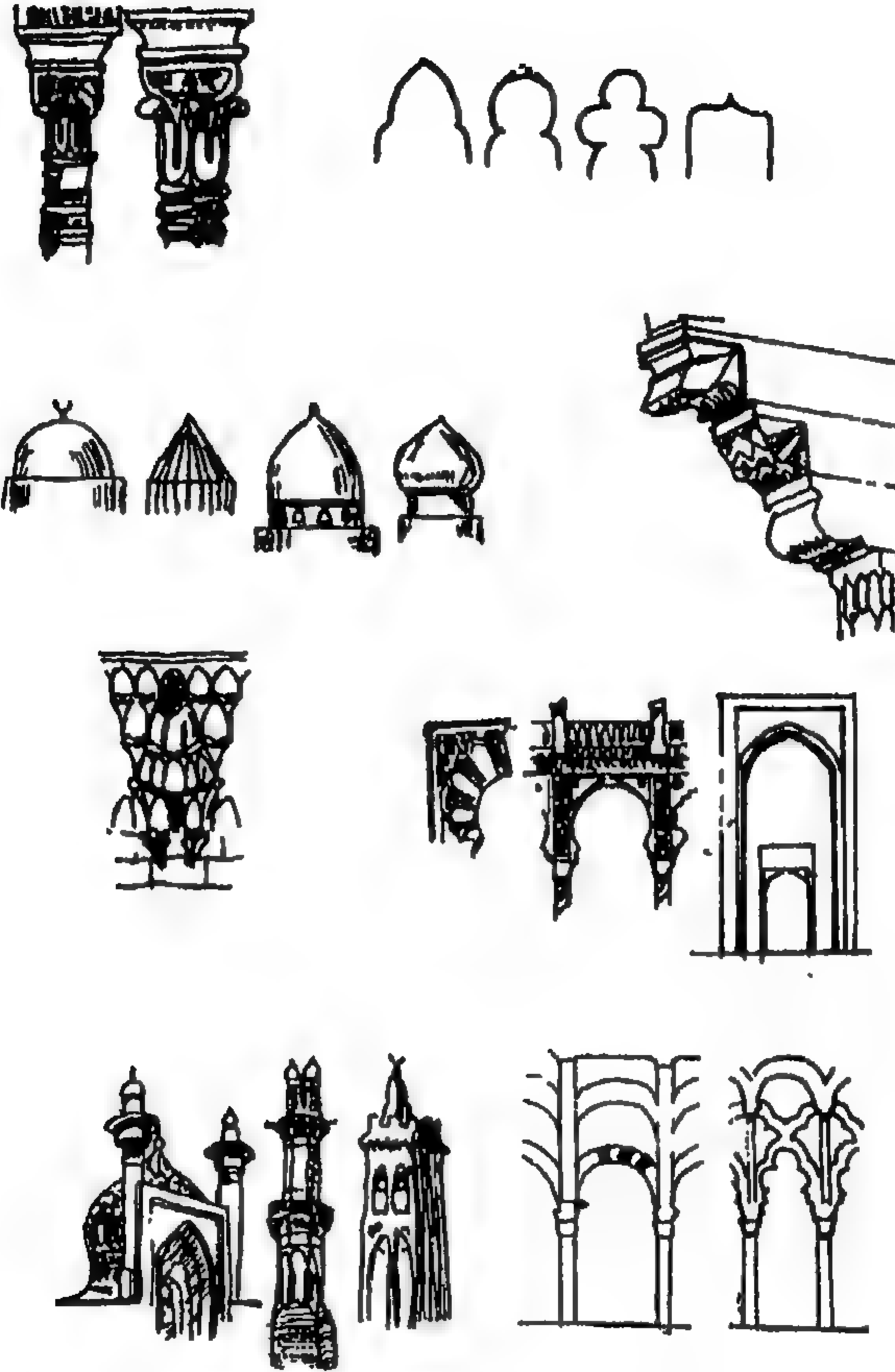


المحراب فواسع من داخله وتعلوه قطعة واحدة من الرخام تكون سقفه ،
كل ذلك باق إلى اليوم ، إذ تحول الجامع في سنة ١٢٣٦ م إلى كاتدرائية
مسيحية باسم « لاموثكيتا » تحريفاً للفظ المسجد .
(٦) مسجد سامراء : وقد بني من الآجر ، واستخدمت فيه دعائم
من الآجر لحمل القناطر عوضاً عن الأعمدة الرخامية ، كما يمتاز بالمتانة
الباقية حتى اليوم ، وهي مثانة مرتفعة ، مبنية من الآجر ، ويصعد إليها
بدرج حازوني .



شكل - ٢٨ -
مدخل الجامع الكبير في المهدية

٧- جامع ابن طولون : وبناه احمد بن طولون على مثال مسجد سامراء
سنة (٢٦٣ - ٢٦٥) ، فبنى فيه مثانة ملوية ، وكسا الآجر بطبقة من
الجبص وزينه بكثير من الكتابات إما بالجبص والآجر او حفرها في الخشب



شكل - ٢٩ -

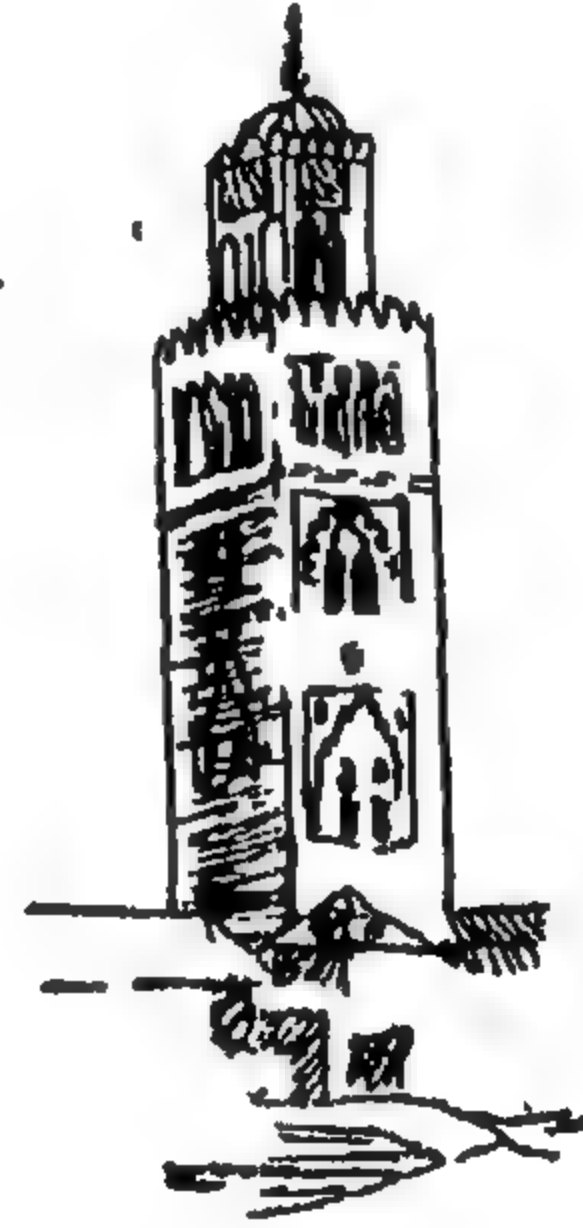
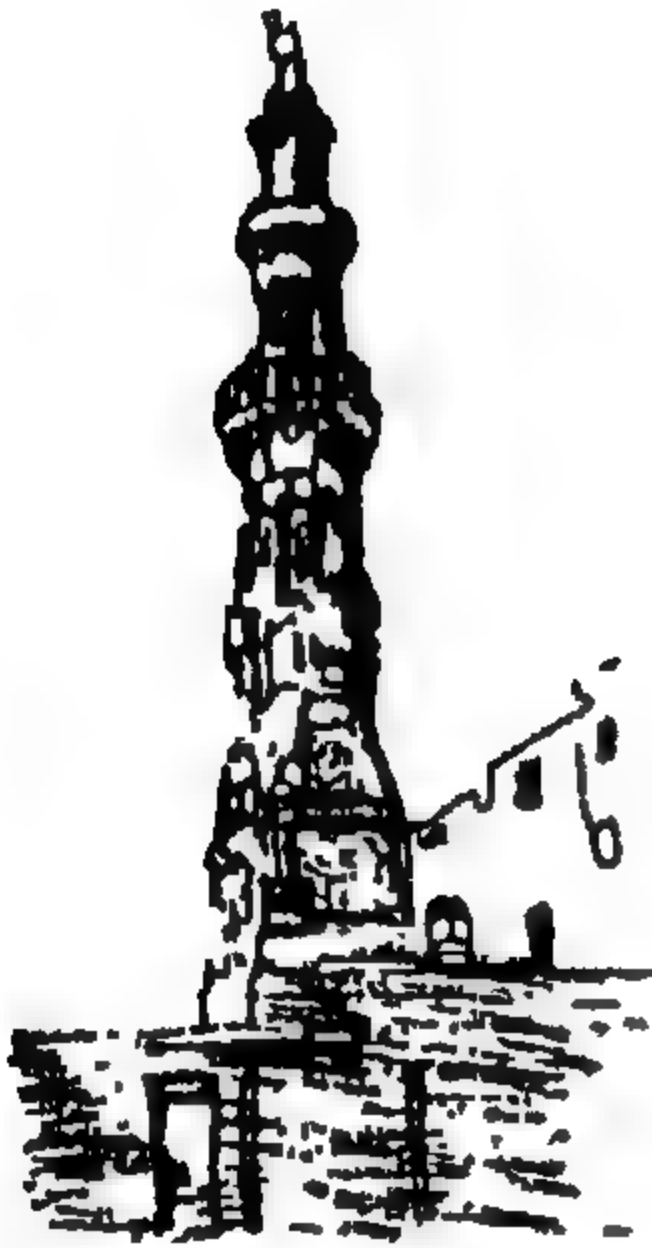
مجموعة اقواس وقباب ومآذن ومقرنصات ، تمثل الطرز
الاسلامية من فن الرياسة والعمران الديني

وعني بأن يكون بنيانه قوياً - وقد بقي حتى اليوم - ليتغذى إلى جانب
الصلاة ، معقلاً له إذا تهدده خطر خارجي أو داخلي ، وليكون مدرسة
دينية ، وداراً للحكومة ، إذ كان يصدر منه أوامر الدولة ، كما كانت
تعقد فيه المحاكم ، ووضع في الجامع خزانة ملائ بالأدوية والاشربة التي
يحتاج اليها المصلون والمرضى ، وعين له طبيباً يقوم بالاشراف على الحالة
الصحية ويداوي خاصة ما قد يطرأ على المصلين يوم الجمعة ، فكان بمثابة



شكل - ٣٠ -

نقش على الرخام في مدينة المهدية في تونس (محفوظ في متحف باردو)

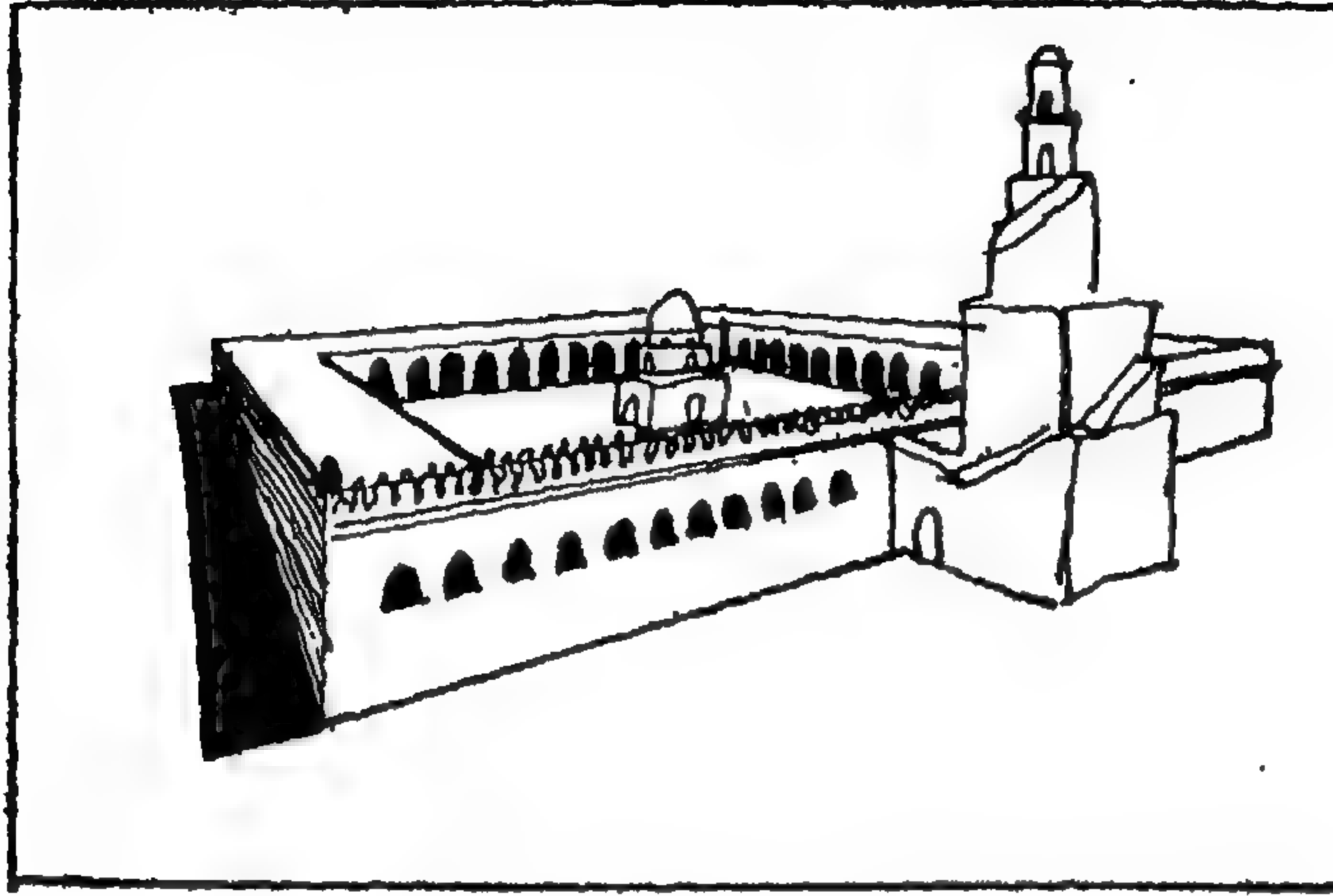


شكل - ٣٣ -
مئذنة أحمد مساجد القاهرة
(القرن الخامس عشر)

شكل - ٣٢ -
نموذج من مآذن القاهرة
في (القرن التاسع)

شكل - ٣١ -
نموذج من مآذن المغرب
الاقصى في مدينة مراكش
(القرن الثاني عشر)

طيب الاسعاف ، وصيدلية الاسعاف ، وهكذا نرى ان مسجد ابن طولون
بني ليكون جامعاً للصلاة ، وقلعة محصنة ، ومحكمة ، ومستشفى ، فلا
عجب ان بذل ابن طولون كثيراً من العناية به .



شكل - ٣٤ -

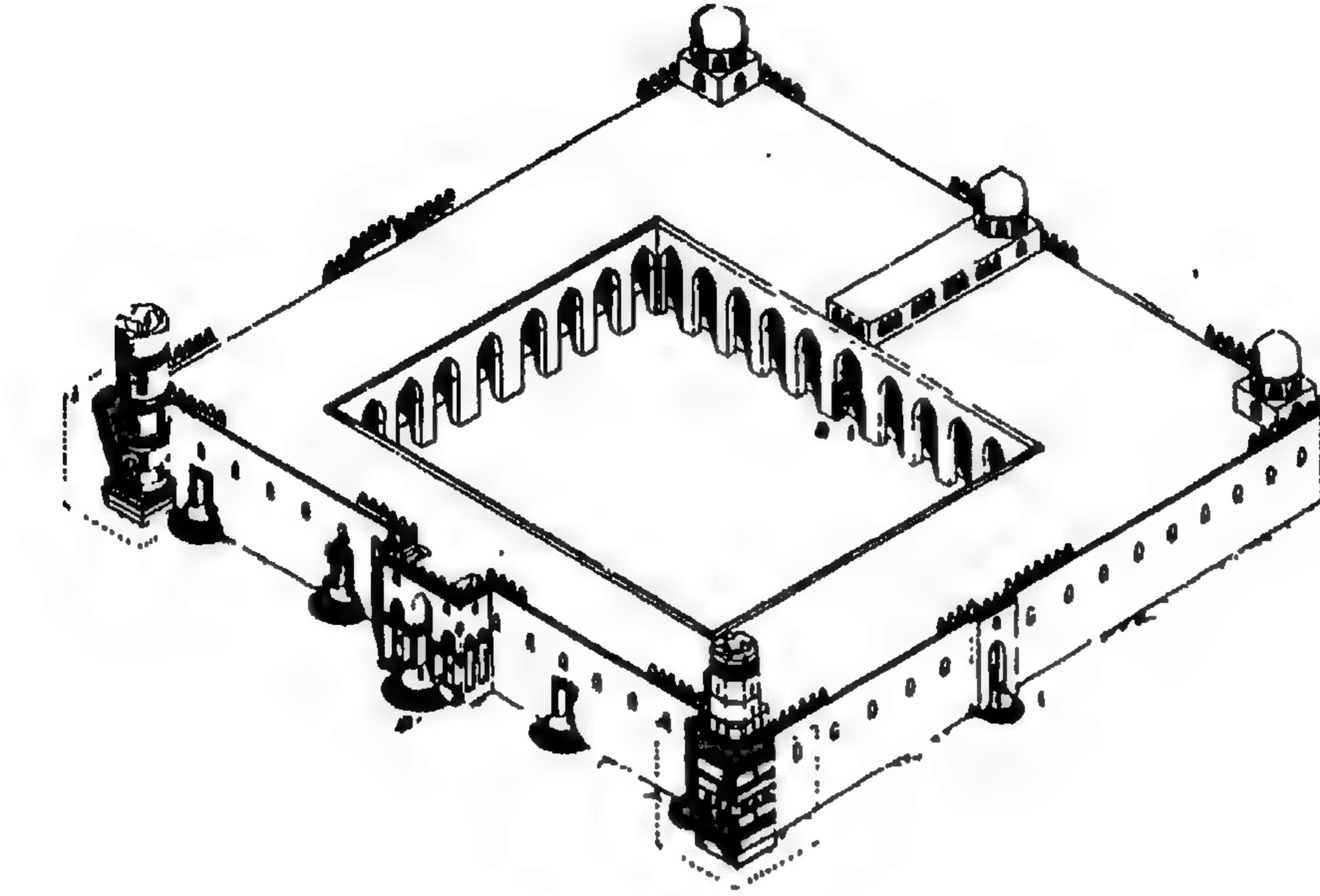
جامع ابن طولون كما كان في عهد بنائه الاول ، وتشاهد الماذنة
المصرية الشبيهة بمئذنة سامراء وهي اقتباس من نظام
بناء الابراج (الزقورات) البابلية في العصور القديمة



43 Mosque of Ibn Tulun

شكل - ٣٥ -

من بقايا مسجد ابن طولون في القاهرة

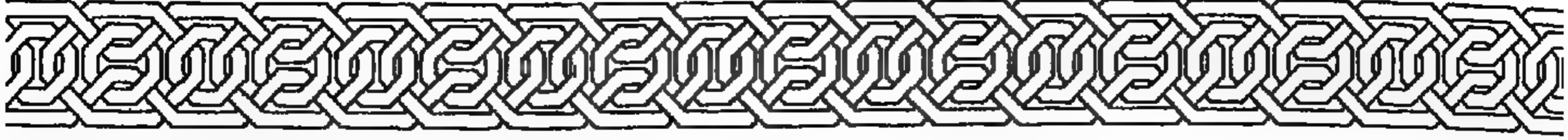


شكل - ٣٦ -
جامع الحاكم في القاهرة وهو نموذج لتطور فن بناء المساجد
في العهد الفاطمي

ومنارة هذا المسجد تمتاز بسلم من الخارج بأربع جوانب ، يصعد منها إلى سطح ، فسلم حلزوني نصف دائري يوصل إلى سطح آخر يتركز عليه الجزء العلوي وهو على هيئة مبخرة وهي المنارة الوحيدة في مصر ذات السلم الخارجي وهي تشبه منارة سامراء .

٨ - مساجد الفاطميين :

الجامع الازهر : نموذج من فن بناء المساجد في عصر الفاطميين ، بناه القائد جوهري العقلي باسم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وتمت عمارته سنة (٣٦١ هـ - ٩٧٢ م) . وقد ادخلت عليه عدة زيادات حتى تضاعفت مساحته واصبح اليوم بشكله الحالي . معرضاً لفن العمارة الاسلامية الدينية في مصر منذ العصر الفاطمي حتى حكم اسرة محمد علي . إذ لم تمض اربع



سنوات على انشائه حتى امر الخليفة الفاطمي العزيز بالله باصلاح ما كان من عمارته يتطلب الاصلاح والتجديد ، ثم جدد الحاكم بامر الله مثذنته سنة (٤٠٠ هـ - ١٠٠٩ م) وكذلك ادخل المستنصر عليه بعض الاصلاحات . وفي عهد المماليك ، جدد عمارته الظاهر بيبرس ، فعمر الواهي من اركانه وبيضه واصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه ، واستجد به مقصورة ، واعاد اليه خطبة الجمعة ، وصلاة الجمعة ، بعد ان كان صلاح الدين الابوي قد امر بأن تبطل فيه والاكتفاء بصلاة الجمعة في الجامع الحاكمي ..

ثم اضيف إلى الازهر مدرستان في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي . ثم مدرسة ثالثة في القرن التالي ... وفي العهد العثماني اضاف الامير عبد الرحمن كتخدا (سنة ١١٦٧ هـ - ١٢٥٣ م) اقساماً هامة إلى بنيانه وتخطيطه وكذلك فعل ولاية مصر من اسرة محمد علي .

ومع كل هذه التعديلات ، فان الازهر لا يزال يحتفظ بأجزاء هامة من عناصره المعمارية الاصلية ، وقد بنيت جدرانه من الآجر ، وكذلك عقوده وقبابه ودعامته . وجميع أعمدته وتيجانها جلبت من آثار قديمة سابقة ، وليس لبناته الاوائل فضل في صياغتها ، وإنما اقتصر فضلهم على تنسيق هذه الاعمدة القصيرة فوق الاسس واعدادها لحمل العقود ، ورفعها إلى اقصى علو استطاعت ان تتحملة .

ومن الزخارف المتبقية من البناء الاصيل اللوحات التي تحف بالنوافذ اذ كانت النوافذ محشوة بستائر جصية مخزومة قوام بعضها حلقات هندسية متشابكة ، وقوام بعضها الآخر أوراق نباتية متجانسة شبيهة بأنصاف المراوح النخيلية .



وكان يدور حول اللوحات والنوافذ اطار متصل يربط بينها جميعاً نقشت عليها كتابة كوفية من آيات الكتاب المبين .

وإذا كان الأزهر نموذجاً لفن بناء الجوامع في العصر الفاطمي بمصر ، فإن مساجد الفاطميين عامة احتفظت بنظم المساجد الجامعة الأولى وكان لها ، مثلها ، بيوت مسقوفة للصلاة ، تمتد موازية لجدار القبلة ، وتنقسم إلى بلاطات ، ومنها ابهاء مكشوفة ، وتحيط بها مجنبات من رواق أو أكثر ، ومساحاتها أصغر من مساحات المساجد السابقة ، فمساحة الأزهر نصف مساحة مسجد عمرو ، وكذلك مساحات الجوامع الفاطمية الأولى كمسجد الجيوشي والأقمر والسيدة رقية في القاهرة . كما أضيفت لهذه المساجد قاعات فيها أضرحة .

٩ - مساجد العصر المملوكي في الشام ومصر : لم يعتبر المهندسون والفنانون العصر المملوكي في الشام ومصر ، عصرأ ذهبياً لتاريخ العمارة الإسلامية ، عن عبث ، وإنما لكثرة وتنوع العماثر التي ظهرت في هذه الفتوة ، من مساجد ومدارس وأضرحة وحمامات وأسبلة وخانات ، لم يحتفظ فيها بالأساليب المعمارية المتوارثة ، بل أضيف عليها كثير من التحسين والتوسيع والاتقان والاناقة وخاصة في الواجهات والمنارات والقباب وفي الزخارف الجصية والرخامية . فمن ذلك مثلاً العناية بواجهات المساجد ، وتحويل صناعة المحراب من الجص أو الخشب في العهد الفاطمي إلى الرخام الذي أصبح الحامة الأساسية في البناء والزخرفة ، وأخذ الرخام الملون يلعب دوره في تغشية الجدران كما أخذت أشغال النجارة الدقيقة ، وعمل الخراطة والتطعيم بالصدف والعاج والابنوس تغشى المنابر والأبواب والشبابيك ،



وظهرت السقوف مموهة بالذهب بدرجة رفيعة من الاتقاق والتناسق والجمال. ومن
مساجد هذه الفترة :

مسجد الظاهر بيبرس في القاهرة : شيد بين عامي ٦٦٥ هـ - ٦٦٧ سنة
١٢٦٦ و ١٢٦٩ م . وشكله مربع تقريباً ، وقوام تصميمه صحن يحيط
به أربعة ايوانات أكبرها ايوان القبلة الذي يتكون من ستة أروقة ،
وواجهته بنيت بالحجر . أما الداخل فبناؤه جميعه من الآجر . وفيه ٢٧ نافذة
بعقد مدببة كانت مزخرفة بزخارف جصية .

مسجد المنصور قلاوون : شيد عام ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م وقوام تصميمه
صحن تحيط به أربعة ايوانات كمسجد بيبرس أكبرها ايوان القبلة أيضاً
وأمام المحراب قبة كبيرة محمولة على عمد من الغرانيت الأحمر .

مسجد السلطان حسن : ويعد أجمل العماير المملوكية في مصر والشام
ويقوم في سفح قلعة الجبل بمدينة القاهرة ، تم تشييده خلال سبعة أعوام
٧٥٧ - ٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٣ م . واجمل ما في هذا المسجد قبو ايوانه
الشرقي الذي يعد من معجزات البناء في الفن الاسلامي ، اذ تبلغ فتحته
١٩,٢٠ متراً يحيط به من الداخل افريز جصي مكتوب فيه بالخط الكوفي
آيات من سورة الفتح ، وهو طراز من الكتابة لانظيره ، وجدران
هذا الايوان مستورة بالرخام وعقد الايوان بني بالآجر ماعدا بدايته فانها
بالحجر . وفي هذا الايوان دكة من الرخام الدقيق الصنع . وارتفاع قبته
الكلي نحو ٥٠ متراً وهي مؤزرة بالرخام الفاخر ، وبها طراز خشبي
منقوش ومذهب ، وكانت القبة من الحشب ومغلقة بالرصاص وغطاؤها الحالي
جديد الصنع .



ويمتاز هذا الجامع بنسبه الضخمة وايواناته العالية ومدخله الضخم الغني بالزخارف ومثدتيه العاليتين وجدرانها الضخمة لما فيها من تجاوزيف عمودية تزيد من ارتفاع البناء ، والكورنيش الفاخر الذي يعلو الجدران فيتوجهاً ويزيد من وحدة البناء كله .

وشيدت في زوايا الجامع مدارس يوصل إليها باب في كل زاوية من زوايا الصحن ، ألحقت بها مساكن للطلبة ، وقد أراد السلطان حسن أن تدرس فيها المذاهب الأربعة .

١٠ - **مساجد العصر السلجوقي** : ظهر أثر السلاجقة في العراق وإيران وآسيا الصغرى والشام ، وهم رغم انتمائهم إلى قبائل تركية واعتمادهم على أبناء المناطق التي سيطروا عليها سياسياً ، رعوا الفنون المعمارية ، وظهرت في عهدهم مساجد وعمائر ذات طراز خاص متميز بالضخامة والمظهر القوي ، وقد تأثروا في بنائها بما ظهر من أساليب معمارية في الهند على يد محمود الغزنوي والدولة الغزنوية . . . وأكثر الابنية السلجوقية مجموعات تضم : المسجد ، المدرسة ، الضريح ، ولقد طغى اسم المدرسة أحياناً على اسم المسجد كالمدرسة المستنصرية في بغداد مثلاً المنسوبة إلى الخليفة المستنصر ، والتي خصصت لتدريس المذاهب الأربعة . فكان لكل مذهب أيوان خاص فيه المسجد وموضع التدريس . وفي داخل المدرسة حمام للطلبة ودار للوضوء . وهكذا اختلط بناء المدرسة مع بناء المسجد . وجمعت إيران بشكل خاص بين تصميم المدرسة ذات الصحن المستطيل وبين استخدام القباب في المساجد ، وصار الصحن في المساجد الجديدة يختلف كثيراً عن فناء المدرسة . ومن أشهر مساجد إيران في هذه الحقبة ، مسجد الجمعة في مدينة أصفهان



الذي بني في عهد السلطان السلجوقي الكبير أبو الفتح مكلشاه . اما عمائر الجزيرة الفراتية والعراق فتميزت بآيوانات واعمدة واكتاف ، منها الجامع النوري في الموصل الذي أمر بتشييده نور الدين محمود زنكي ، اتابك الموصل ، وكان قوام هذا الجامع صحناً تحيط به آيوانات ولا يزال أحدها قائماً مع المنارة المعروفة باسم الحدياء ويزيد ارتفاعها على ٥٠ متراً . وهي غنية جداً بالزخارف الهندسية المؤلفة من اختلاف وضع الآجر وأكثر مساجد السلاجقة في بلاد الشام امتازت بتزيين جدار القبلة منها بزخارف من الحجر جميلة ودقيقة الصنع ...

وقد اتسع في هذا العصر نطاق استعمال الفسيفساء الخزفية والقاشاني في تزيين الجدران ، وعملت محاريب خزفية مسطحة ذات رسوم تمثل محراباً يحف به عمودان بارزان . واستعملت الكتابة الكوفية المزهرة ، وتطور الخط النسخي تطوراً كبيراً وبخاصة في القرن الثاني عشر الميلادي .

١١ - مساجد العصر المغولي في ايران : بعد أن قضى هولاكو زعيم التتار على بغداد ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وقتل الخليفة المستعصم ، اعتنق اتباعه الاسلام واسسوا الاسرة الايلياخية في ايران حكمت قرابة قرون من الزمان ، وقد تأثروا بالثقافة الصينية والايرانية القديمة فتطورت ابنيتهم نحو الرشاقة ، وهم وان احتفظوا بطابع الفن المعماري السلجوقي المتمثل في مسجد الجمعة في اصفهان ، إلا أنهم أشبعوها بالأساليب الفنية الصينية ، من ذلك مسجد فرامين وجامع جواهر شاد بمدينة مشهد والمسجد الجامع بمدينة يزد .

وجامع فرامين بني عام ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م وهو مرحلة جديدة للوصول إلى التصميم الايراني البحث في تصميم المساجد ، ويقوم تخطيطه المستطيل على



صحن حوله أربعة ايوانات متعامدة ، ويغطي الايوان الرئيسي قبة ، ويجف بالايوانات اروقة محمولة على اكتاف ومغطاة بطريقة الاقواء .

وفي عصر تيمورلنك وما بعده شاع بناء المساجد التي تعلوها قبة ضخمة ويؤدي إليها مدخل عال يلفت النظر بعظمته وفخامته ، مثل مسجد كليان في بخارى بما فيه من ايوان ضخم في الجبهة ومثذنة اسطوانية تبعث الرهبة في النفوس .

وابدع مساجد هذه الفترة الجامع الازرق في تبريز الذي شيد في منتصف القرن التاسع الهجري (ق ١٥) ، وكان في وسطه قاعة كبرى عليها قبة وحولها قاعات اصغر حجماً وعلى كل منها قبة اقل ارتفاعاً . وفي أحد الجوانب ضريح ذو قبة عالية .

وفسفساء هذا المسجد الحزفية غاية في الابداع والجمال . وتمتاز بلونها الازرق الناصع والازرق الادكن ، والاسمر والاخضر الادكن . وزخارف العصر المغولي الايراني وصلت إلى حد الابداع بقوالب الآجر وفسفساء القرميد ، كما في الجامع الازرق المذكور ، واصبحت الزخرفة بالآجر غير المطلي بالدهان المتقنة من خصائص هذا العصر . كذلك استعمال الجص في صنع النقوش في محاريب المساجد (واستعمل الجص في نقوش آدمية وحيوانية بارزة في زخرفة القصور) والاكتار من المقرنصات بما يذكرنا بمقرنصات الطراز الاندلسي والمغربي كما في قصر الحمراء . وانشأ التيموريون عدداً من المدارس ، مع المساجد ، ومنفصلة عنها ، منها مدرسة سمرقند التي شيدها تيمورلنك ٨٠٣ هـ / ١٣٩٩ م .



١٢ - مساجد العصر الصفوي : اتخذ الصفويون الذين تأسست دولتهم عام ٩٠٧ هـ / ١٥٠٢ م مدينة تبريز الإيرانية عاصمة لهم ، ثم نقلت العاصمة بعد ذلك إلى مدينة اصفهان . وقد حاول الصفويون بعث الحضارة الإيرانية القديمة ، ومحاكاة الأساليب الفنية الإيرانية في منشآتهم العمرانية ومنها المساجد وما يلحق بها من أضرحة أو مدارس . وأشهر المساجد الصفوية ، جامع وضريح الشيخ صفي الدين في مدينة اربيل ، وهذا الشيخ هو الولي الذي ينتسب إليه الصفويون لذلك عمدوا إلى جعله من الضخامة والجمال والغنى ما ينافس به بقية المساجد والأضرحة في المناطق الأخرى ، حتى أنهم اضطروا بعد وقت من إقامة بناء خاص ملحق يعرف بقصر البورسلين أو الصيني « شني خانة » لحفظ مجموعة الخزف الخاصة بالضريح .

ويعتبر مسجد الشاه في اصفهان التحفة المعمارية الثانية للصفويين .
وجميع المساجد والأضرحة الصفوية محلاة بالفسيفساء الخزفية ذات الألوان الجميلة ورسوم الزهور والفروع النباتية البديعة ومنقوشة بالزخارف الجصية الملونة مما اكسبها طابعها الخاص ، تجلى فيه ذوق الإيرانيين الفني ، ومهارتهم في منح ألوانهم الهادئة سحراً وجاذبية ...

وانتشر الطراز الصفوي ، خارج إيران ، فيما أنشأ الصفويون أو ما أنشأ من مساجد شيعية في المناطق التي وصل إليها نفوذهم ، وخاصة في العراق كمساجد وأضرحة النجف وكربلاء وسامراء ومثلها البارز في بناء « مشهد الكاظمين » في بغداد .

١٣ - مساجد العصر الهندي المغولي : بعد أن نشر الغزنويون الطراز المعماري السلجوقي فيما فتحوه من الهند ، مرت على المناطق الإسلامية عهد من الجمود ، إلى أن أقام الامبراطور باير حفيد تيمورلنك في دلهي امبراطورية



اسلامية مغولية ٩٣٣ - ١٢٧٥ هـ / ١٥٢٦ - ١٨٥٧ م وشيدت في هذا العهد كثير من المساجد ، جمعت بين الأساليب الهندية القديمة وطبيعة العبادة في المساجد الاسلامية ، واقتبست بعض الطرز الايرانية المعمارية ، فجاءت نسجاً جديداً نسجه بحق طراز البناء الهندي الاسلامي .

ومن أشهر مساجد الهند في هذا العصر الجامع الكبير في بيجابور الذي شيد في منتصف القرن العاشر الهجري / ١٦ م ، ومسجد الجمعة في دلهي الذي شيده شاه جيهان ...

ومساجد الهند تمتاز بمداخل كبيرة تبدو كأنها أبنية قائمة بذاتها ومنارات عالية وقباب بصلية .

وتلحق الأضرحة بالمساجد ، ولعل ضريح « تاج محل » أشهر ضريح ، لا في الاسلام ، بل في جميع العصور ، وهو الذي أقامه الامبراطور شاه جيهان لزوجته ممتاز محل بين عامي ١٠٣٩ - ١٠٥٨ هـ / ١٦٣٠ - ١٦٤٨ م في مدينة أجرا العاصمة آنذاك على ضفة نهر جمنا . وهو عبارة عن مبنى مغطى بقبة بصلية عالية حولها أربع قباب أصغر منها ويحيط بالمبنى أربع منارات رشيقة كالحراس الامناء ، وتقدمه حديقة كبيرة ، والمبنى مغطى بالمرمر الناصع البياض وسط الحدائق والمباني المجاورة المشيدة من الحجر الرملي الأحمر ، ونسب هذا البناء تتكامل مع قناعاته ، وبما تحدثه من ظلال وأضواء تكاملاً عجباً ، تجعله درة في جبين العمارة الاسلامية في الهند .

١٤ - **مساجد العثمانيين** : قبل انتقال العثمانيين إلى استانبول وإتخاذها

عاصمة ، اعتمدوا الطراز السلجوقي ، لا في المساجد فعصب بل في جميع عماثرهم ، وبعد فتح القسطنطينية ، تأثروا بالبناء البيزنطي المتمثل في آياصوفيا التي حولوها إلى مسجد .



وأول مسجد تأثرت هندسته بها ، مسجد المحمدية أو مسجد محمد الفاتح
(٨٦٧ - ٨٧٣ هـ / ١٤٦٣ - ١٤٦٩ م) الذي نقل عن آياصوفيا نظام القبة
وانصاف القبة .

ويعد العصر الذهبي لبناء المساجد العثمانية ، ما بني من تصميم وإشراف
المهندس التركي المسلم سنان الذي صمم خريطة ١٣٥ حماماً تركياً وأشرف
على بنائها وأكثر من هذا العدد لحرايط المساجد . وأبدع منشآته جامع السلجانية
في استانبول الذي دفن بجواره ويتكون من صحن سماوي تحيط به بوائك
تغطيها قباب صغيرة . وتغطي الحرم قبة كبيرة تحيط بها أربعة انصاف
قباب . وتقوم في جوانب المسجد مآذن طويلة ذات قمم مخروطية .
وقد نسج المهندسون العثمانيون على منوال سنان بعد وفاته لذلك عد
إمام المدرسة العثمانية المعمارية في المساجد سواء في آسيا الصغرى أم في مصر
والشام في العهد العثماني .

وأشهر المساجد العثمانية :

مسجد السليمية في أدرنة : بناء سنان ، وأظهر أقصى عبقرية في إقامة
القبة الضخمة على ثمانية اكتاف كبيرة ، وفي الاكثار من النوافذ والفتحات
تخفف من ضغط البناء .

جامع السلطان أحمد في استانبول (١٠١٨ - ١٠٢٥ هـ / ١٦٠٩ - ١٦١٦ م) :
بناء محمد آغا ثاني مهندس العصر العثماني بعد سنان ويقع بجنوبي آياصوفيا .
وجعلت قبتة أعظم من قبة آيا صوفيا .

جامع سنان باشا المعروف بالسنانية في دمشق : ويتميز بمئذنته المكسوة



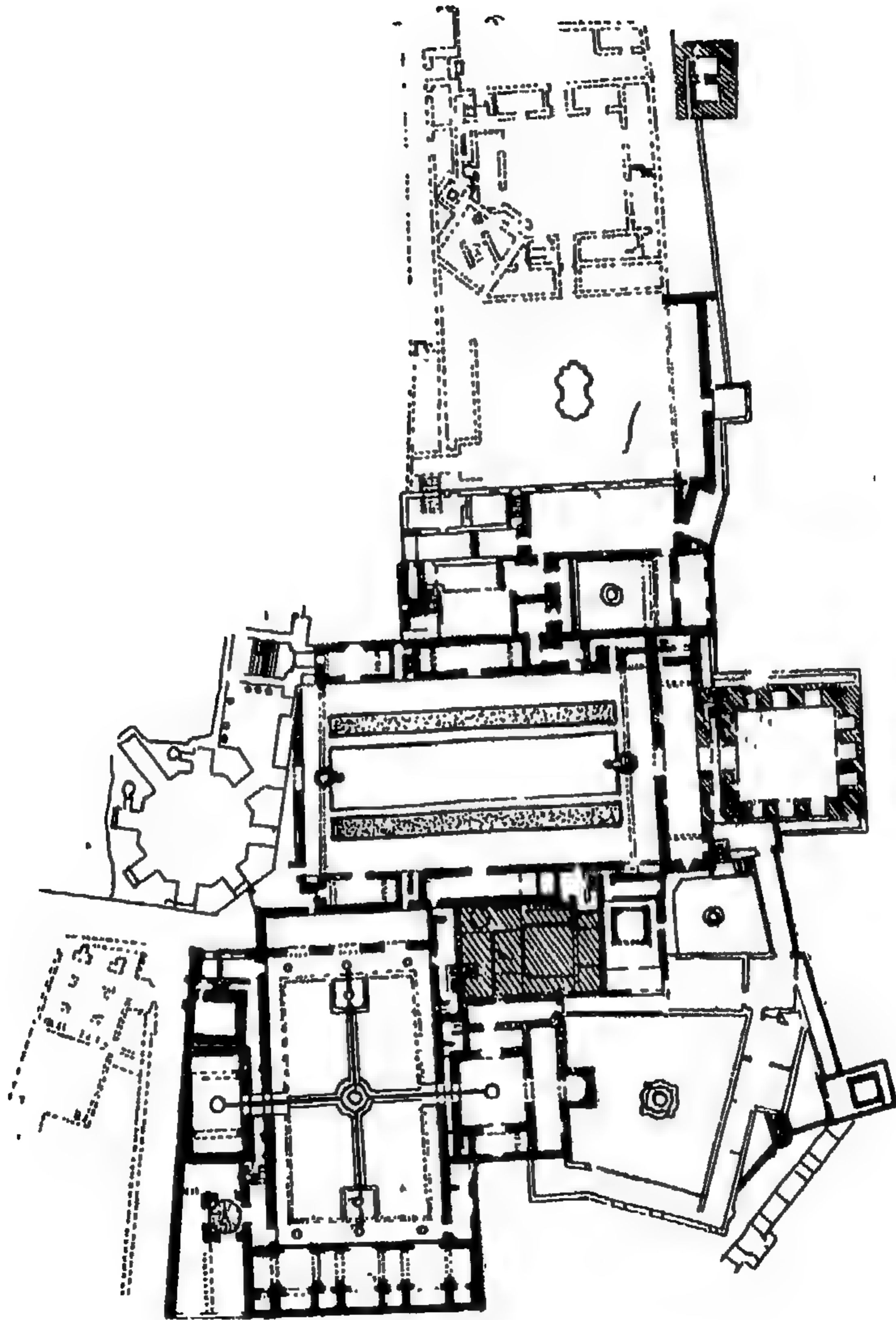
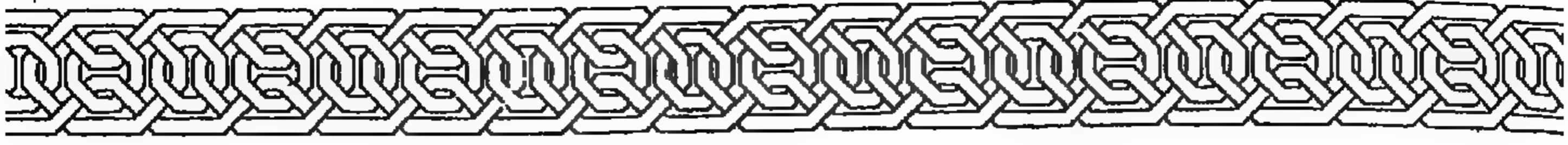
بالزخرف الزنجاري ، وبجرمه الجميل الغني بالواح الرخام المجزع والألواح القاشانية .

جامع درويش باشا (الدرويشية) : وهو أغنى مساجد العثمانيين في سورية بالواحه القاشانية التي تعتبر أجمل وأروع وأرثق ما صنعه الفنانون الشاميون .
جامع العادلية وجامع الحسروية في حلب : وفيها كثير من ألواح القاشاني الجميلة .

مساجد : سليمان باشا بالقلعة ، مسجد الملكة صفية ، مسجد محمد أبو الذهب ، ومسجد محمد علي بالقلعة وكلها في القاهرة .

ويمكن أن نلحق بالحديث عن المساجد العثمانية ، مجموعة العمارات التي ظهرت ، وتشبه من حيث تنوعها ، وتنوع الافادة عنها : الزوايا المقامة في شمال أفريقيا ، وتضم مسجداً ، وحجرات للدراويش وغرف للطلاب ، ومطاعم للحجاج والطلاب والمحتاجين ، وقاعات للدراسة ، تلحق بها مساحات من الحدائق والبساتين ، وتسقى بعدد من البحرات والنافورات ... الخ . وخير مثال على ذلك التكية السليمانية في دمشق ، وفيها جامع قبه ومئذنتاه من الطراز العثماني الاستانبولي ، وبابه ومحرابه واروقته من الاسلوب العربي ... وتلحق بها غرف مسقوفة بقباب صغيرة تتناسب وحجمها ...

المآذن : ذكرنا ان المآذن اتخذت لأول مرة في دمشق عقب دخول المسلمين اليها ، حين اذن المسلمون للصلاة على ابراج المعبد الوثني القديم ، ثم صنعوا مثلها في بناء مساجدهم . واطلق على المئذنة اسم « منارة » تشبيهاً لها ببناء المنائر على سواحل البحر ، وسميت بالمغرب الصومعة وتنطق « الصمعة » جمعها « صممع » وكانت المآذن الاموية مربعة ، كما أن المسجد الاموي بدمشق ، واستمر هذا الطراز المعماري خلال العصر الاموي في شرق او

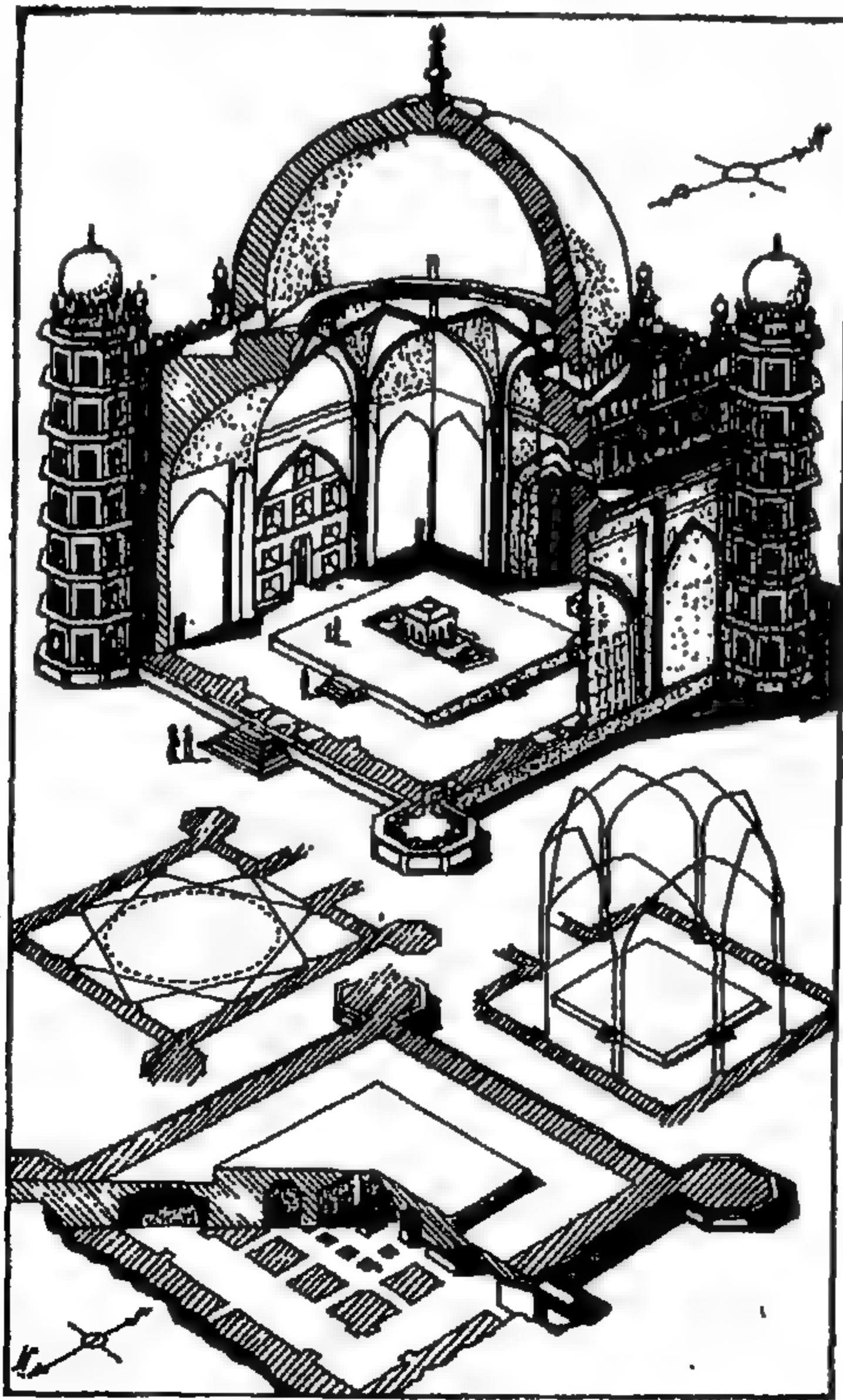


شكل - ٣٧ -
مسقط جامع غرناطة والإبنية الملحقة به



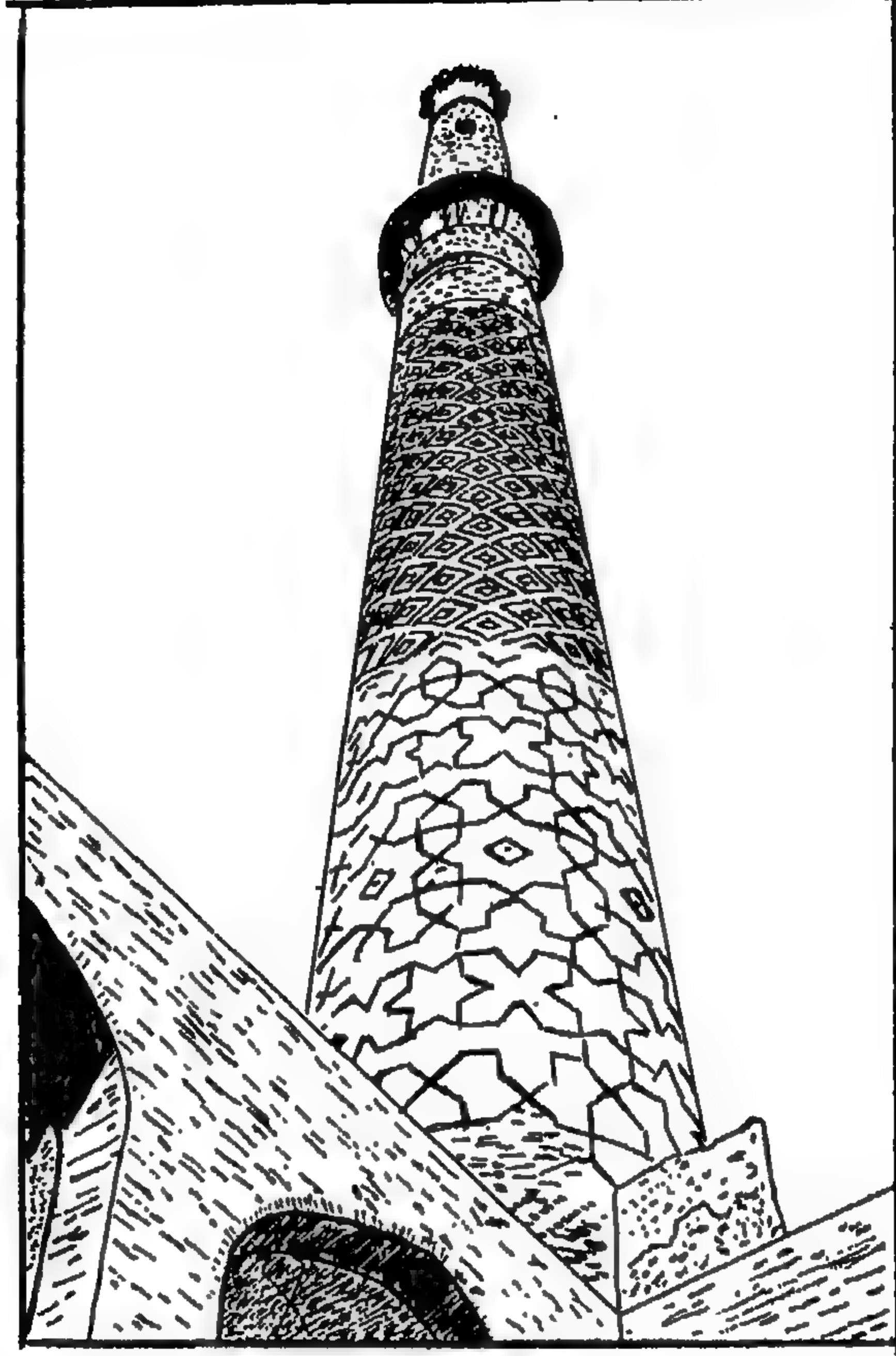
شكل - ٣٨ -

فناء المسجد الجامع في اصفهان بني عام ١٠٨٨ م ويلاحظ انه يرتفع فيه الايوان من كل جهة من جهات الفناء



شكل - ٣٩ -

مدفن السلطان محمد عادل شاه في بيجامور (١٦٢٦ - ١٦٦٠ م).



شكل - ٤٠ -

منارة جامع الامام علي في اصفهان (القرن ١١ و ١٢) ارتفاعها

١٥٦-١٦٠ قدما كل زخارفها من الاجر . المئذنة من

من العصر الصفوي ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م

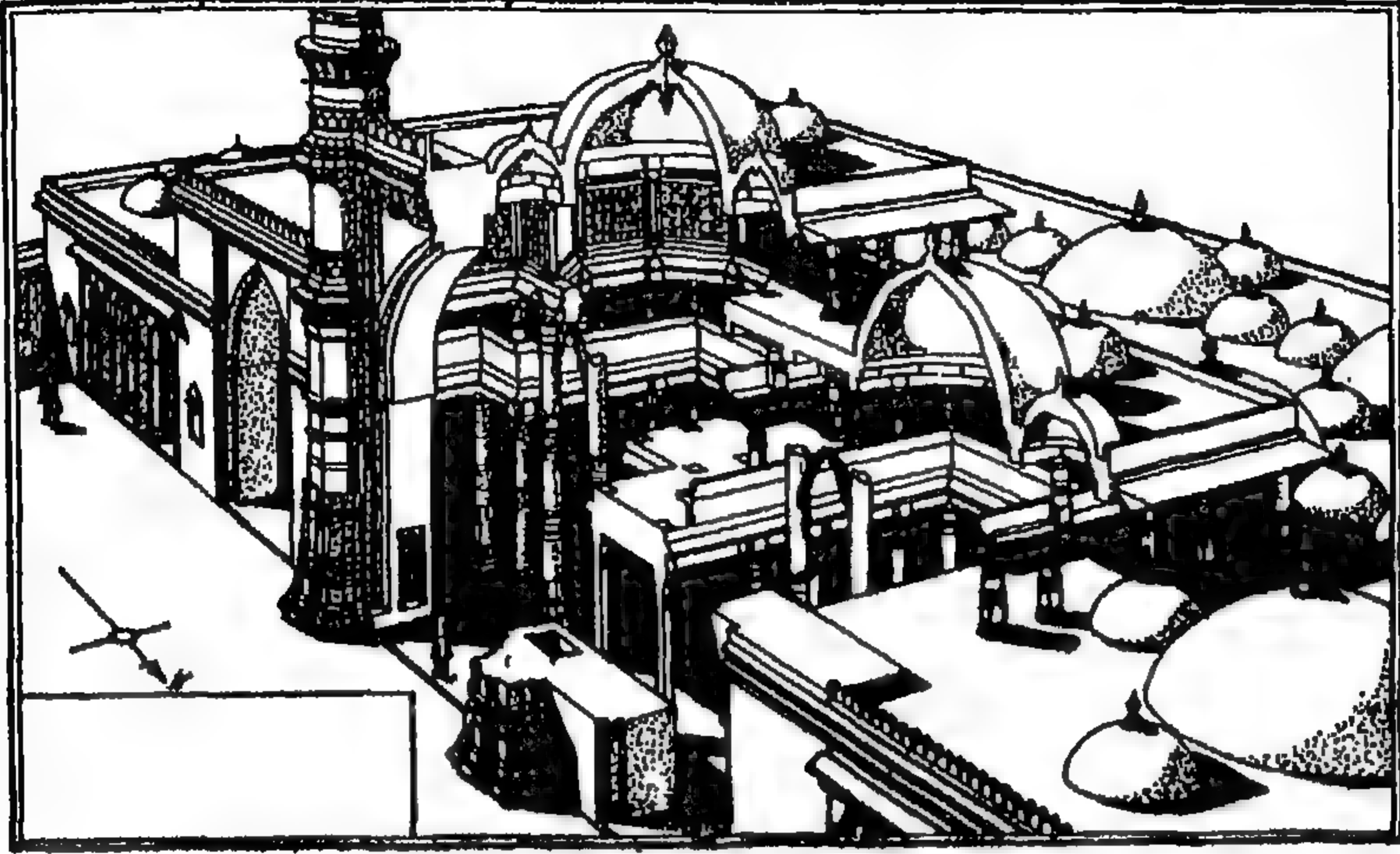
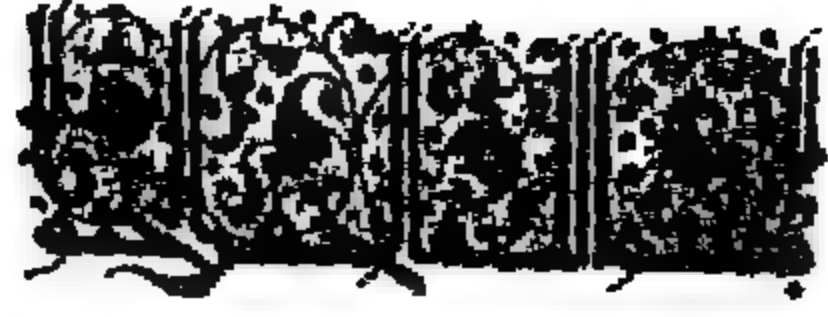
غرب « كماذنة جامع القيروان » ثم تطور هذا النظام المعماري ، فظهرت

المآذن المدورة ، كماذن الاربطة على سواحل شمال افريقيا لحراسة الثغور.

واقدم نموذج لها في منارة الرباط الذي بناه هرمجة بن أعين والي الرشيد

على منطقة تونس (١٧٩ هـ) في مدينة « منستير » الحالية ، ومنارة رباط سوسة

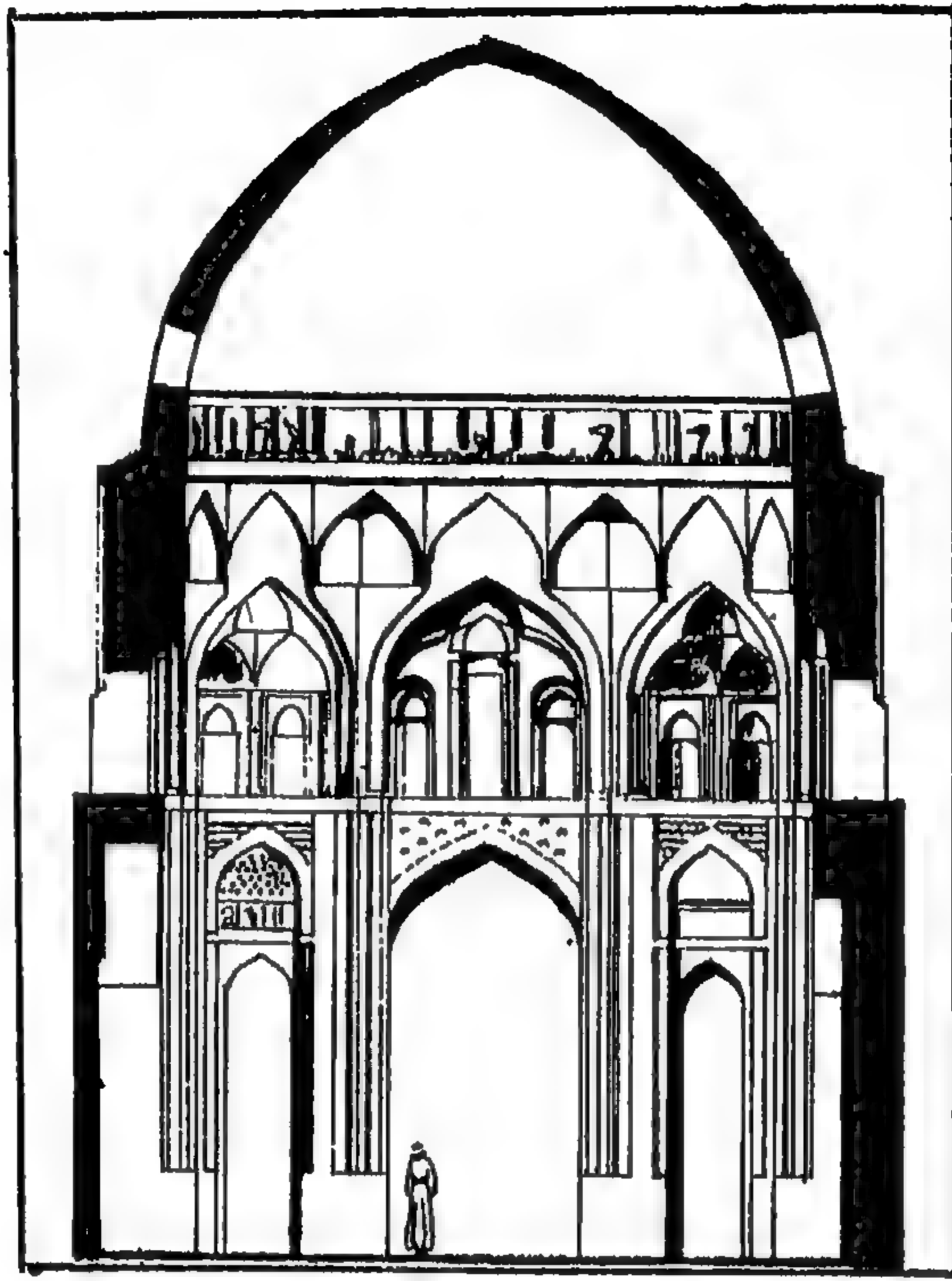
الذي بناه زيادة الله بن الاغلب (٢٠٦ هـ) ومنارة رباط جامع الزيتونة



شكل - ٤١ -
مقطع للجامع المسجد في مقاطعة كوجورات الهندية تم بناؤه عام ١٥٢٣ م

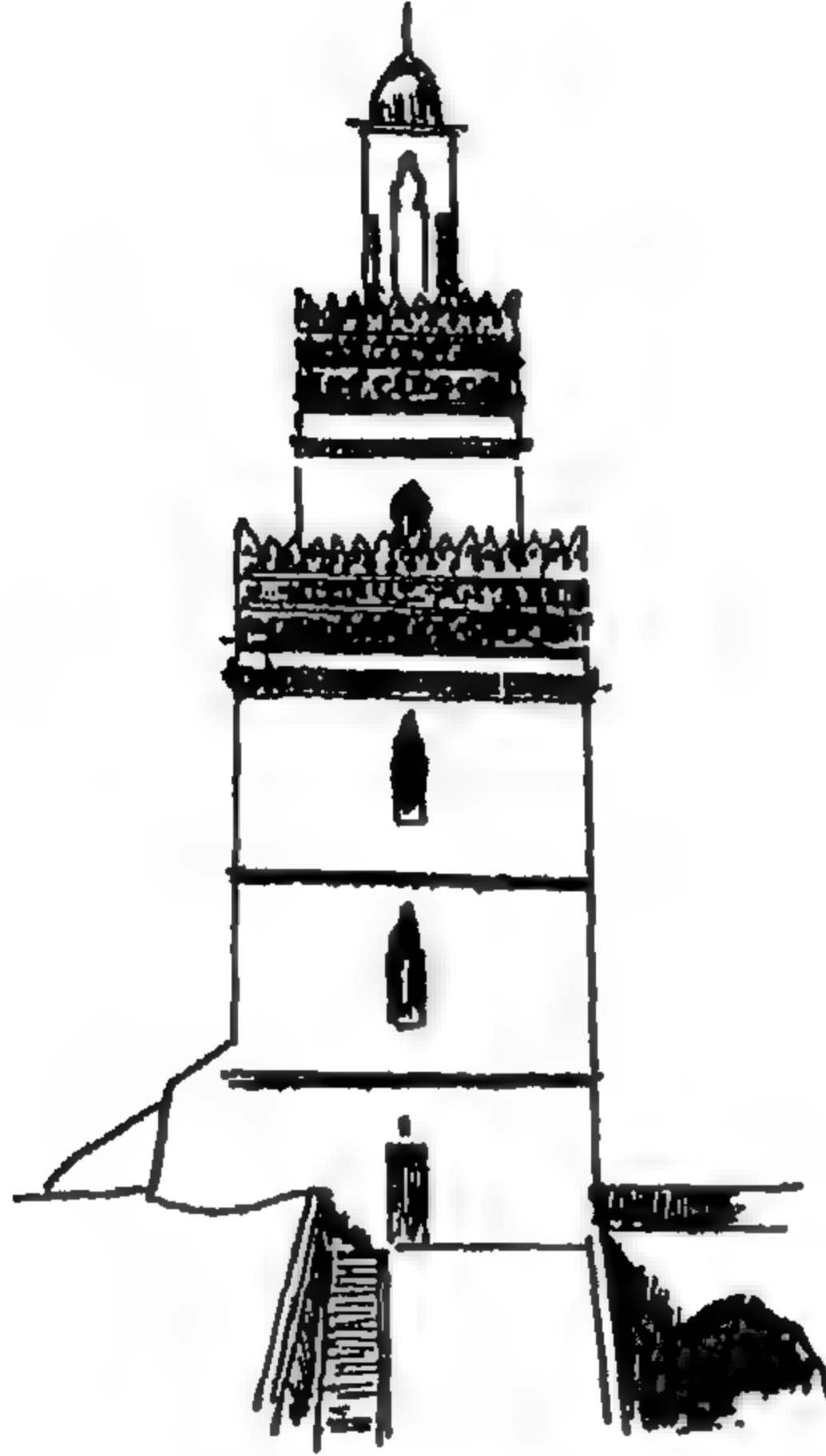
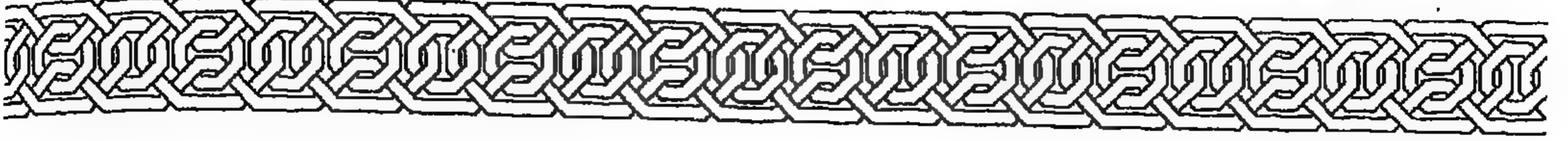


شكل - ٤٢ -
باب الفتوح في القاهرة وقد أدخلت عليه عدة تحصينات
خلال الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي ، ويظهر فيه
أثر الاقتباس من فنون الحروب الصليبية المغاربية



شكل - ٤٣ -
قطاع من قاعة القبة الصغرى في المسجد الجامع بأصفهان
ويلاحظ فيها تطور البناء الاسلامي وتأثره بالطراز المغربي
كلما اتجهنا الى الشرق

« ٨٢٥٠ » وتطور هذا الفن المعماري الاندلسي فشيدت المآذن المسدسة ،
والثمينة ، وزينت بزخارف الآجر الغائر والبارز ، وكسي قسم منها
بالزليج « القاشاني » الذي يلمع تحت اشعة الشمس ، وسيطرت هذه النماذج
على جميع ابنية المنائر في عهد المرابطين والموحدين .. ولكن المآذن المربعة
لم تلغ تماماً في المغرب ، فنارة الكتبية بمراكش ، ومنارة « صومعة »
حسن بالرباط والمنصورة بتمسان بقيت مربعة ، ثم انتشرت في شمال افريقيا



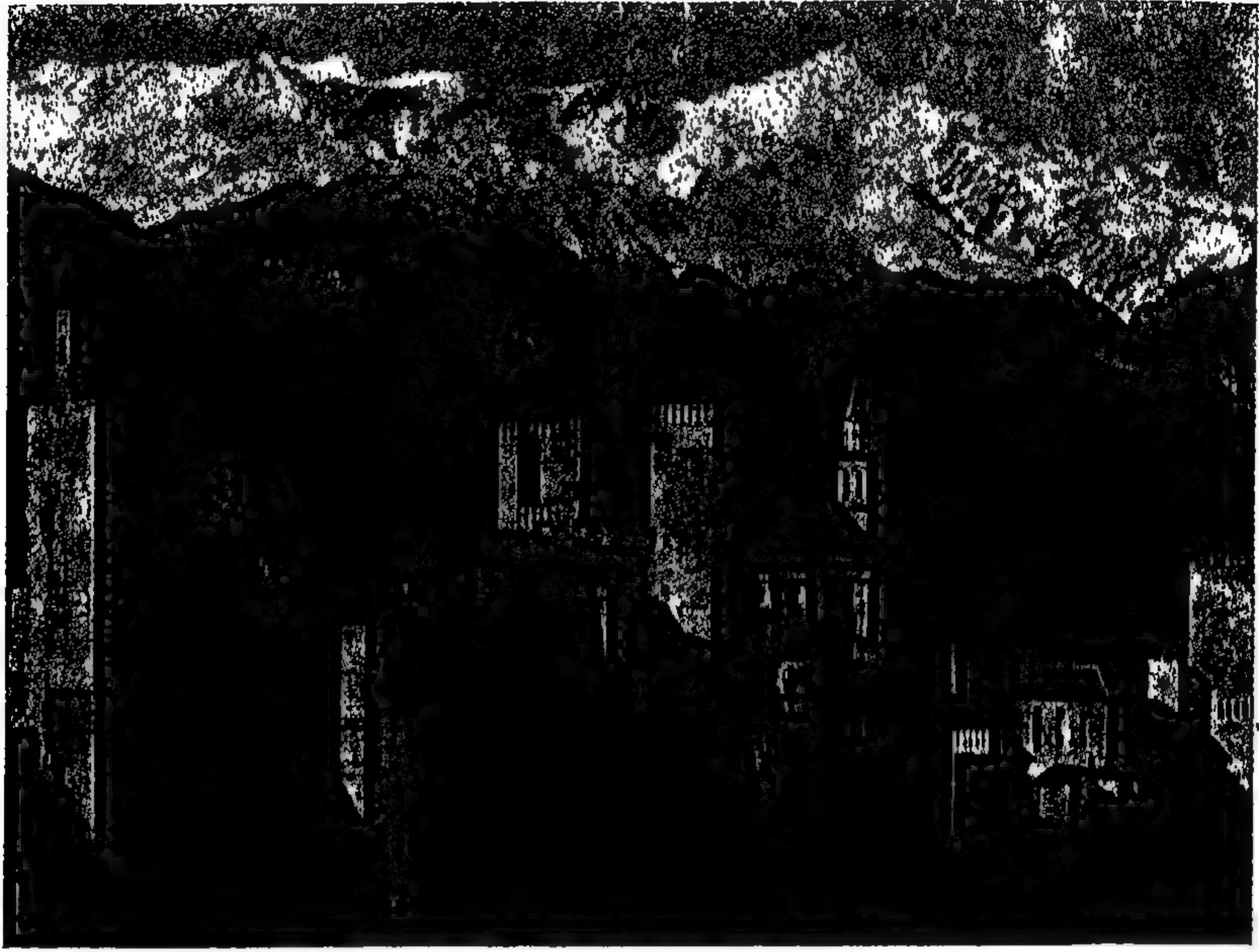
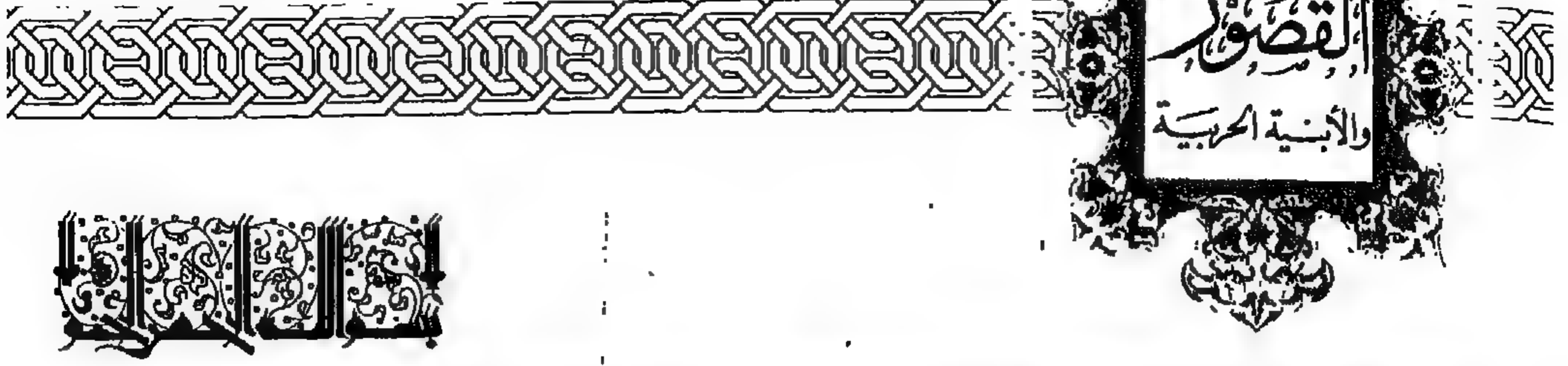
شكل - ٤٤ -

منارة (مأذنة) الجامع الكبير في صفاقس

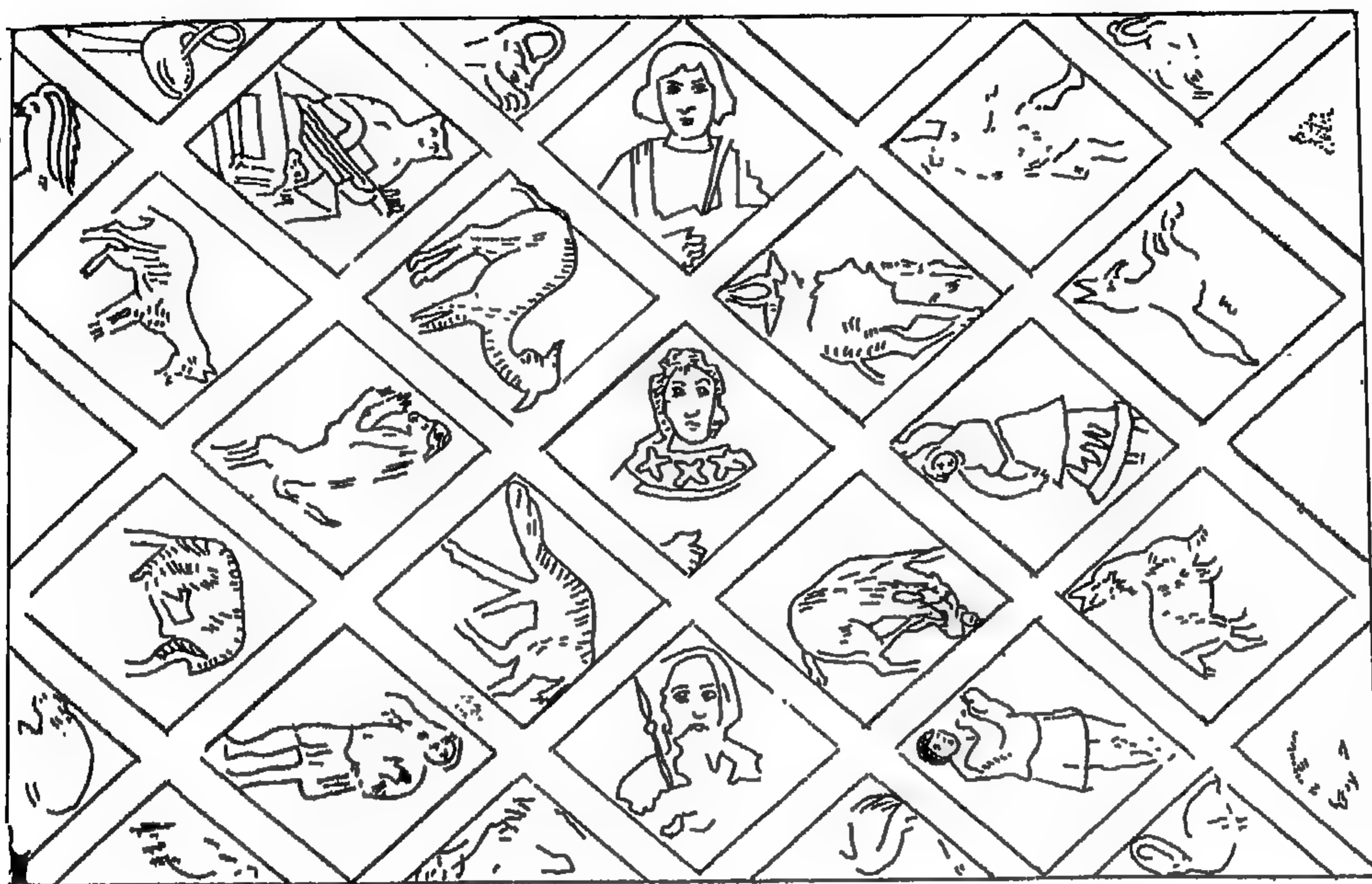
طريقة بناء المآذن الاندلسية مع وفود المهاجرين من الاندلس الى المغرب
على اثر الضعف وخروج العرب من هذه المنطقة « سنة ١٠١٧ هـ - ١٦١٣ م »



الفصل الخامس

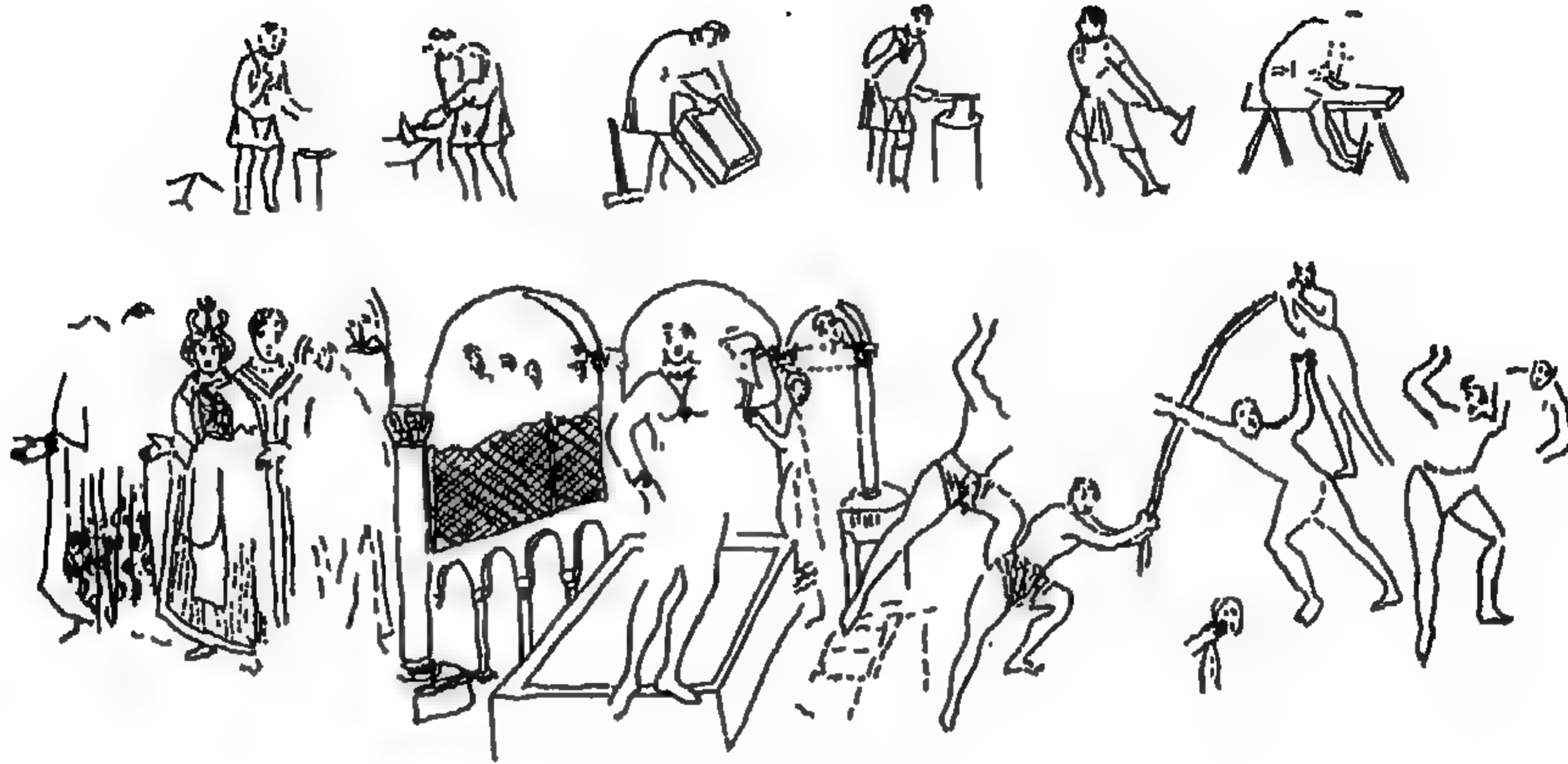


القصور : أخذ العرب بعد الفتح يملون إلى حياة الترف والنعيم ، وتقليد
غيرهم باتخاذ القصور المنيفة ، واقتناء الجواري والاثاث الفاخر ، ولقد ظهر
في الحجاز في عصر الراشدين قصور شيدت من طبقتين أو ثلاث ، وفي
العهد الأموي استعمل الخلفاء والأمراء بعض القصور الرومانية الموجودة
في دمشق وغيرها ، كما بنوا قصوراً كثيرة ، اندثرت جميعها ، وذلك
لأن بناءها كان غالباً من الطين أو التراب المشوي ، لم يستطع أن يقاوم
عوامل الطبيعة ، وبيئة دمشق الرطبة ، وكل ما نعرفه عن هذه القصور
من الكتب التي تذكرها ، فقد ذكروا أن معاوية اتخذ قصر الخضراء
ومن اسمه نستدل على لون زخرفته ونقوشه ، ولما كان الامويون حديثي



شکل - ۴۵ -

رسوم تخطيطية لنقوش في قصر عمرة ترجع الى نهاية القرن الاول الهجري وبداية القرن الثامن الميلادي موجودة على جدار القاعة الجانبية الاولى ، قوامها اشربة تتقاطع فتؤلف سبعة عشر معيناً وأربعة عشر مثلثاً . والمثلثات فيها رسوم حيوانات أو رسوم طيور ذات رقبة طويلة . أما المعينات فان أعظمها شأناً ثلاثة : الواحد منها فوق الآخر وفيها سماوة (رسم نصفي) غلام وشاب ورجل ولعلها ترمز الى مراحل العمر المختلفة : الفتوة والرجولة والكهولة . وفي سائر المعينات رسوم حمار وحش وغزال وقرد يعزف على آلة موسيقية وقرذ آخر وقف على قدميه الخلفيتين ، واخذ يصفق بقدميه الاماميتين ، وشاب بجلباب قصير وآخر ينفخ في مزمارة ، وراقصة ذات جلباب طويل وذراعين عاريتين .

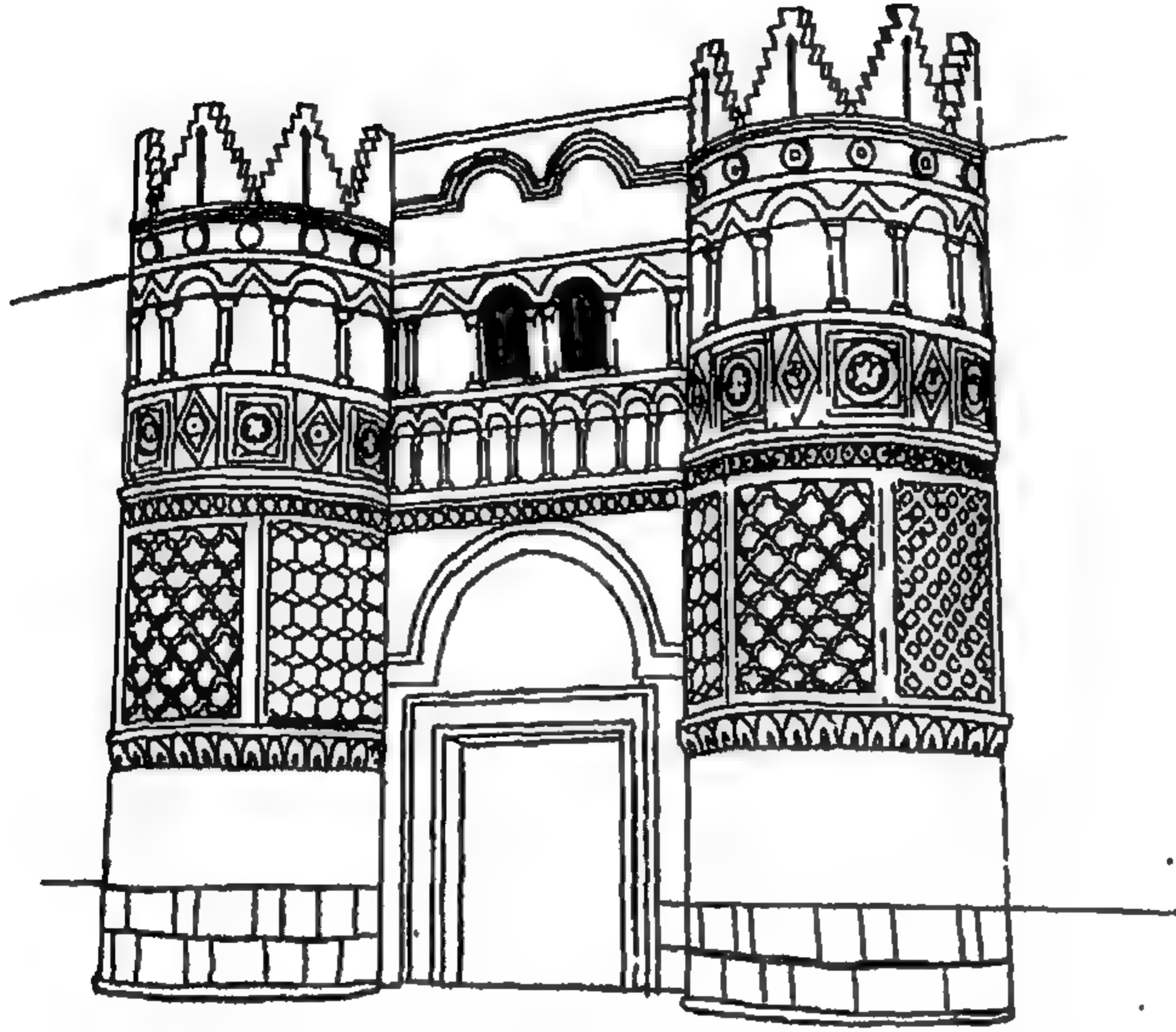


شكل - ٤٦ -

رسوم تخطيطية لنقوش في قصر عمرة ترجع الى نهاية القرن
الاول الهجري وبداية القرن الثامن الميلادي

١ - الرسم العلوي يمثل نقوشا لعمال البناء هي من اليمين الى اليسار :
نجار يعمل بالمسحج (الفارة) - عامل في يده مطرقة - عامل في يده معول -
عامل في يده صندوق رمل او بلاط (مونة) - صانع يحمل قلعا (قدوم) ،
عامل يجعل مخلا .

٢ - الرسم السفلي يمثل نقشا في الحائط الغربي من القاعة الرئيسية .
الى اليسار الصورة التي تعرف باسم اعداء الاسلام وقوامها ستة اشخاص
ذوي ملابس فاخرة مرسومين في صفين : ثلاثة في الصف الاول ، وثلاثة في
الصف الثاني ، وفوق اربعة منهم كتابة بالعربية والاغريقية لا تزال باقية ،
فالاول من اليسار في الصف الامامي فوقه كلمة قيصر بالعربية واليونانية
لا تزال باقية ، فهو امبراطور بيزنطة ، والثاني في الصف الخلفي فوقه كلمة
يظن انها لودريق آخر ملوك القوط في اسبانيا ، والثالث في الصف الامامي
فوقه كلمة كسرى فهو ملك الفرس ، والرابع في الصف الخلفي فوقه كلمة
النجاشي فهو ملك الحبشة . والملاحظ ان تصميم هذه الصورة ساساني .
والى يمين هذا المشهد رسم نساء عاريات في حمام ثم رسم رجال شبه
عابرين يقومون ببعض العاب رياضية .



شكل - ٤٧ -

واجهة قصر الحير الغربي المعاد انشاؤه في متحف دمشق

عهد بالصحرَاء ، فقد كانوا يحنون اليها فاستخدموا كثيراً من القصور القديمة التي كان الرومان قد بنوها لتكون قلاعاً يتخذونها لصد غارات البدو قبل الاسلام ، وما لبث الامويون أن أمروا بإنشاء قصور وحمامات في البادية سواء في بادية الشام ، أو في اقليم شرق الاردن . وكانوا يخرجون اليها لتمضية بعض أيام راحة وهدوء في كل عام ، بعيدين عن العاصمة ومشاغليها وضوضائها ، وأسوارها التي تجعلهم كأنهم في حصار ، وتمنع عنهم أفق الطبيعة اللانهائي الذي اعتادوا عليه ، ومن أشهر هذه القصور القصر الذي عثر عليه قريباً من تدمر ونقل إلى متحف دمشق ويدعى قصر الحير وقد تم ترميم جانب كبير منه ، ويلاحظ عليه أنواع متنوعة من الزخرفة ، إذ لا نجد من بين الاربعين من نوافذه التي رسمت منه إلا نافذتين متشابهتين في زخارفها ، كما نجد أعمدته بأشكال متعددة ، فبعضها مستقيم اسطواني ، وبعضها ذو أضلاع معوجة ، وبعضها يشبه جذوع النخل ، وأخرى



تنتهي بتيجان على شكل سعف النخل . وهناك في شرقي الاردن بقايا قصر عمرة وهو عبارة عن حمام وقصر صغير للصيد يقع على بعد خمسين ميلا شرقي عمان ، اكتشفت آثاره سنة ١٨٩٨ م ويرجع عهده إلى الوليد ابن عبد الملك ويتألف من قاعة استقبال مستطيلة لها ثلاثة أروقة مسقوفة بسقف اسطواناني الشكل ، وعلى جانبي منحني صغير يتصل بالرواق الأوسط تقوم غرفتان صغيرتان وبجانبها حمام مؤلف من ثلاث غرف صغيرة . وقد دب التلغ في نقوش الجدران والسقف ، وتدل بقاياها على أنها كانت تمثل رسوم صيد واستحمام ورسوم راقصات ورسوما رمزية لآلهة الشعر والفلسفة والنصر والتاريخ عند اليونان وأخرى تمثل مراحل الحياة من شباب وكمولة ، وقبة السماء وأبراج النجوم ، وهناك رسم يجلب الانتباه بين الخليفة الوليد بن عبد الملك على عرشه وحول رأسه هالة وفوقه مظلة ويحف به شخصان ، وعلى عقد المظلة كتابة بالخط الكوفي ، ورسم آخر يمثل أواخر الملوك الذين حاربهم المسلمون وانتصروا عليهم ، كقيصر ولوذرق آخر ملوك القوط ، وكسرى الفرس والنجاشي وغيرهم . ويظهر على هذه الصورة آثار الفن الساساني الفارسي بينما يظهر على طراز الصور الأخرى آثار الفن الهيليني ، مما دعا المؤرخين إلى الاعتقاد بأن الفنانين الذين رسموا الصور هم من السوريين والآراميين ، وأنهم يعرفون العربية واليونانية ...

وكذلك يعد القصر الذي كشفت آثاره في قرية المفجر شمالي أربحا والذي يعود تشييده إلى هشام بن عبد الملك نموذجاً لبناء القصور الأموية وفيه لوحة تعتبر أبعد زخاف الفيسفاه الأموية . يحتوي قصر المفجر على ثلاثة أبنية ضخمة منها قصر للسكن ومسجد للصلاة وحمام للاستحمام .

ومدخل القصر يقوم على برج مستطيل هائل ، على جانبه مقاعد مزودة



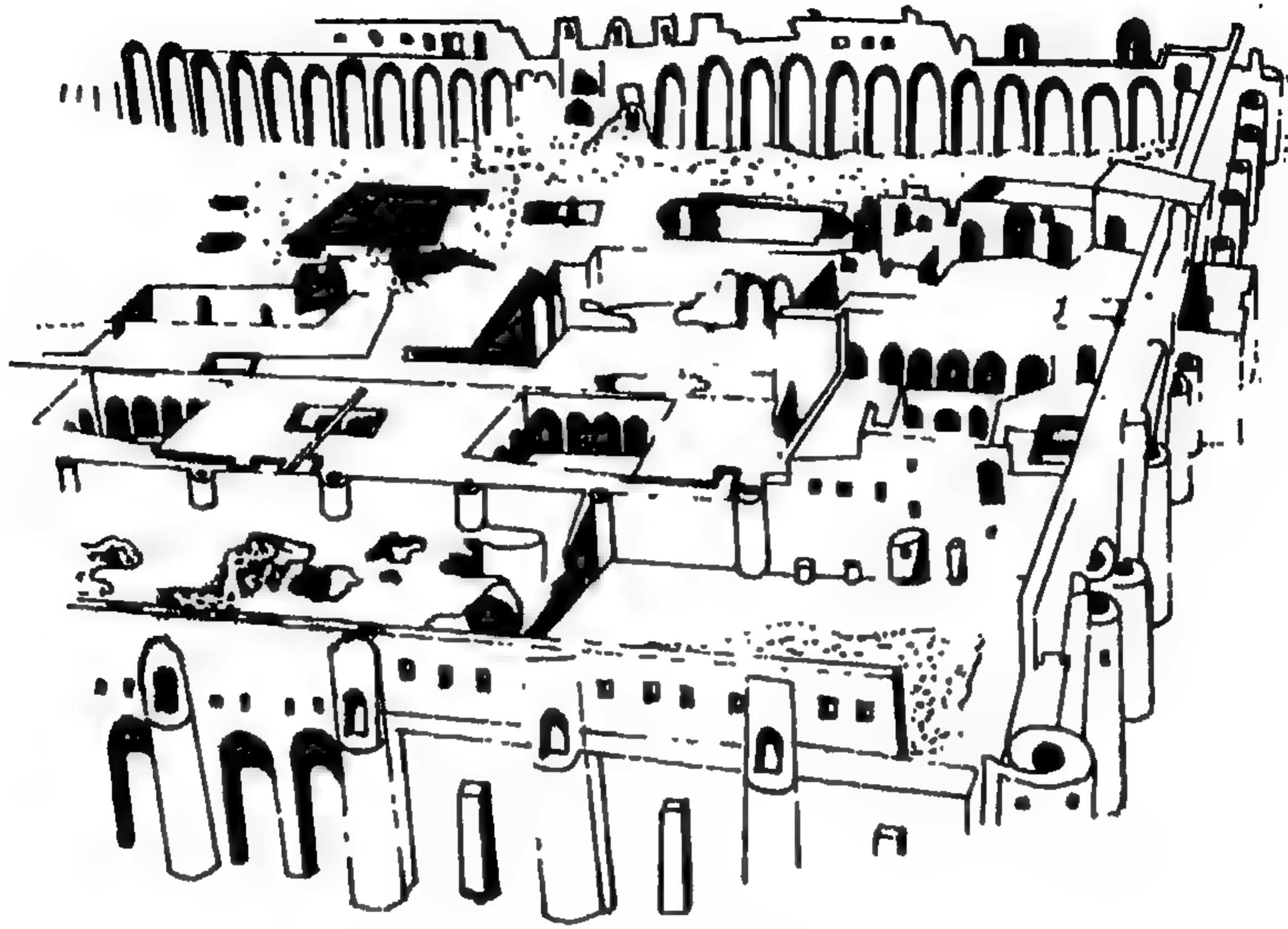
بالمشكآت الحجرية وداخله مزخرف بالمحاريب الصغيرة المنقوشة بالأشكال النباتية ،
 يعلو المدخل عقد مصلب الشكل ويكون من عدة أقواس صغيرة داخل
 قوس كبير كالعقود العربية في الأندلس . . . أما داخل القصر ، فيتبع
 بتصميمه ورسمه سائر قصور الأمويين ، فهو عبارة عن صحن مربع مكشوف
 تقوم على جوانبه أربعة أبنية على طابقين مستقلة الواحدة منها عن الأخرى ،
 ويفصلها عن الصحن الداخلي رواق مظلل بالعقود والأقواس المرتكزة على
 الأعمدة . . . وغرف الطابق الأعلى كانت مرصوفة بالفسيفساء .

والمسجد مزود بمحراب في طرفه القبلي ، وعلى جانبه غرف مستطيلة
 للوضوء ولخدم المسجد والمشرفين على نظافته .

والحمام عبارة عن غرفة مستطيلة ، مرصوفة بالفسيفساء المتعددة الألوان .
 والشئ الذي ينفرد به قصر المفجر عن قصور الأمويين التقليدية
 وجود مسجد كبير خارج القصر ، وحمام كبير أيضاً .
 وهذا الحمام الخارجي يشبه الحمامات الرومية من حيث غرف الاستحمام بالماء
 الدافئ ، وأخرى للاستحمام بالهواء الحار ، وأخرى لمسح الجسم وفركه
 بالزيت . . كلها مجهزة بما يلزمها من أتون لتدفئة الماء والهواء ، وأقنية للماء
 الدافئ ، وأخرى للهواء الحار ، ومقاعد ومغاطس للاستحمام وهم جوا .

ومن زخارف القصر ما وجد في غرفة صغيرة في زاوية من زوايا
 الديوان الكبير للقصر . وصف قسم من الغرفة بالفسيفساء برسم شجرة رمان
 تقف على جانب منها ظيقتان توعيان العشب الأخضر ، وعلى الجانب الآخر
 ظيبة ثالثة يفتوسها أسد كاسر ، وجدران هذه الغرفة ونوافذها مزدانة بالجبس
 المنقوش بأشكال نباتية وهندسية أخرى تمثل طيوراً وحيوانات حقيقية أو
 خيالية وراقصات نصف عاريات^(١) .

(١) من مقال ديمتري برامكي الذي شارك بأعمال التنقيب عن القصر .



شكل - ٤٨ -
بقايا قصر الأخيضر كما هي عليه اليوم

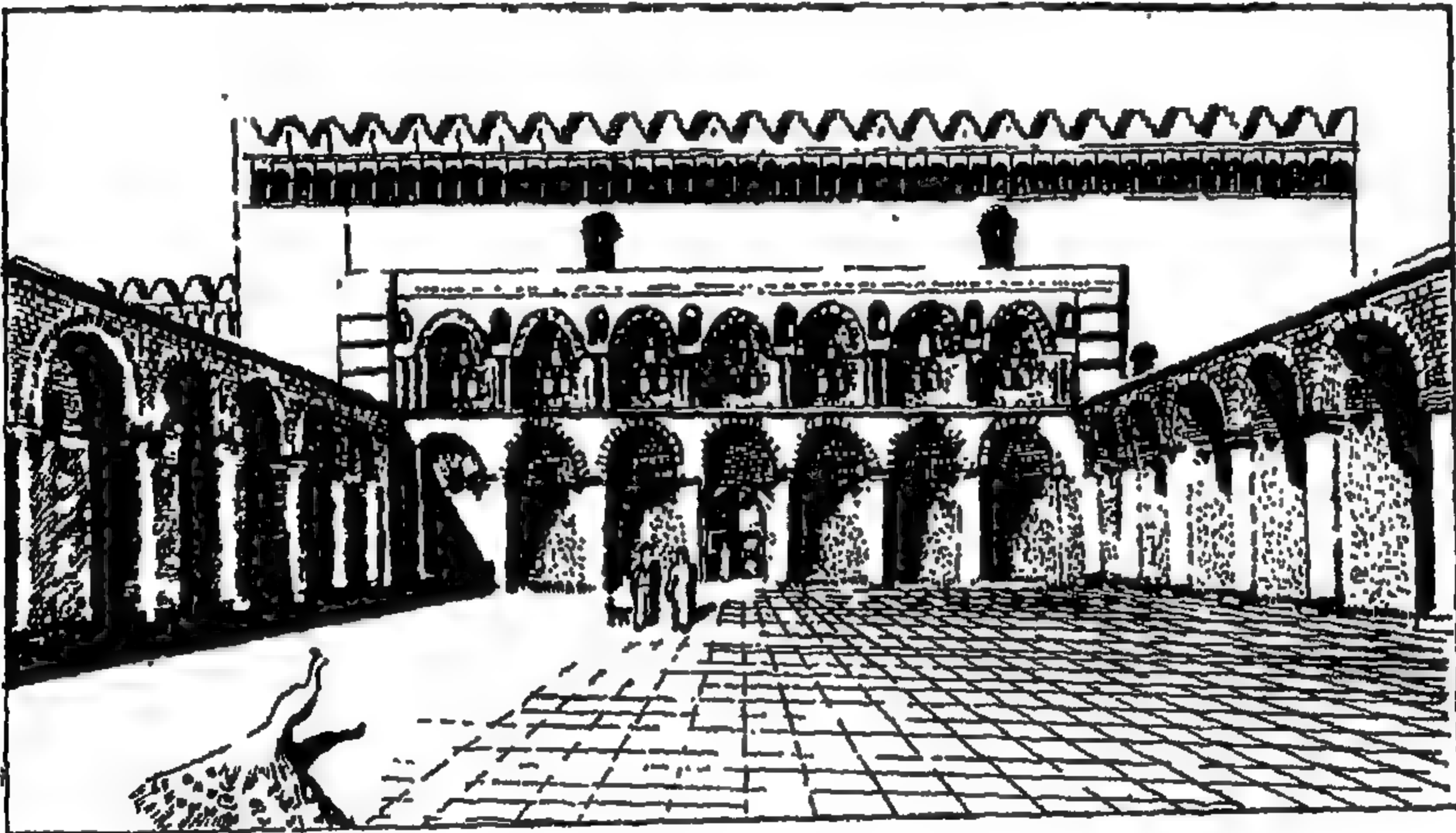
وقد تسابق خلفاء بني العباس في إنشاء القصور من المومر في بغداد حتى دعت بمدينة القصور، وكانت قصورهم تتألق بالجواهر البراقة، وتزدان بشتى أنواع الرياش الفاخر المجلوب من أطراف الدنيا. ومن أشهرها قصر الأخيضر الذي تقع بقاياه على بعد ١٢٠ كم إلى الجنوب الغربي من بغداد وبشكل يخططه حلقة الاتصال بين طراز قصر المشتى من منشآت الأمويين وبين سامراء. وشكل البناء رباعي يشبه قصر المشتى ويضم مجموعة من البيوت وأبنية جانبية وأفناء واسعة، وفيه جامع أثبتت التحريات أنه من أصل البناء؛ وهذا القصر في الواقع كان حصناً أمامياً في منطقة مقفورة بعيدة عن العمران، مشيد بالحجر والجص والآجر ويحيط به سور محصن على غرار القلاع الحربية.

ومنها أيضاً قصور سامراء التي هدمت وبدد آثارها المنقبون خلال عدة قرون يبحثون عن الآجر لإعادة استعماله، وأهمها الجوسق الخاقاني بناء عام ٨٣٦ م المعتصم بن هارون الرشيد ويشرف على نهر دجلة وله جناح



مرتفع ، ممي بقصر الخلفاء أو طيسفون العرب تشبهاً له بياوران كسرى في طيسفون .

كما شيد الفاطميون في مصر قصوراً أنيقة وفخمة ، ومن أشهرها **القصر الغربي** الذي بناه الخليفة العزيز وفيه قاعة الذهب حيث يجتمع مجلس الملك ، وكانت مزينة بالستور والطنافس الحريوية المزركشة بالذهب . ومن قصور الفاطميين : **قصر العرافة** ، وقصر البحر الذي وصفه ابن خلكان بأن لا يوجد له شبه في الشرق ولا في الغرب وقصر اللؤلؤ



شكل - ٤٩ -
شكل مرمم لباحة قصر الاخضر

وغيرها . وقد بزت قصور الأندلس القصور الشرقية بعظمتها وحسن هندستها ، فكان قصر الزهراء عبارة عن عشرة قصور تشبه كما ذكرنا فرساي بجوار باريز ، أو قصر يلدز في عهد السلطان عبد الحميد . وقصر الحمراء الذي يشتهر بقاعاته العظيمة كقاعة الاسود وقاعة السفراء وقاعة بني سراج ، وقاعة العدل .

ويمثل « قصر البديع » في مدينة مراکش ، نموذجاً للفن المراكشي ، وقد



استغرق بناؤه ١٥ عاماً ، وقد تحول اليوم الى انقاض ، وكان مؤلفاً من صحن مستطيل الشكل واسع جداً يشغل مركزه بركة ماء ، يشبه الى حد بعيد قاعة الاسود في الاندلس .

ولعل الفن المدجن ، اي فن المسلمين الاسبان الذين بقوا في اسبانيا بعد خروج العرب منها يمثل هذا في « القصر » في اشبيلية الذي بناه بطرس القاسمي على نفس موقع القصر القديم الذي كان المسلمون قد اشادوه وقد اقيم « ١٣٥٠ - ١٣٦٩ » وجدد بناؤه في القرون ١٦ و ١٧ و ١٩ ويمتاز بمقرنصاته الجميلة ونقوشه الجصية البديعة واعمدته الرخامية ، بما يؤكد بصورة قاطعة استمرار تذوق الفن الاسلامي من قبل ملوك اسبانيا المسيحيين . واذا انتقلنا الى المشرق وجدنا تطوراً في بناء القصور ، فظهرت في العهد السلجوقي اساليب فنية تسربت اليها من تركستان ، وخاصة موضوعات الكائنات الحية والتماثيل الآدمية من الجص او الحجر تمثل جنوداً او حراساً او امراء تزين القصور . ومن ذلك قصر « قره سراي » الذي اقامه الاتابك لؤلؤ في الموصل ولا تزال بعض اجزاء القاعة الكبرى فيه قائمة وفيها تزيينات من صفوف من التماثيل النصفية في جنبات الجدران .. وقصر السلطان في قونية يحتوي على تماثيل سباع متقنة النحت ، وسور قونية غني بالرسوم الحيوانية البارزة . .

أما قصور الصفويين في ايران فكانت صغيرة الحجم نسبياً قوام معظمها قاعة كبيرة عظيمة الارتفاع تحف بها قاعات صغيرة للسكن في طابقين . اشهرها قصر شهل ستون وقصر هشت بهشت وقصر آينه خانه ، وزينت جدران جميعها باللوحات المصورة . . وبالمرابا والمنسوجات النفيسة ، واستعملت فيها اللوحات الزيتية الكبيرة التي تكثر في مواضعها رسوم الزهور

والفاكهة والفسيفساء والمناظر الطبيعية الجميلة ، وفيها يظهر الفن الايراني الدقيق والجميل . . . وتطنب الكتب في وصف ما حوت هذه القصور من اثاث فاخر ، وادوات تزيينية دقيقة الصنع غالية الثمن .

ومن القصور العثمانية الباقية في الشام : قصر العظم بدمشق وقصر العظم بحماة ويعتبران نموذجاً للقصور العثمانية عامة ويتألف كل منهما من جناحين رئيسيين : جناح الاسرة صاحبة القصر « الحرملك » ، وجناح الضيوف والاستقبالات « السالمك » ، يلحق بهما جناح ثالث اصغر مخصص للخدم والمطبخ

ويمكن أن نلحق بالقصور الخانات التي أقامها العرب والمسلمون على طول الطرق ، تقف عندها القوافل ، وكثيراً ما كانت تزود بدواب الصدقة حيث تعطى لكل من نفقت راحلته أثناء السفر راحلة غيرها من أموال الزكاة ، كما كانت مكاناً لتبادل التجارة .



والأبنية الحربية

بالرغم من أن العرب إنما فتحوا إمبراطوريتهم الكبرى فتحاً ، فإنهم لم يكتفوا من الأبنية الحربية فيها إلا حين تهددت الاخطار العالم الاسلامي ، أي منذ القرنين التاسع والعاشر أيام الحروب المتقابلة مع البيزنطيين . ثم كانت الحملات الصليبية وما اقتضتها من حروب . ثم موجة المغول «جنكيز» ، والتتر « تيمور » ، فصارت تقام في سوريا خاصة وفي مصر أبنية حربية كثيرة حتى نهاية القرن الخامس عشر التي اقتبس الصليبيون الكثير من أساليبها : كبناء المشربيات وهي البروز المغطى في جسور القلعة لرمي المهاجمين بالمؤذيات . وكجعل مدخل القلعة إلى الداخل على شكل ممر ذي زوايا قائمة أو ملتوية لمقاومة العدو .

ولا شك أن أكثر الأمراء عناية ببناء القلاع هم سلاطين المماليك « القرن ١٣ - ١٦ » . أما أهم وأجمل قلاع سوريا فاثنتان :

١ - قلعة حلب : وتقوم على هضبة صخرية وجدت فيها آثار بيزنطية ومعظم أبنيتها الحالية تعود الى زمن الملك الظاهر غازي الذي جدد حصونها وبنى منحدراتها من أسفل الخندق إلى الاسوار ليتعذر التسلق إليها . وقد رمت أسوارها مراراً خلال القرون « ١٤ - ١٥ - ١٦ » . أما مدخلها القائم إلى اليوم فيعد من أجمل التحصينات العسكرية الباقية من القرون



الوسطى ، ويتألف من برج ضخم فيه الباب الخارجي الذي ينفذ منه إلى درج معلق فوق الحندق على عدد من الركائز والاقواس حتى يصل الى باب القلعة الرئيسي ، وهو ذو واجهة جميلة البناء والتزيين وتقوم من فوقه قاعة العرش . وفي داخل القلعة مسجدان يرجع الكبير منها الى سنة ١٢١٣م



شكل - ٥٠ -

مقطع مدخل قلعة حلب وبناء القلعة كما كان ، كما رسمها سوفاجيه وقد ميز اليها بالخطوط (هاشور) الاضافات المملوكية بالاشارة عن البناء الايوبي الاصيل ، كما يلاحظ أهمية التحصينات التي ادخلت على القلعة في أيام الحروب الصليبية لتقويتها وزيادة مناعتها .

٢ - قلعة الحصن : (حصن الاكراد Krak des Chevaliers) وتشرف على بحر حمص - طرابلس ، قرب تل كلخ . وأصل بنائها غامض ، وقد احتلها الصليبيون سنة ١١١٠ ثم صارت بيد « الاسبتارية » وهم فرقة دينية عسكرية من الصليبيين وبقيت لهم حتى سنة ١٢٧١م إذ استسلموا للظاهر بيبرس . وتعد قلعة الحصن من أكمل الأبنية الحربية الباقية في سوريا : بأسوارها وأبراجها ومخازنها العميقة وخنادقها .

وفي انحاء العالم الاسلامي بنيت كثير من القلاع ، كقلعة الموت في ايران ، وقلعة الجبل التي بناها صلاح الدين في القاهرة . وعرفت بلاد المغرب والاندلس الكثير من العمارات العسكرية فاقدم القلاع المعروفة في الاندلس قلعة مريدا التي بناها عبد الرحمن الثاني عام ٨٣٥ م ، وقد اقتبس مهندسوها عناصر القلعة البيزنطية فكان لها : جسر يتقدمها على نهر غواديانا

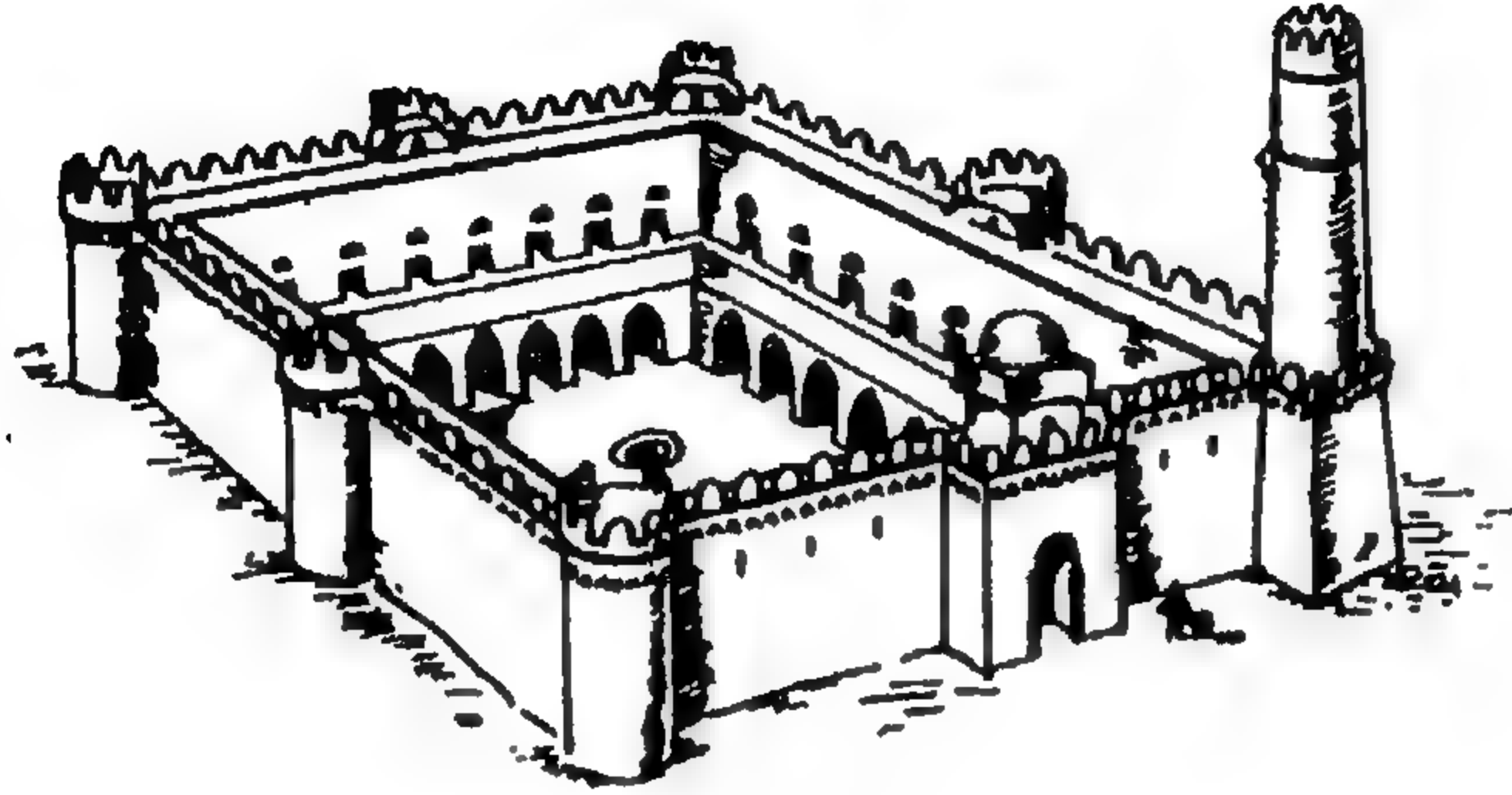
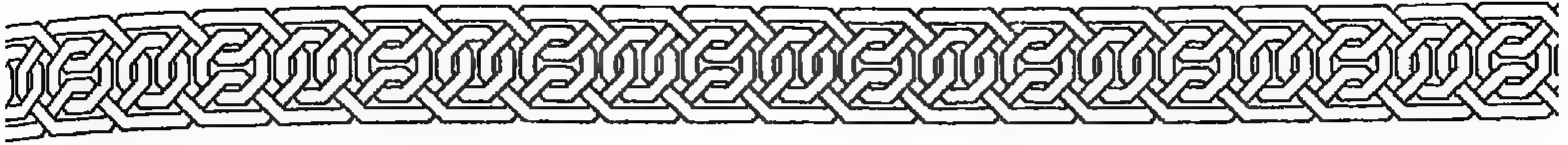


وسور مربع مبني من الحجر المنحوت ، وابراج مستطيلة ، وابراج مربعة في زوايا السور وباب وحيد غير بارز ..

الا ان نشاط البناء العسكري بدا واضحاً في القرن الحادي عشر الميلادي ، في عهد المرابطين ، وتعد مدينة مراکش التي انشئت في هذه الفترة ، مدينة محصنة ، واقدم قلعة بناها المرابطون قلعة سور الحجر (١٠٦٢ م) اكتشفت حديثاً ، وكانت على الارض التي اقيم عليها فيما بعد مسجد الكتبية : يليها قلعة بني حماد واشير وبجاية وتاسفيمرت الواقعة في جنوب شرقي مدينة مراکش ، وثم قلعة الغديرة الواقعة قريباً من اشيلية .

وشهد القرنان الثالث عشر والرابع عشر في المغرب استمرار النشاط المعماري للقلاع والحصون . فبنيت حصون فاس (١٢٧٦ م) كما بنيت مدينة المعسكر التي انشاها المغاربة خلال حصار العاصمة تلمسان ١٣٣٢ م ، وحصن شيله ، وحصن جبل طارق وقصته مع البرج المستطيل في القلعة الحرة .. اما في مدينتي تونس وموناستير فبقيت لنا من عمارات هذين القرنين بعض الاسوار الدفاعية .

٣ - الرباط : كما نلحق بها « الرباطات » وهي نوع من العمارات العسكرية والدينية معاً ، لذلك شبهها بعض الغربيين بالأديرة المحصنة ، وأكثر ما نشأت في شمالي افريقيا لصد محاولات الغزو البحري الاوربي ، واعداد حملات المجاهدين ، ويجتمع في الرباط اتباع طريفة دينية ، يعبدون الله ، ويستعدون للجهاد ، وأكثر الرباطات كان في تونس ، ومنها رباط مدينة سوسة الذي تم انشاؤه عام ٨٢١ م من قبل الاغالبة . ومخططه بسيط جداً ، يحيطه سور مربع الشكل مدعم من زواياه ، حسب المحاور ، بابراج ، يرتفع أحدها أكثر من غيره ، لمراقبة العدو ، وباب الرباط



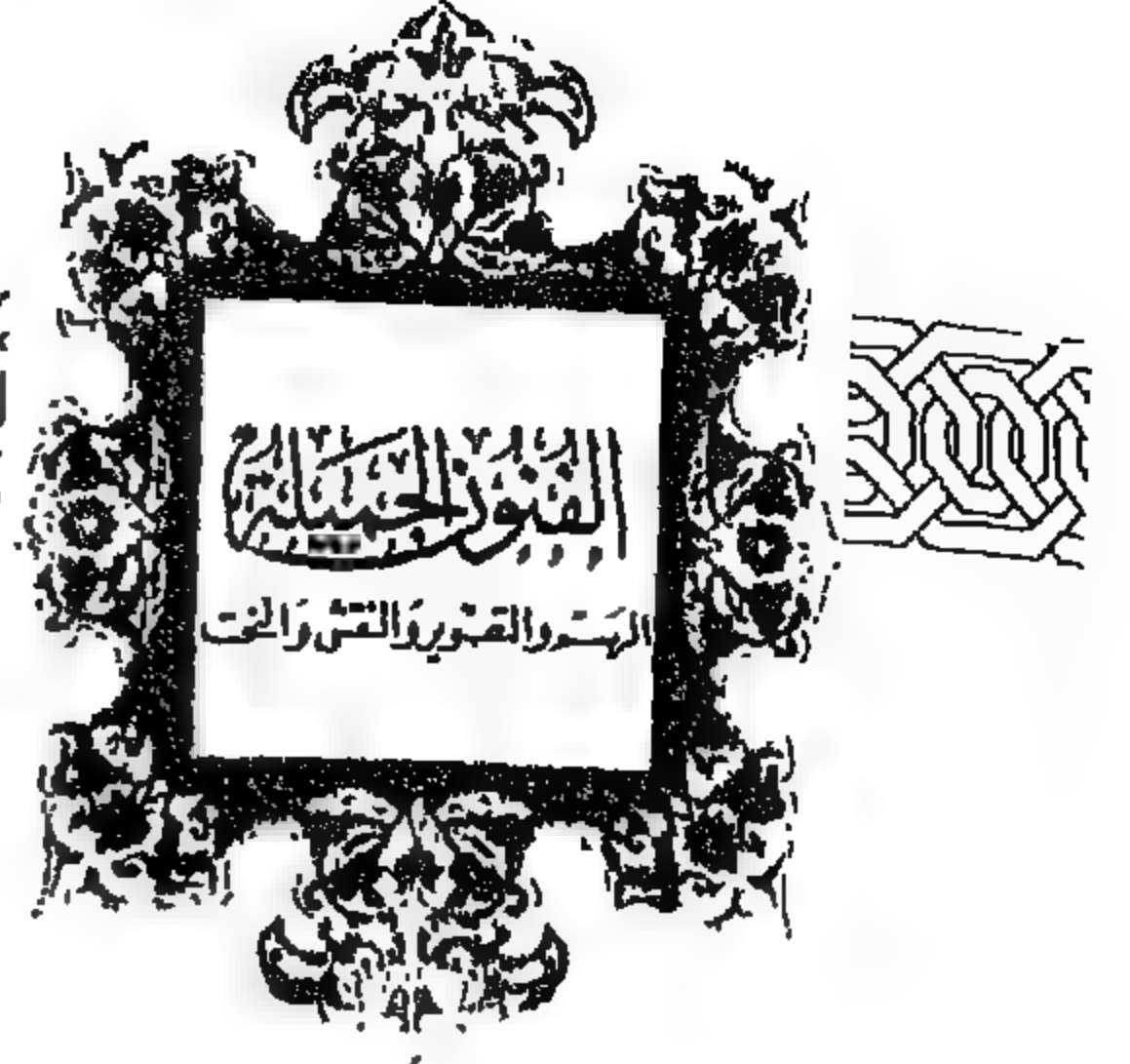
شكل - ٥١ -

رباط سوسة يعود بناء هذا الرباط الى عهد الاغالبة
وتم تشييده عام ٢٠٦ هـ

الوحيد في وسط أحد الأضلاع . وفي داخل الفناء يوجد مصلى وحجرات
للسكن والعمل . ويعتقد أن مخطط هذا الرباط مقتبس من القصور السورية
التي أنشئت في العصر الأموي .

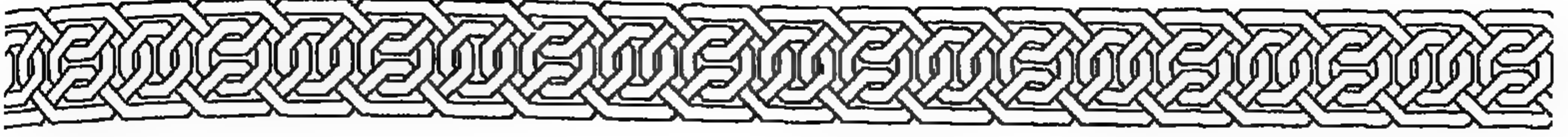
ويشتغل المرابطون بحراسة الثغور ، فيكلفون منهم حرساً دائماً في
المنارة ترأب قدوم اسطول العدو ، وحرساً مستعداً للعمل على اسطحة
الرباط . اما بقية سكان الرباط فيلتفتون الى الاعمال اليومية ، فيؤمنون
الطعام والشراب والسلاح للمقاتلة ، وكل الاعمال فيه مجانية : الطبيب ،
المعلم ، النساخ ، الكفاءون « صانعو الورق » المشرفون على الحمام الزاجل
لتأمين البريد الجوي ، موقدو النار للتخاطب ليلاً بين الرباطات باشارات
واصطلاحات فيما بينهم ... الخ كلهم يعملون ويعيشون في الرباط ويقدمون
خدماتهم مجاناً وتتفق الدولة عليهم كمجموع ، ويتبرع المحسنون لهم
بالاراضي والاقطاعات ويحبسون لهم الاجاس والاقواف .

الفصل السادس

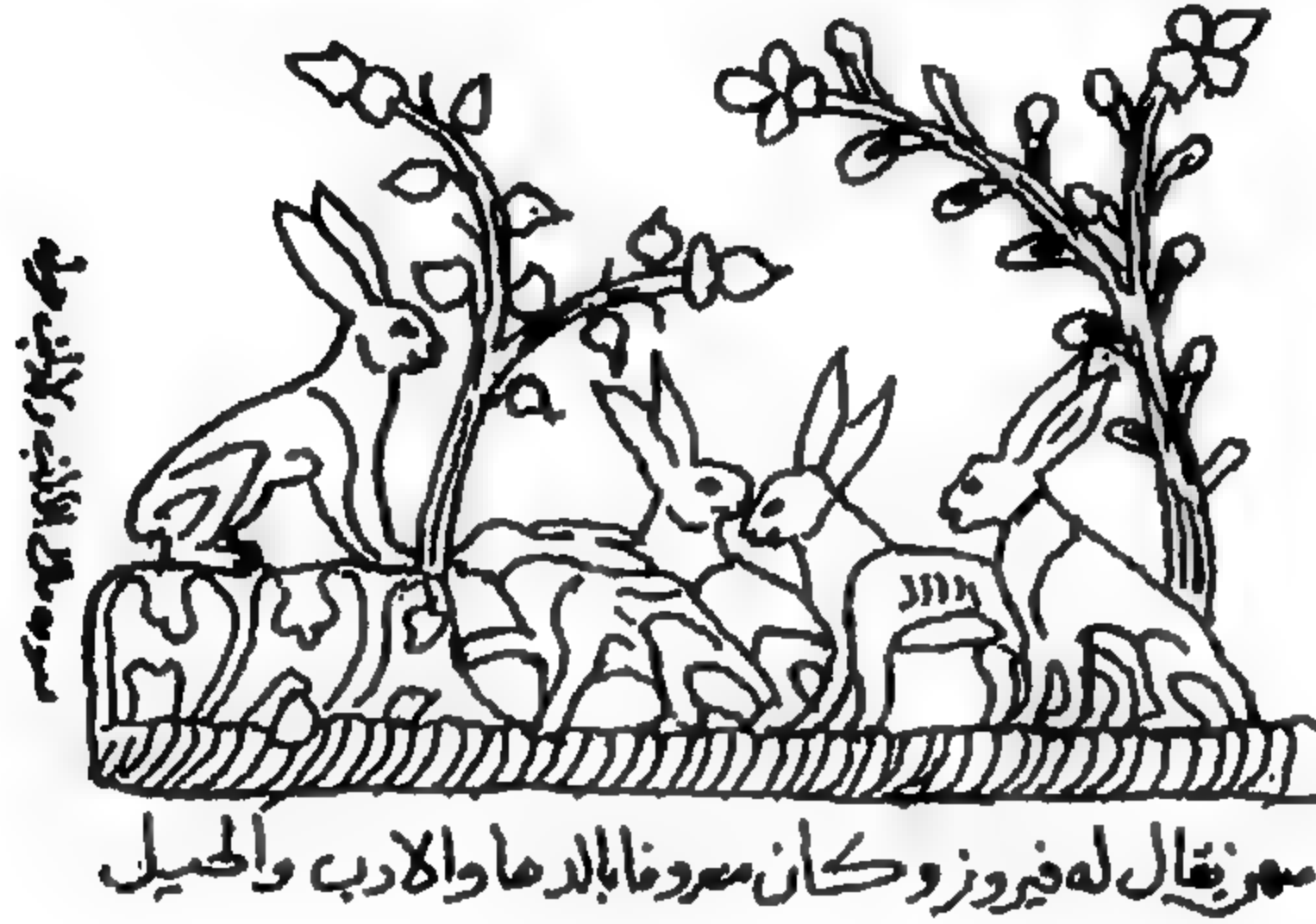


الرسم والتصوير والنقش والنحت

النقش والتصوير وصنع التماثيل : حارب الاسلام عبادة الأوثان ، وحطم الرسول عليه السلام أصنام الكعبة يوم فتح مكة ، وتشدد الدين بخلو أماكن العبادة من صورة كل ذي روح ، وروي عن الرسول أحاديث كثيرة ، تحرم التصوير ، أو تجعله مكروهاً ، مما جعل المصور مغضوباً عليه من رجال الدين ، وعرضة لسخطهم وسخط المجتمع الذي يقوم على أساس الدين ، ولذلك لم يبلغ المصور في صدر الاسلام المرتبة الرفيعة التي بلغها غيره من المفكرين والأدباء ، فلم يعن المؤرخون بتدوين أخبارهم عنايتهم بغيرهم من الشعراء والأدباء والعلماء والمفكرين ، واذن فليس غريباً ألا يصلنا سوى اسم كتاب واحد عن المصورين ، على كثرة ما وصلنا من كتب الطبقات . وهو « ضوء النبراس وأنس الجلاس في أخبار المزوقين من الناس » ذكره المقرئ في خطه .. ويظهر أن المصورين أنفسهم تأثروا بموقف المجتمع منهم ، فلم يبذلوا كثيراً من الجهد في تمييز أساليبهم أو في طبع إنتاجهم بطابع ذاتي ، ولم يضعوا أسماءهم على الصور التي رسموها ، ولذلك أصبحت دراسة التصوير العربي الاسلامي قاصرة على الرسوم لا على المصورين ... وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الأمور أن التصوير لم يستعمل لخدمة الدين فلم يدخل المساجد ، ولم يسهم في تجميل المصاحف ، ولم يستعمل في توضيح كتب الفقه أو الحديث أو المؤلفات الدينية ، وما وصلنا من صور تمثل الموضوعات الدينية كصور الأنبياء ،



وطلين
لن وطله انما تفر الخارج عند وقوع البسلا
وقبله وعند ما يقرب منه ونحو سقون عروجه الزنا ظال لرب

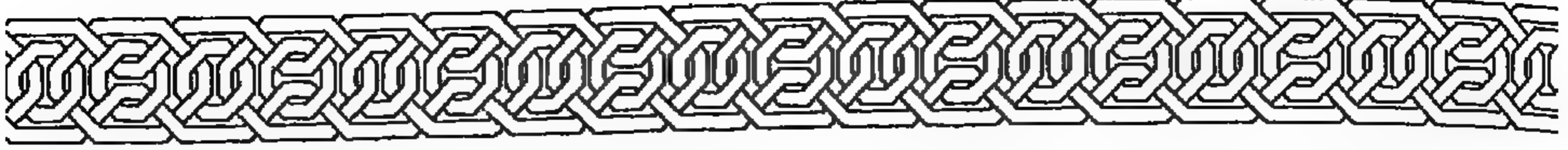


شكل - ٥٢ -

صفحة من صفحات احدى مخطوطات كتاب كيلة ودمنة من عهد المماليك
رسمت واستنسخت عام ١٢٢٢م في شمالي العراق . وهكذا يلاحظ ان
المخطوطات العربية كانت تزdan بالصور والرسوم ، لا في
الابحاث العلمية والطبية فحسب ، بل في
الادب والقصص وغيرها ايضا .

وبعض الأحداث الدينية كالعراج ، انما كانت من رسم فنانين مسلمين
غير عرب ... وهذه النظرة العامة إلى التصوير جعلته فناً مدينياً في طابعه
ينظر اليه كفن من فنون الدنيا لا كعمل من أعمال الآخرة ، اللهم
سوى تلك الزخارف الهندسية والنباتية ومناظر الطبيعة العامة والتفنن
بزخرفة الخط العربي وتنويعه وتحويله الى موضوعات زخرفية جميلة ، تسر
العين بمرآها ، ويصعب أحياناً على الانسان العادي قراءتها لكثرة ما أصاب
أحرفها من تحوير اقتضته التعبيرات الفنية .

على أن هذا الموقف الديني المناوئ للتصوير والنحت لم يقض عليه قضاء
تاماً . وقد كشفت الآثار عن نقائيل وصور إسلامية ترجع إلى العصر



الأموي ، أي الى أواخر القرن الأول المجري ومطلع القرن الثاني ، وأقدم الأمثلة على ذلك التصاوير الطينية التي نجدها في قصير عمرة (شرقي الاردن) وهو ملهى وحمام أموى على جدرانها صور مائة مرسومة على الجص لست شخصيات ملكية يلبسون ثياباً حسنة ، يصطف ثلاثة منهم في الأمام وقد مدوا أيدهم . ويقف الثلاثة الباقون خلفهم ، منها صورة الخليفة نفسه وأخرى لعدوه لذريق (آخر ملوك في اسبانيا) وتمثل البقية صور قيصر وكسرى والنجاشي وامبراطور الصين ، كما ذكرنا في بحث القصور . وهناك صورة رمزية تمثل الظفر والفلسفة والتاريخ والشعر كما توجد صورة نساء عاريات في حمام ، ومجموعة رجال يقوم بتدريبات رياضية . وفي صورة لمشهد صيد نرى أسداً واثباً على حمار وحشي . وفي مشهد آخر صور تمثل الراقصات والموسيقيين وأهل الطرب . وتجد مثل ذلك في قصر الحير الغربي الذي نقلت بقاياه إلى دمشق ، فعلى واجهته الخارجية عدد من التماثيل من بينها تمثال للخليفة حفظ لنا معظمه ، وفي داخل القصر تمثال للخليفة يركب الحصان عدا عدد من الصور تملأ الجدران وتمثل تارة فارساً في الصيد ، وتارة جوقة موسيقية ، ولعل أجملها صورة نصفية لامرأة تحمل سلة وقد التف حول عنقها ثعبان وفوقها مخلوقان خرافيان ، ويحد هذه الصورة شريط تزخرفه أفرع نباتية تؤلف دوائر ويتفرع منها عناقيد وأوراق نباتية ، وفي وسط هذه الصورة ميدالية يحف بها شريط من حبات اللؤلؤ . ويزين عنق المرأة عقد من اللؤلؤ .

ولم تحو المساجد الأموية ، ولا غيرها ، أي رمم للبشر أو الحيوان . ولكن الأمويين رسموا على جدران الجامع الأموي بدمشق وقبة الصخرة بالقدس والمسجد النبوي بالمدينة ، زخارف بالفسيفساء وهي فصوص صغيرة أو مكعبات دقيقة من الزجاج ومن الحجر ومن صفائح من البصوف تلصق



بنظام على طبقة من الجص . ويراعي حين لصقها أن تكون مسطحة وفي وضع أفقي .

وقد صممت رسوم الفسيفساء بحيث تؤلف وحدة مع البناء وتنسجم مع التصميم المعماري ... وأكثرها زخارف نباتية تقرب هيئتها في بعض الأجزاء من الطبيعة بحيث تصبح أقرب إلى صورة طبيعية منها إلى وحدة زخرفية ، ومن هنا اعتبرت هذه الرسوم من باب التصوير .



شكل - ٥٣ -

فسيفساء من قصر هشام بن عبد الملك
في خربة المفجر قرب اريحا بالاردن . بني حوالي سنة ٧٣٠ م
وتتألف رسوم فسيفساء الجامع الأموي من موضوعات مختلفة : بعضها
يمثل زخارف نباتية وبعضها يمثل أشجاراً ومياهاً وقصوراً وعمائر ذات
طوابق عدة ، ومن طراز معمارية مختلفة وحدائق مزدهرة مشجرة وجبالاً



وتللاً ، وقد صورت مياه النهر باللون الأزرق النقي يتخلله قليل من اللون الفيروزي واللازوردي والسماوي ... وتتناثر على سطح النهر حبات الزبد التي تتألق على حافة أمواجه بلونها الفضي . أما الأشجار فيميز منها أشجار غرطة دمشق كالسرو والخور والمشمش والجوز والتين والتفاح وقد لونت بالاخضر بدرجات مختلفة ، ترصعه بقع مدورة وبيضاوية ذات لون وردي أو أصفر تمثل الفاكهة والأزهار . وتمثل صور سيفساء قبة الصخرة نخيلاً وأشجاراً تتدلى منها فاكهة على شكل عناقيد العنب أو عراجين التمر ، يشوبها زخارف ، اذ يلاحظ على سوق الشجر أو جذوع النخل زخارف مؤلفة من فصوص من الجواهر ، أو من حبات اللؤلؤ ، وتشبه بشكل عام مناظر المسجد الأموي ، مما يدل على أن المدرسة الفنية واحدة في المسجدين .

ولم تحل عداوة الفقهاء المتزايدة للفن التصويري دون ارتقائه بعد ذلك على أساليب إسلامية صرفة أو مقتبسة ، وقد أثر عن العهد العباسي أخبار كثيرة تدل على انتشار الصور وقبول التماثيل لدى الناس ، فقد أقام المنصور فوق قبة قصره ببغداد تماثيل فارس بيده رمح ، وأنشأ الأمين حراقات على دجلة في أشكال الأسود والنسور والحيتان ، وجعل المقتدر في قصره تماثيل فرسان وطيور .

ومن آثار سامراء مناظر لراقصات ومغنيات يعزفن على الآلات الموسيقية ، ونساء شبه عاريات ، وأخريات يصطدن الوحوش ، أو كنيسة فيها رهبان ، ويظهر فيها جميعاً أثر الأسلوب الفني الساساني أو البيزنطي وقد وصف لنا الشعراء العباسيون بعض القصور وما كان عليها من رسوم حيوانية أو آدمية . من ذلك :

صور ترى ليث العرين تجاهه فيها ولا يخشى سطاء صوار (قطيع البقر)

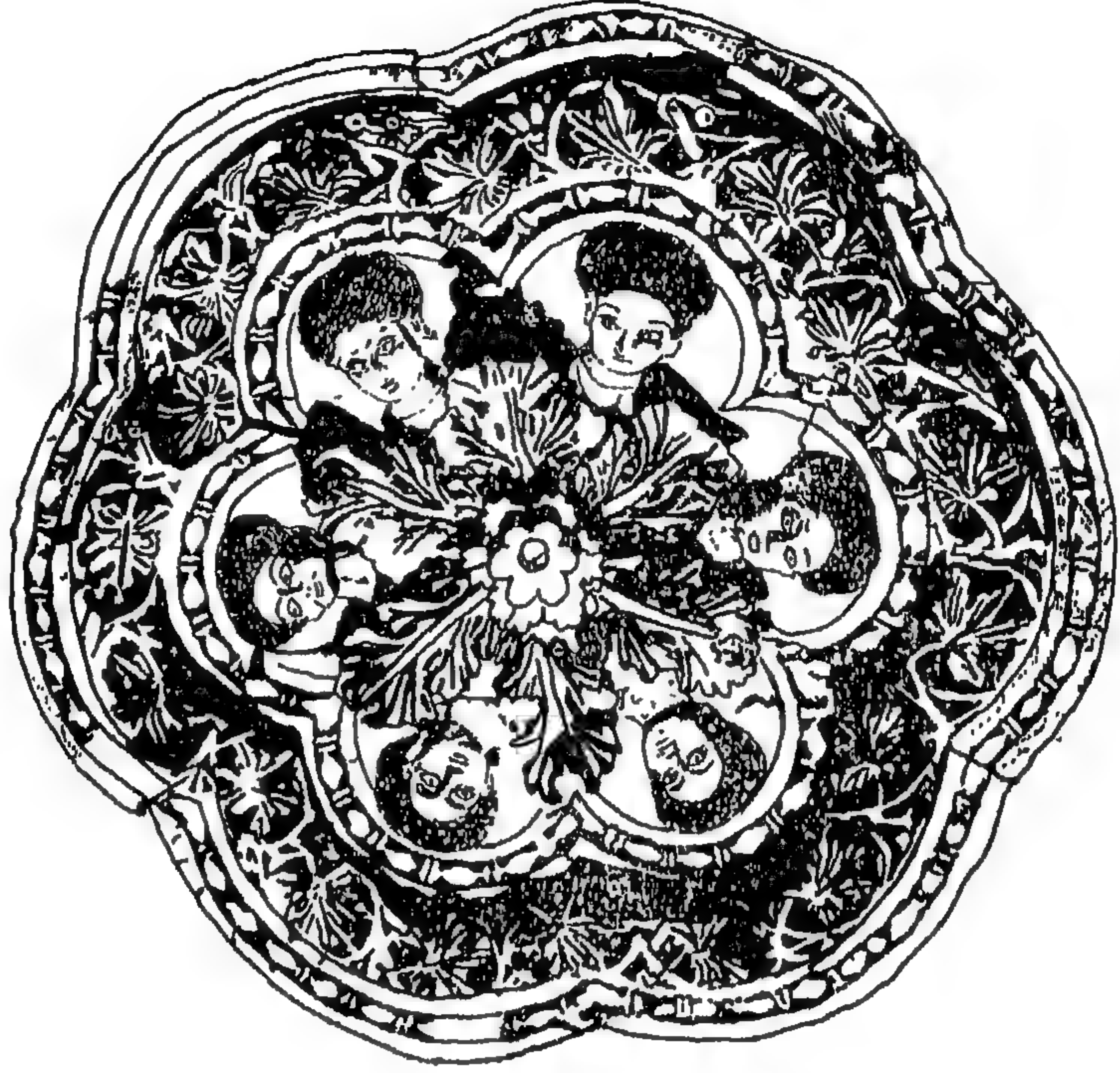


وفوارساً مثبت لظى حرب وما دعيت نزالٍ ، ولم يثخن مغار
وموسدين على أمرة ملكهم سكرأ ولا خمر ولا خمار
ويصف الشاعر عمر بن مسعود الحلبي حماماً بدمشق فيه صور وبما قاله :
وخط فيها كل شخص إذا لاحظته تحسبه ينطق
ومثل الأشجار في لونها ولينا لو أنها تورق
أخيارها من فوق اغضانها بودها تنطق أو تزعق
وهيئة الملك وسلطانه وجيشه من حوله يزعق
هذا بسيف وله عبسة وذا بقوس وبه يعلق



شكل - ٥٤ -

صحن من الخزف ، مزخرف بزخارف متعددة الالوان ، يمثل
فارساً على فرسه ، وقد كثر هذا النوع من الزخارف في مختلف
بلاد العالم الاسلامي . وهذا الصحن مصنوع في الري بايران
في القرن الثالث عشر الميلادي .



شكل - ٥٥ -

نموذج بديع ونادر ، من الرسوم البارزة في العصر الأموي .
وهو سقف قصر خربة المفجر الأموي الباقية آثاره حتى الآن في
الأردن ، يلاحظ فيه نقش بارز لرؤوس ست نساء بشكل زهرة .
وقد وجد هذا الأثر الفني بحالة جيدة في غرفة الاستقبال
الصغيرة بجوار الحمام وكانت خلفية النقوش البارزة ملونة
بشكل تبرز النقش وتكسبه جمالا ، ويرى الفنانون أثر الأسلوب
الساساني في النقش وفي التزيينات من ورق العنب والاقنثا (نبات
شوكي) والزهور المختلفة .

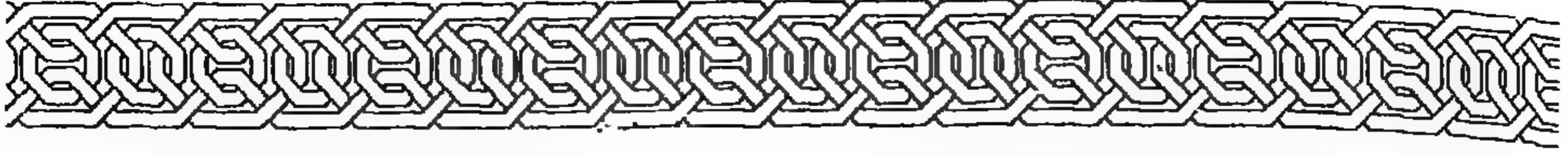


كما وصف الشعراء والكتاب الكؤوس المصورة والستائر والاولاني
الحزفية والنقود والاسلحة والمصابيح والحيام المملوءة بالصور .
وإذا انتقلنا إلى العهد الفاطمي والايوبي وجدنا في دور الآثار عدداً
كبيراً من آثار هذين العهدين من صور إنسانية وحيوانية ، كما نفع على
أخبار بعض المصورين ومنهم (الكتامي) صاحب صورة (يوسف في الحب)
الذي صورته وهو عريان ومثله (القصير) الذي كان يباري الآخرين بالصور
النافرة والغائرة . أما في الاندلس فأخبار التماثيل في القصور متوفرة ولعل
أهمها أسود قصر الحمراء وتماثيل الزهراء .
وأهم ما وقع عليه الباحثون من آثار التصوير في العصور المتأخرة ،
عدد كبير من المخطوطات العربية المزينة بالصور وأقدمها لا يرجع إلى
ما قبل القرن الثالث عشر . مثل (كلية ودمنة) و (مقامات الحريري)
و (الاغاني) . وفي المكتبة الاهلية بباريس نسخة من المقامات ترجع
إلى منتصف القرن السابع الهجري (١٣ م) فيها زهاء مائة صورة .
وقد ظهر هذا الولع بتصوير الكتب في العراق خاصة وفي الشام ومصر
أيضاً ، ثم تجلي هذا الفن وازدهر في فارس . ولعل أبرز اسماء الرسامين
الذين زينوا الكتب هو محمود الواسطي .

مدارس الرسم والتصوير :

هذا ويجمل الفنانون خصائص الرسم والتصوير في العصور الاسلامية بعد بلوغ
المسلمين درجة القمة الحضارية الفكرية والادارية في العصر العباسي ،
بالمدارس التصويرية الآتية :

آ - مدرسة بغداد او مدرسة التصوير السلجوقية : القرن (٥٧ / ١٣ م)
وتتمثل فيما خلفه لنا رسامو هذه الفترة من صور داخل المخطوطات واكثرها
ترجمات للقصص مثل كلية ودمنة ، أو ترجمات لمؤلفات يونانية في علوم
الطب والنبات والحيوان والطبيعة ، أو كتب أدبية كمقامات الحريري ،
أو مؤلفات اسلامية كعجائب المخلوقات للقزويني .



واقدم المخطوطات التي ترجع إلى هذه المدرسة كتاب في البيطرة كتب في بغداد سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٩ م محفوظ اليوم بدار الكتب المصرية بالقاهرة وهو ترجمة لكتاب خواص العقاقير لديوسكوريدس . وتوجد مخطوطة اخرى لنفس الكتاب محفوظة في متحف طوب كوبوسراي في استانبول كتب سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م . وفي النسختين صور اطباء يحضرون دواء او جراحين يقومون بعمليات جراحية .

واقدم نسخة لمقامات الحريري ، التي تذكر مغامرات الحارث بن همام وابي زيد السروجي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس وقد كتبت سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م ويظهر فيها التأثير السوري . وفي نفس هذه المكتبة نسخة اخرى كتبت ورسمت صورها سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م بريشة محمود الواسطي اشهر فناني هذه الفترة ، وفي صور هذه النسخة نشاهد مسلمي القرن الثامن عشر الميلادي في العراق وبقية الاقطار الاسلامية في مختلف نشاطات



شكل - ٥٦ -

صفحة من صفحات نسخة من مقامات الحريري تمثل رجلين جلوسا للشراب ، وهي من رسم فنان سوري ١٢٣٧ م ويلاحظ فيها اثر المدرسة العراقية . وقد ظهرت في سورية ومصر عدة نسخ مصورة للمقامات في عهد المماليك



شكل - ٥٧ -

نموذج من الرسوم الايضاحية من مخطوطات التاريخ الاسلامي وهي بريشة « رشيد الدين » عام ١٣٠٦م وتمثل معركة حربية ، ويلاحظ من ملامح الوجوه ان جيشاً عربياً بملابسه واسلحته وهيأته يحاصر قلعة مغولية. والنص الاصلي ، التي كانت الصورة ايضاحاً له ، يذكر عشرة آلاف فارس اجتمعوا تحت راية الامير نصر بن ناصر الدين وغيره وزعيم العرب وحاصروا المردة في قلعة ارك . سنة ٣٩٣ هـ .



شكل - ٥٨ -

صورة تزين نسخة من مخطوطة كتاب « مقامات الحريري » محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس ويشاهد فيها بائع وشاري في الأعلى ورجال ونساء في الأسفل ، وتظهر ملابس الرجال والنساء بوضوح وهي نموذج من الرسوم الايضاحية التي كثرت في المخطوطات العربية وتعطينا فكرة واضحة عن ملابس القوم في العصر الذي رسمت فيه .



الحياة : في المسجد ، في الحقل ، في الصحراء ، في الحانة ، في المكتبة
في الافراح والاعياد والاحزان ...

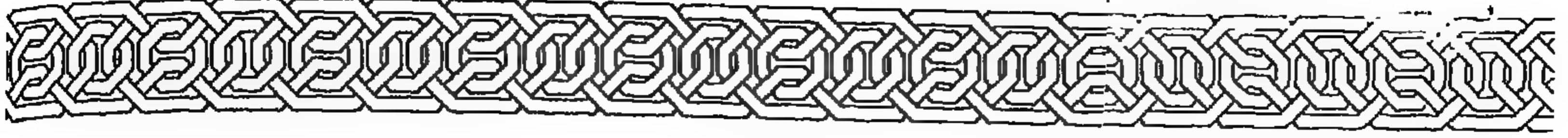
وتمتاز هذه المدرسة بأنها عربية اكثر منها ايرانية ، وتلوح على
الاشخاص مسحة راقية ، وتغطي وجوههم لحي سود فوقها انوف قني .
مع مهارة في التعبير عن حالة الجماعات والافراد . ودقة في رسم دقائق
زركشة الملابس وانواع الازهار والرياحين التي كان يكثر منها الناس في
حدائقهم ومنازلهم .

واشهر رسامي هذه الفترة الواسطي الذي ذكرناه ، والذي تعتبر
رسومه في مقامات الحريري صورة صادقة للحياة الاجتماعية في عصره .
وعبد الله بن الفضل ، واشهر ما عثرنا عليه من رسومه ، نسخة من كتاب
خواص العقاقير رسمه سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م محفوظة في المكتبة الوطنية
في باريس كانت تحوي ثلاثين صورة ، ولكن اكثرها اليوم موزع في عدد
من متاحف العالم كاللوفر في باريس والمتروبوليتان في نيويورك .



شكل - ٥٩ -

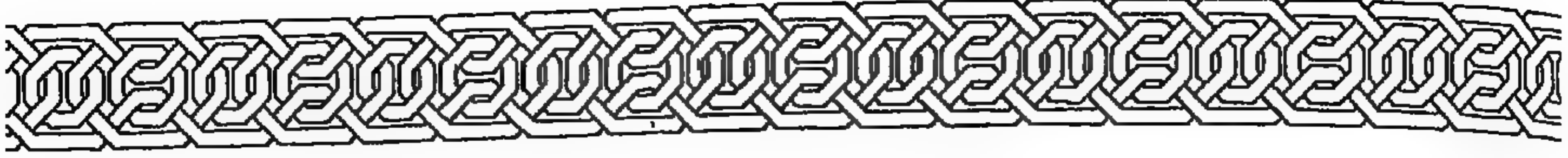
من اكثر رسوم الرسام رشيد الدين تعبيرا ، هذه اللوحة التي تمثل
سفيرا مسلما مع مرافقه في بلاط ملك الحبشة ويلاحظ في هذه اللوحة ،
التي تزين احدى صفحات كتاب « التاريخ العام » المنسوخ في تبريز عام
١٣٠٦م ، اثر الفن الصيني ، وبروز ميزات مدرسة متابئين النهرين الفنية معا .



ب - المدرسة الإيرانية المغولية (القرن ٨ / ١٣ - ١٤ م) : ويظهر في هذه المدرسة اثر الواقعية في المناظر الطبيعية الصينية . وا قدم مخطوطة من هذا العصر نسخة ايرانية من كتاب منافع الحيوان لابن بختيشوع محفوظة في مكتبة مورجان بنيويورك . واشهر الرسوم ما وجد في كتاب « جوامع التاريخ » للوزير المؤرخ رشيد الدين . وبين ايدينا اربع مخطوطات منه : إحداها كتبت ورسمت سنة ٧٠٧ / ١٣٠٧ م ومحفوظة في مكتبة جامعة ادنبرة وثانيها مؤرخة سنة ٧١٤ / ١٣١٤ م ومحفوظة في مكتبة الجمعية الملكية الآسيوية بلندن . والنسختان الاخيرتان محفوظتان في مكتبة طوب كوبرو سراي في استانبول . وتماز جميع الصور باستطالة رسم اجسام الرجال الذين تبدو على مسحة انسان .

ويلاحظ على صور هذه المدرسة اضافة إلى الاثر الصيني في الرسم والتكوين وتضمينها صور الحيوانات الخرافية الصينية ، مزيج في غطاء الرأس ، فللمحاربين انواع كثيرة من الخوذات ، وللنساء قلنسوات مختلفة بعضها مزين بريش طويل ، وللرجال ضروب شتى من القلنسوات والعمائم ؛ تساعد هذه الرسوم على معرفة انواع الملابس والمودات في القرن الذي رسمت فيه .

ج - مدرسة التصوير التيمورية في إيران (هراة) القرن ٩ / ١٥ م كان تيمورلنك قد اتخذ سمرقند عاصمة له وجمع فيها اشهر الفنانين واصحاب الصناعات الدقيقة ، ولكن عمله لم يقض على تبريز وبغداد كمر كزين فنيين في العالم الاسلامي ... ولم يصلنا شيء يذكر من انتاج سمرقند في الرسم ، وإنما الذي وصلنا من انتاج مدينة « هراة » بخراسان التي جمع فيها ابن تيمور وخليفته ويدعى شاه رخ الفنانين وخاصة النساخ والرسامين لتزويد مكتبته بالمستنسخات ، وكان ممن رسم له الكتب المصورة « خليل »



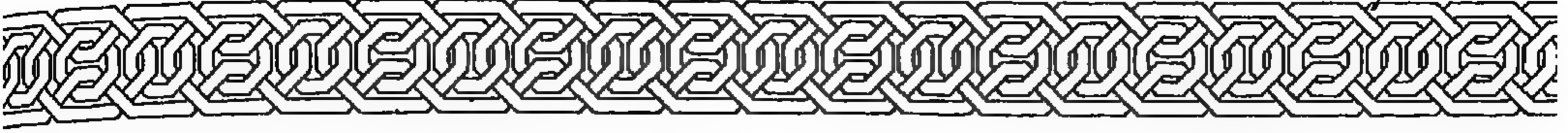
الذي اعتبر واحداً من عجائب عصره . وقد أسس ابن شاه رخ ويدعى ميرزا مكتبة ومعهداً لفنون الكتابة ، عمل فيه اربعون فناناً بين مصور ومذهب وخطاط ومجلد ، ومن المصورين : امير شاهي وغيث الدين . وأكثر انتاجهم كان في تصوير الشاهنامة وكتب الشعر العاطفي والتصوفي لمشاهير الشعراء الايرانيين أمثال نظامي وسعدي .

وصور هذه المدرسة مليئة بمنظر الزهور والحدائق ، وجمال فصل الربيع ، والأشجار الطبيعية ، وأشكال الطبيعة من جبال وتلال . . . كلها بالوان ساطعة لا يكسر من حدتها تدرج ما .

يضاف إلى هذا بعض الصور العلمية لمخطوطة كتاب مجموعات النجوم لعبد الرحمن الصوفي المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس رسمت عام ٨٤١هـ / ١٤٣٧ م . وفيها كثير من الصور الآدمية والطيور والحيوانات التي توضح أسماء النجوم والمجموعات الفلكية .

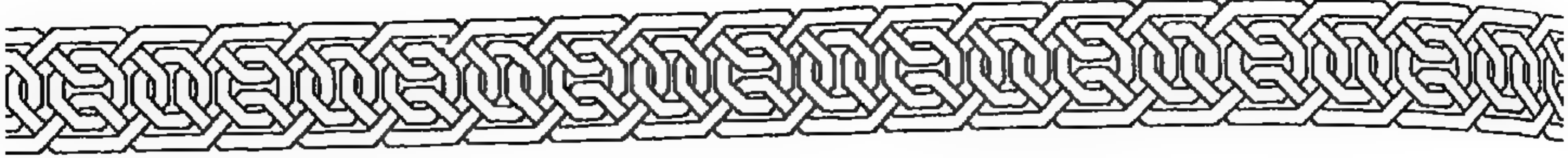
د - مدرسة بهزاد : وتنتسب إلى كمال الدين بهزاد الذي لقب بمعجزة العصر والذي نشأ في هراة ، ولكنه أدخل على الرسم والتصوير كثيراً من التطوير . ويعتبر بهزاد من أوائل المصورين المسلمين الذين وضعوا تواقيعهم على آثارهم الفنية ، وقد تبين لنا أن كثيراً مما وصلتنا من صورته ، لم يكن النسخة الأصلية ، وإنما صور منقولة عنها ، احتفظ النساخون بالتوقيع الأصلي .

وامتاز بهزاد بمقدرته على مزج الألوان والتعبير عن الحالات النفسية المختلفة ، ويقول أحد الكتاب في وصف رسم هذا الفنان : « انك لتحس أمام آثاره الفنية أن بين يديك صوراً ارسقراطية بهيوتها وبحسن الذوق وإبداع التركيب فيها ، وبدقة الزخرفة وانسجامها ، فما يشهد ان بهزاد كان



شكل - ٦٠ -

صفحة من كتاب مجموعات النجوم لعبد الرحمن الصوفي ، وهو مخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس رسمت عام ٨٤١هـ / ١٤٣٧م وفيها بعض مجموعات النجوم ، رسمت على شكل اناسي وحيوانات وشرحت شرحا فلكيا علميا .



المصور الكامل الذي انتهى على يديه تطور التصوير الإيراني في عهد المدرستين :
الإيرانية المغولية ، ثم التيمورية فبلغ التقدم منتهاه .

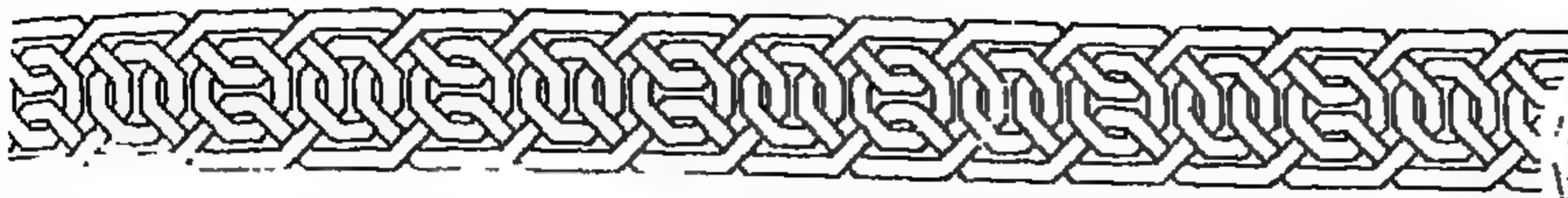
هـ - مدرسة بخارى : ازدهرت في بخارى (القرن ١٠ هـ / ١٦ م) مدرسة
فنية متأثرة بالمدرسة التيمورية وبهزاد وتلاميذه . وكثرت فيها المناظر الغرامية .
ويتميز غطاء الرأس في هذه المدرسة بأنه يكون من قطنسوة مرتفعة ومضلعة ،
وتحيط العمامة بجزئها الأسفل . ومن الصور الشهيرة لهذه المدرسة منظر سلطان
سوري يناقش درويشاً في حديقته ، استخدمت فيها ألوان زاهية تشبه ألوان
المينا ، وفيها لون أحمر قرمزي ساطع يعد من مميزات مدرسة بخارى .

و - المدرسة الصفوية : رعت الدولة الصفوية الفنون ، كما رعت العلوم
والآداب ، وتبارى الرسامون في تصوير نسخ شاهنامه الفردوسي التي عني بها
جميع فناني المدارس التي ذكرناها ، ولكن ظهر الميل في هذه الفترة إلى
تصوير الدوايش والأمراء في ثيابهم الأنيقة وأصبح ذلك من الموضوعات
المفضلة ، وظهر نوع جديد من العمامات الكبيرة ذات الريش والأزهار .

ز - المدرسة التركية : أكثر رسامي هذا العهد ، غير أتراك ، فكانوا
أخلاقاً من أمم شتى ، فصورة السلطان محمد الفاتح المعروضة في المتحف
الوطني بلندن ، من رسم المصور الإيطالي جنتلي بلييني عام ١٤٨٠ م ورسامو
مخطوطة تاريخ سلاطين آل عثمان ومخطوطة سليمان نامة إيرانيون ، وأن ظهر
التأثير التركي بشكل الملابس التركية المختلفة في العصور الأولى ، وامتازت
رسوم هذه المدرسة باللون الأخضر الزاهي المائل إلى الأصفرار .

ح - المدرسة المغولية الهندية : يعد تصوير المتصوفين والنسك والهنود
وهم يجادثون الأمراء والأشراف من أكثر الموضوعات التي طرقتها رجال
الفن في الهند في العصر المغولي ، كما بلغ تصوير الأشخاص القمة في هذه المنطقة .

الفصل السابع



الكتابة والخط



يجمع الباحثون أن الكتابة نشأت وتطورت في أرض الوطن العربي القديم ، وأن مراحل إيجاد الأبجدية تم على الأرض العربية القديمة ، سواء أبجدية سيناء ، أو أبجدية جليل أو أبجدية رأس شمرا ، وهي أتمها وتعتبر أم الأبجديات العالمية . وإذا ما تجاوزنا الكتابات القديمة كالمروغليفي وتطورها والمسبارية ، فأننا عثرنا على عدد من الكتابات العربية القديمة ، وإذا كان الخط الآرامي يعد جد الخطوط العربية ، إذ تفرع عنه الخط النبطي الذي يعد أقرب ما يكون للخط العربي عند أول عهد اتصال حروفه العربية بعضها ببعض ، فإن عدداً من الخطوط الأخرى استعملت في جزيرة العرب مثله وهي :

الخط المسند الصفوي نسبة إلى جبل الصفا (في جبل الدروز السوري حالياً) .

الخط الثمودي نسبة إلى ثمود (مدائن صالح) .

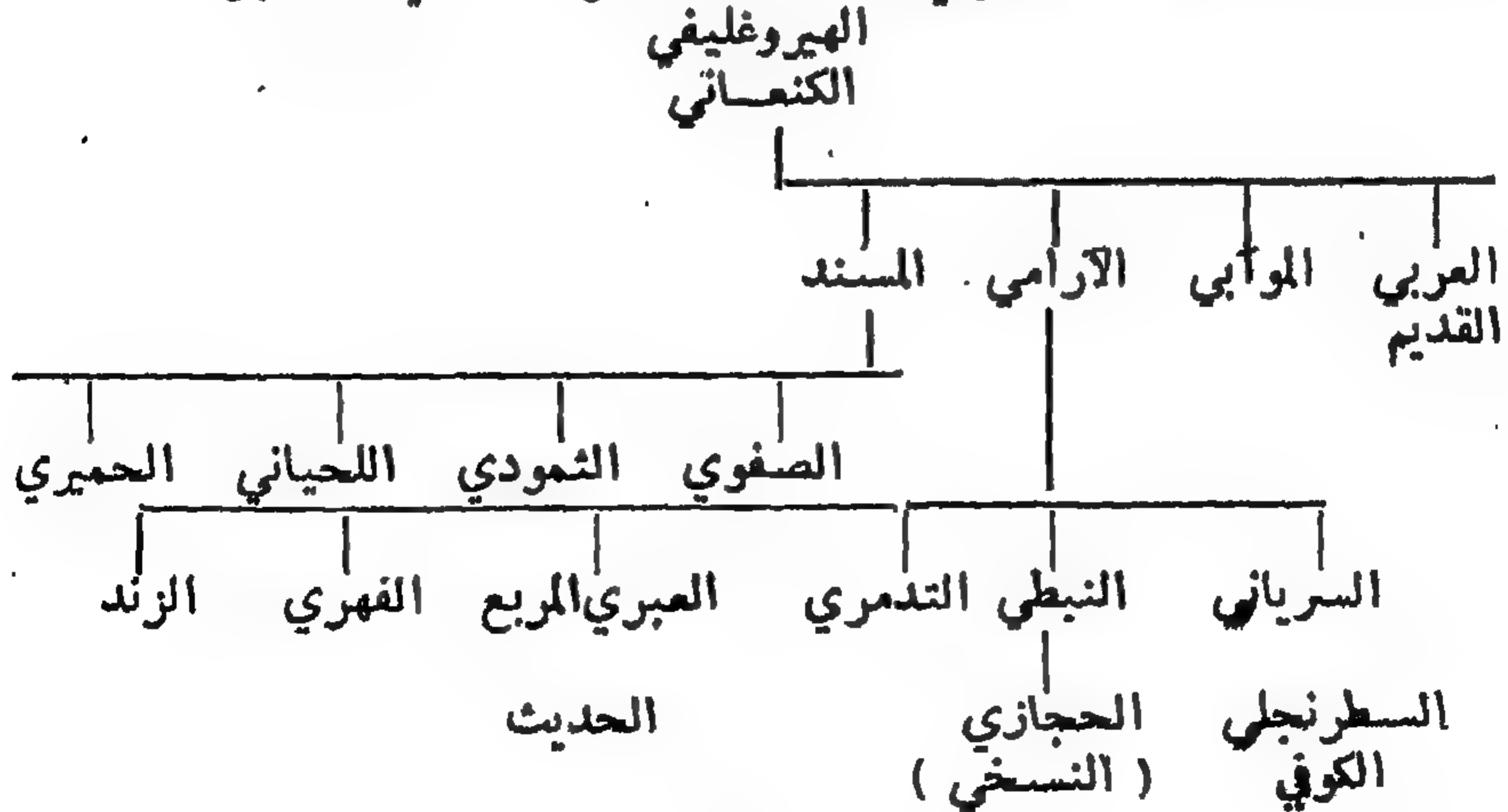
الخط اللحياني نسبة إلى بني لحيان .

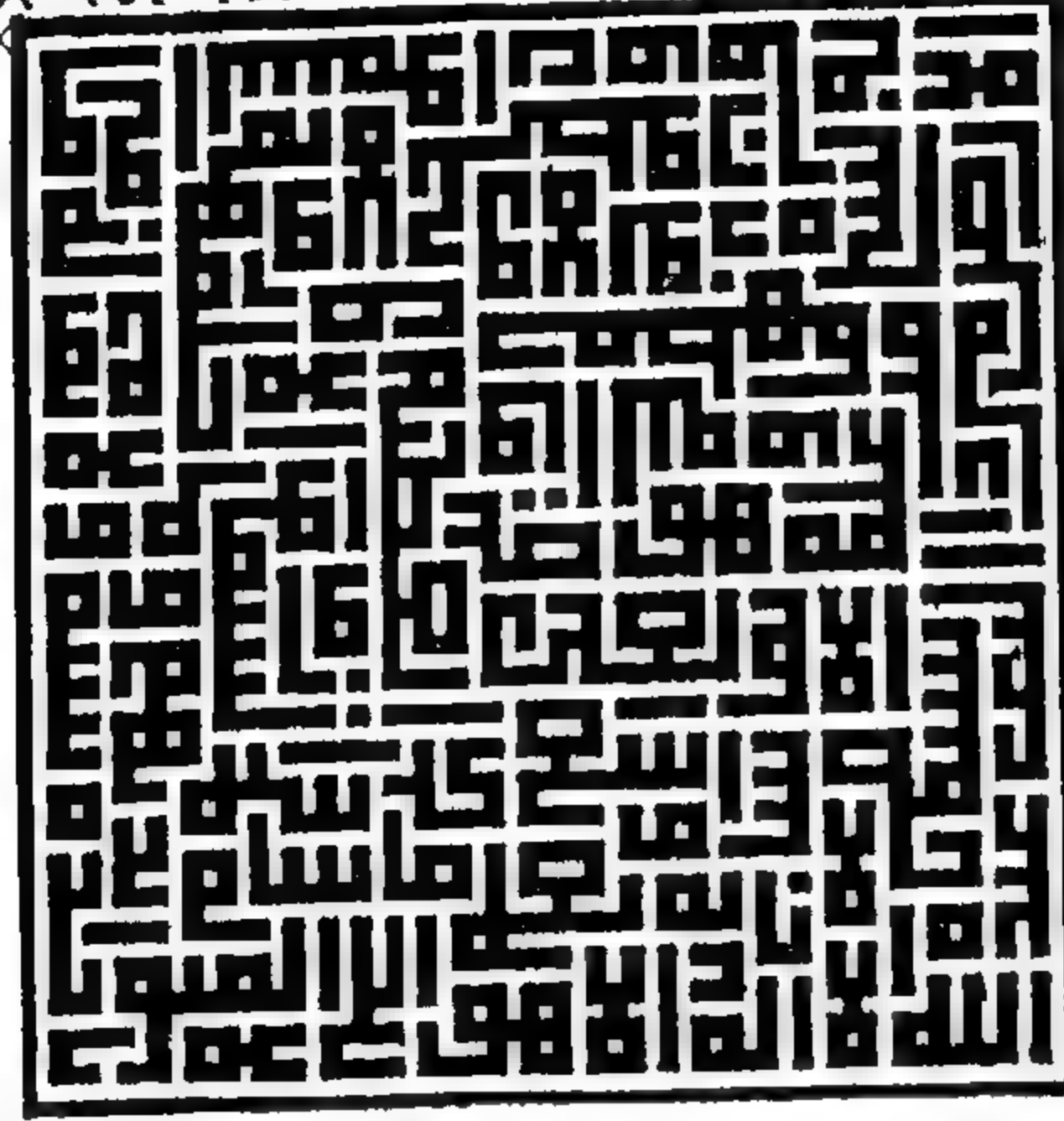
الخط الحميري والخط السبي نسبة إلى حمير وسبأ .

الخط الحيري نسبة إلى الحيرة والانباء ، وهو الخط الذي انتقل إلى

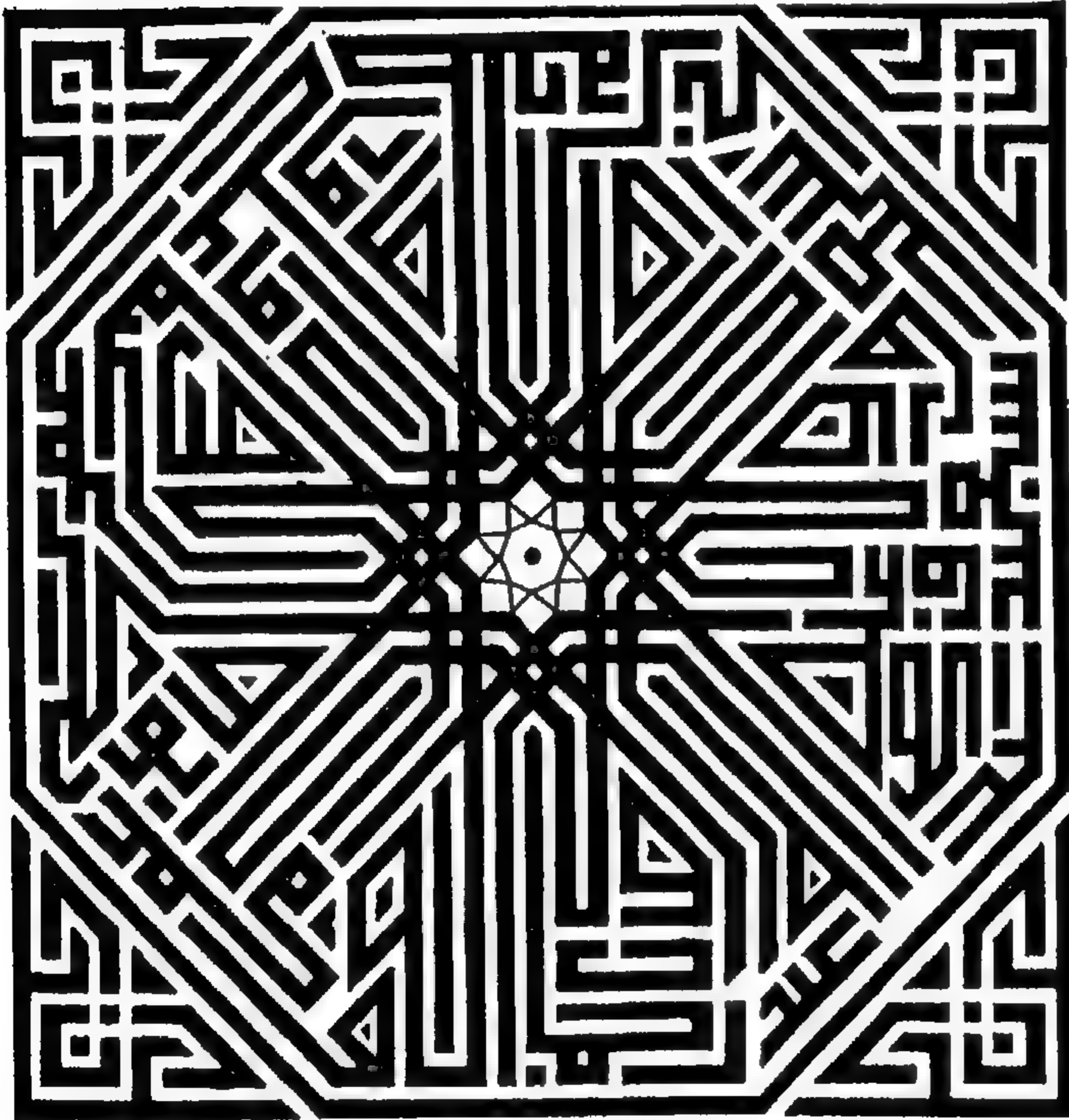
عرب الحجاز في الجاهلية ، وكان بغير نقط^(١) .

(١) يحدد تطور الخط العربي د. محمد الطاهر أحمد مكي بالشجرة التالية :

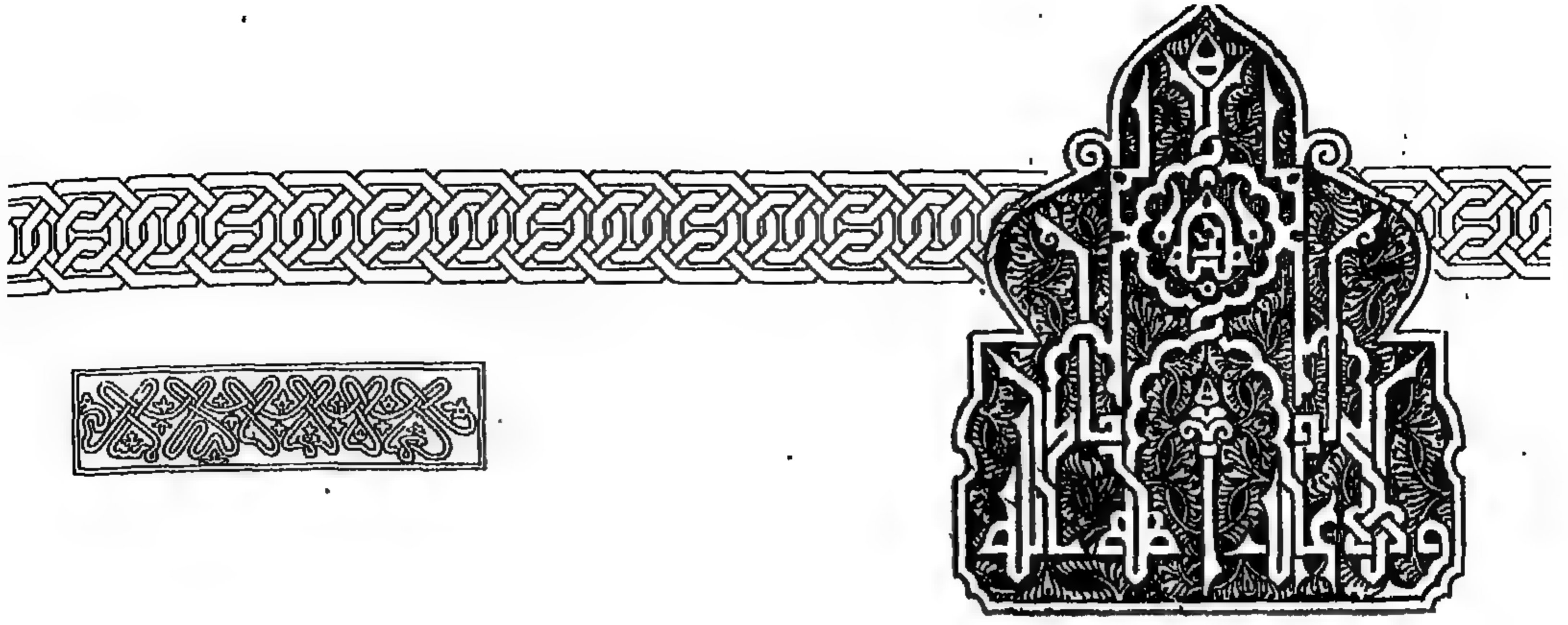




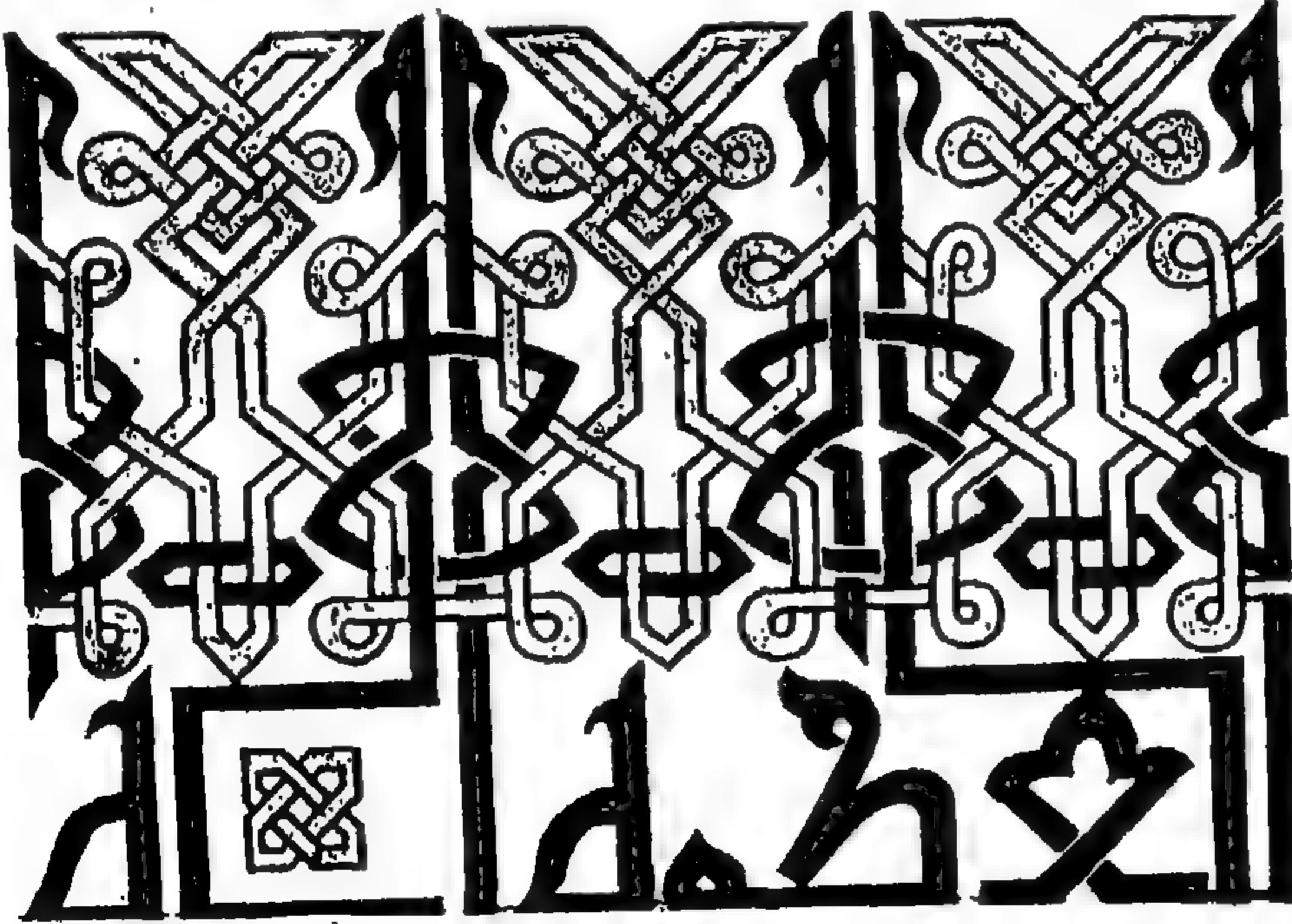
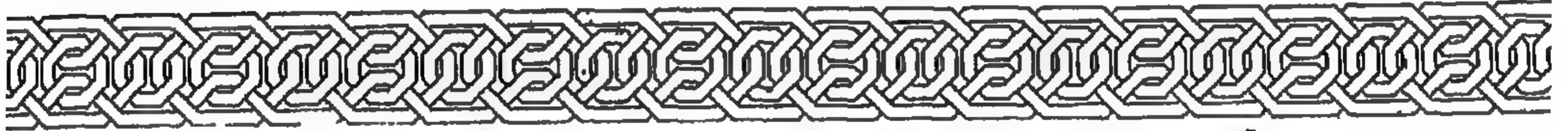
« آية الكرسي » بأسلوب يدعى « آية وضوح الكلمة » وجمال التنسيق ووحدة الزخرفة ..



نفس المسلمون في تجميل الخط، وكتابته كتابة فنية جميلة. أغلبها . مفبس من أي الذكر الحكيم أو الادعية ، أو ما يمت إلى الصحابة بصلة ، وقد ذهبت البسمة بالجزء الأكبر من اهتمام الخطاطين المسلمين ، بما ترى ، نماذج منها في تضاعيف هذا الكتاب . وقد ملأت الكتابات الجميلة دنياهم ، وازدانت بها مساجدهم وقصورهم ، ومختلف عمرانهم ، وكتبهم ، وأثاثهم ..
وهذه قطعة تزيينية جمعت أسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة . فيها التناسق والتكامل ، ورغم اختلاف الأسماء وعدم تكرارها ، كما هو الحال في الكثير من القطع الأخرى .



« ولا غالب الا الله » جملة تفنن مسلمو الاندلس بكتابتها ونقشها في جميع أعمالهم الفنية المعمارية خاصة . وهذا الشكل يمثل كتابة كوفية اندلسية على هيئة أقواس ، وضعت في مداخل المسجد . والزخرفة التي تتخللها قد ملئت بخطوط وريقات رسمت على طريقة « تسهيم » بخطوط كالسهم مما جعل الزخرفة تمتاز بحسن التوزيع والتناظر والتحوير عن الطبيعة ، فأكسبها طابعا هندسيا نباتيا (عن مصور الخط العربي لناجي زين الدين) ..



اتخذ الفنان من جملة « العظمة لله » موضوعا زخرفيا متتابعا جمع بين الكتابة الدينية والرسوم الهندسية





اتخذ الفنان المسلم من الاحرف العربية ، والكتابة العربية مواضيع زخرفية بشرية وحيوانية ، فجعل رؤوس الاحرف على شكل وجوه كما في زخارف ونقوش اناء معدني زين بكتابات عربية من صنع هراة في القرن الحادي عشر الميلادي

يذكر القلقشندي « إن أول من وضع الخط والحروف الهجائية العربية ستة نفر من طسم من العرب البائدة كانوا نزولاً عند عدنان بن أد فكانت أسماؤهم : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعقص ، قرشت ، فوضعوا الخط على أسمائهم ، فلما وجدوا في الالفاظ حروفاً ليست في أسمائهم الحقوها بها وسموها الروادف وهي ثخذ ، ضظغ . والواقع أن هذه الروادف ليس لها نظائر في أبجدية اللغات التي تطورت عنها الكتابة العربية وأخذت عنها . وتروي كتب الادب أن ترتيب الابجدية العربية الهجائي حدث في عهد عبد الملك بن مروان ، على يد نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وهو ترتيب مبني على تقارب أشكال الحروف ، بينما اعتمد مؤلفو المعاجم الأوائل على ترتيب بالنسبة لخارج الحروف من الحلق أو الفم وكانت على هذا النحو : حروف المد (الألف والواو والياء) ثم الهمزة فالعين فالغين فالحاء ثم ت ، ك ، ج ، ش ، ي ، ض ، ل ، ن ، ط ، د ، س ، ز ، ظ ، ذ ، ث ، ف ، ب ، م .

وقد تطور الخط العربي بعد الاسلام فصار إلى ما صار اليه من إتقان وزخرفة فبعد أن كان الخط الحيري الانباري قسمين : الخط المقور ويسمى



النسخي والخط المبسوط ويسمى باليابس . وقد كتب كتاب الوحي للنبي عليه السلام بالخط المقور النسخي ، وبه كتب زيد بن ثابت صحف القرآن الكريم ، وكان تجويد هذا الخط يقسم إلى مكبي ومدني ، ثم بدأ الخط في الكوفة فظهر الخط الكوفي ، وما زال المسلمون يجودون الخط ويعنون به ، ويرقون به حتى أصبح له سبعة أنواع رئيسية هي : الثلث ، النسخ ، الرقعة ، الديواني أو الهياضي ، الفارسي ، الأجازة أو التوقيع ، والكوفي ، ويتفرع كل خط منها إلى فروع متعددة ونحن لا يعيننا هنا الخط ككتابة لها معاني بقدر ما يعيننا تجويد رسم الحروف بأشكالها المختلفة .

ونحن لا نقصد بالخط الكتابة بقدر ما نقصد تجويد رسم الحروف بأشكال مختلفة وهو فن إسلامي خالص ، وجد به المسلمون منفذاً للتعبير عن رغبتهم في إبداع الجمال وتدوقه حين كان التعبير عن ذلك بالتصوير وتمثيل الكائنات الحية أمراً مكروهاً من المتدينين .

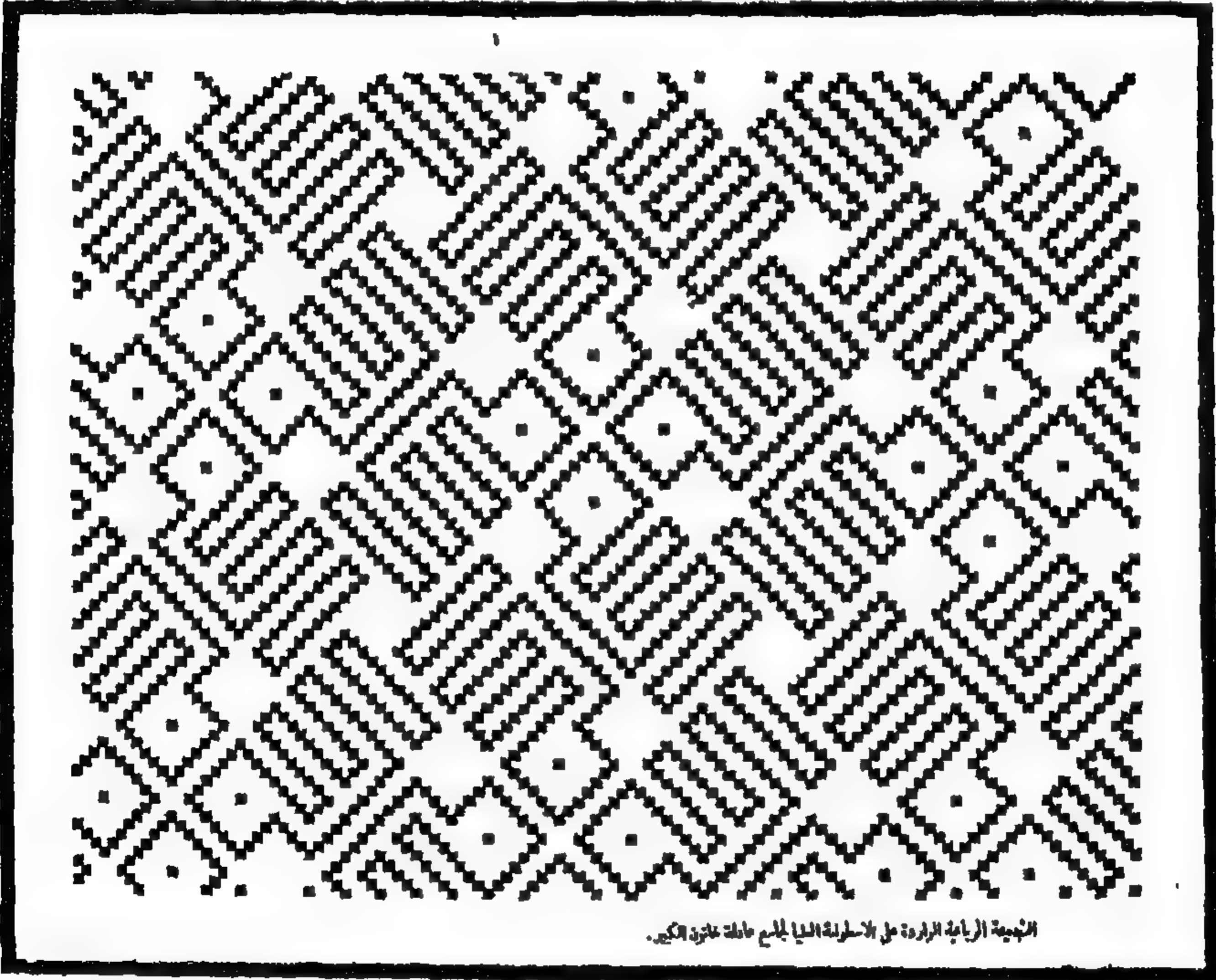
وبدأ تجويد الخط في الكوفة ثم في الشام ولكن فن الخط إنما ازدهر في القرن الثاني الهجري فلم يأت القرن الثالث حتى أصبح أشرف فن يرغب فيه ، إذ كان من أغراضه أن يخلد كلام الله في الصحف . وقد جاء في القرآن الكريم تأكيد لتلك المكانة قوله تعالى : « ن . والقلم وما يسطرون » وفي أول آية أنزلت « اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » . ولهذا السبب احتل الخطاطون مكانة أعلى بكثير مما كان للمصورين ، حتى كان الأمراء والكبار في الدولة يسعون لنيل الخطوة الدينية بكتابة القرآن .

وقد ظهرت مع تفنن الكتاب ، وضرورات الحاجة وتغير الزمن أنواع مختلفة من الخط بقي لنا منها : الثلث والكوفي بأنواعه والنسخي (كاحرف الطباعة) والرقعي (كخط الكتابة) والديواني بأنواعه



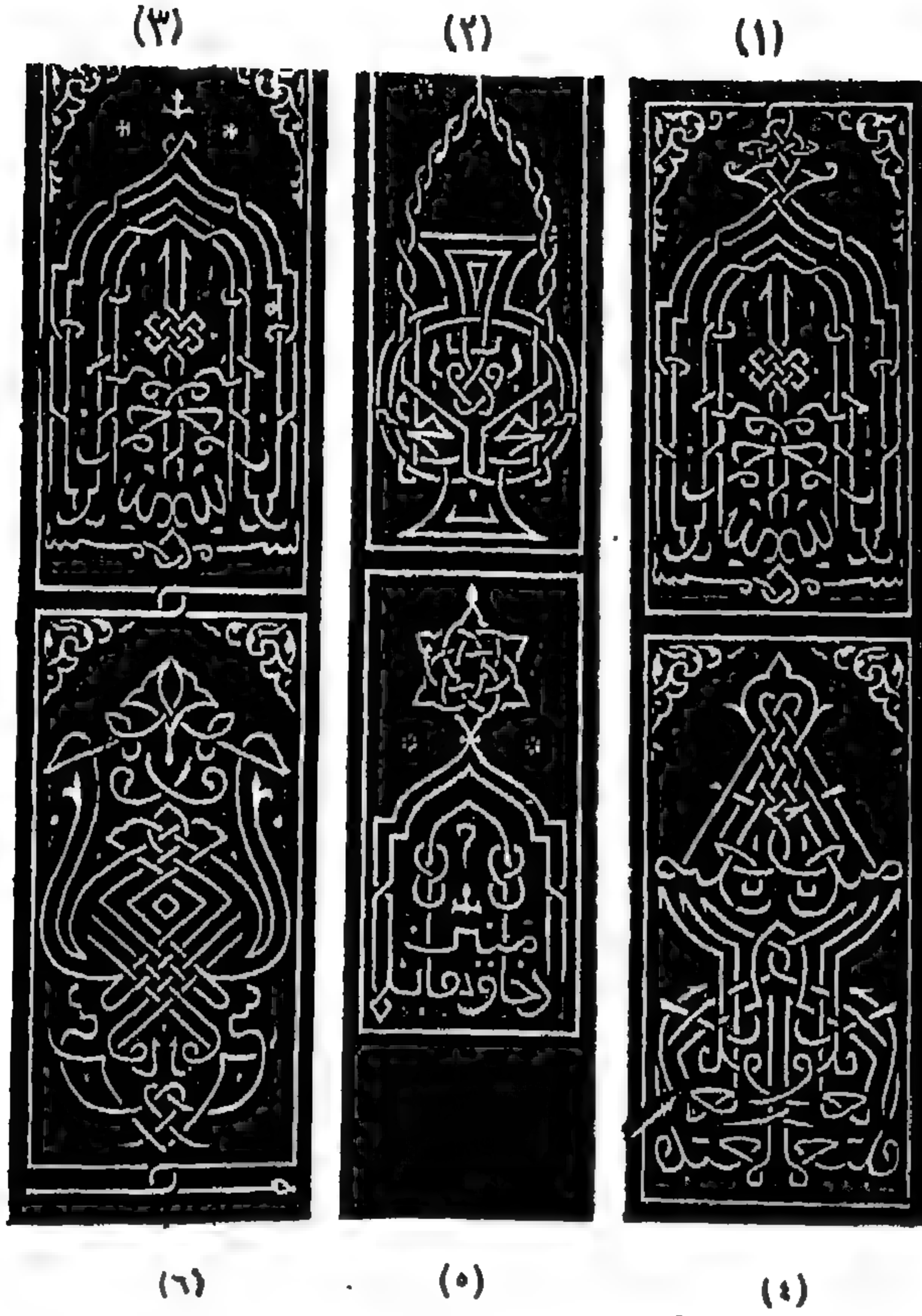
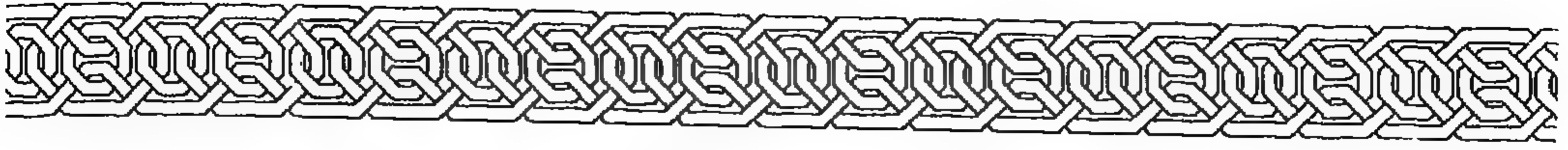
(وقد كانت تكتب به المراسيم السلطانية) والفارسي أو التعليق . ولكل نوع من هذه الأنواع قواعده واسلوبه ونسبه وآدابه وقد بلغت الغاية في الدقة والأحكام .

وتحفظ لنا كتب الأدب والتاريخ أسماء عدد من الخطاطين ممن أغدقت عليهم النعوت الطيبة بخلاف أصحاب هندسة البناء والمصورين وصناع الأواني المعدنية الذين أسدل التاريخ حجابهم على ذكرهم .



شكل - ٦٥ -

من دراسة زخارف المآذن (المنارات) في العراق وايران وتركستان المبنية من الآجر ، يتبين انها كانت تخضع لقواعد فنية ممتازة ، وكانت تعتمد الكتابات بشكل تجميع ثلاثي حيث تتكرر الكلمة ثلاثا ، أو تجميع رباعي وهو الأكثر شيوعا حيث تتكرر الكلمة أربع مرات بأربع اتجاهات ، ومنارة جامع عادلة خاتون الكبير في بغداد ، نموذج للتجمع الرباعي ، حيث يشاهد بالشكل لفظ الجلالة يتكرر بالآجر الملون البارز ويعطي شكل المنارة الزخرفة الخاصة بها



كتابات مزججة متعكسة على هيئة زخارف عربية اسلامية من القرن العاشر الهجري. نصوصها هي : ١- بسملة ، ٢- يا مفتاح الابواب ، ٣- بسملة ، ٤- لئلا هذا فليعمل العاملون ، ٥- ادخلوها بسلام آمين ، ٦- كل شيء هالك الا وجهه

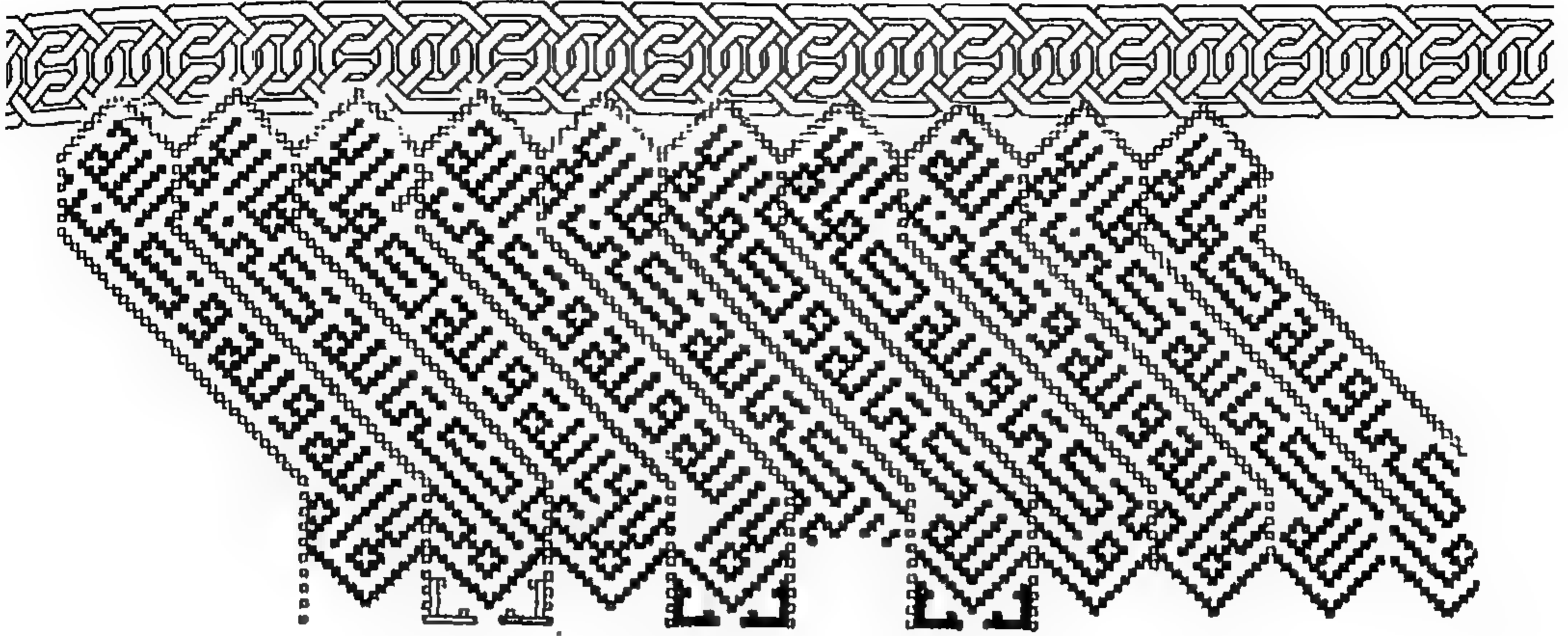


ومن الخطاطين القدامى قطبة المحرر ، من أواخر العهد الأموي وتلاه رجلا من أهل الشام تنسب إليهما هندسة الحروف العربية : أحدهما الضحاك الذي عاش حتى عهد السفاح ، والثاني إسحق بن حماد وقد أدرك خلافة المهدي . وتفنن الاثنان فيما ابتكر قطبة من أقلام . ويقال إن جهدهما قد انتهى بالأقلام العربية إلى أن صارت اثني عشر قلماً منوعاً .

ومن واضعي أسس فن الخط : « الأحول المحرر » من صنائع البرامكة الذي ابتكر عدداً من الخطوط ؛ و « الريجاني » الذي زها في عصر المأمون وتوفي سنة ٨٣٤م بعد أن ابتكر أسلوب الخط المعروف باسمه . والشائع أن جودة الخط قد انتهت على رأس المائة الثالثة إلى الوزير أبي علي محمد بن مقله ، الوزير العباسي المشهور الذي ضبط هندسة الخطوط ونسبها ، وابتكر أخوه عبد الله « الخط النسخي » . وقد أمر الخليفة بقطع يد ابن مقله عقاباً له ذات يوم فلم يمنعه عن تجويد الخط بيسراه بل كان يشد القلم على ساعده الأيمن ويكتب به أيضاً .

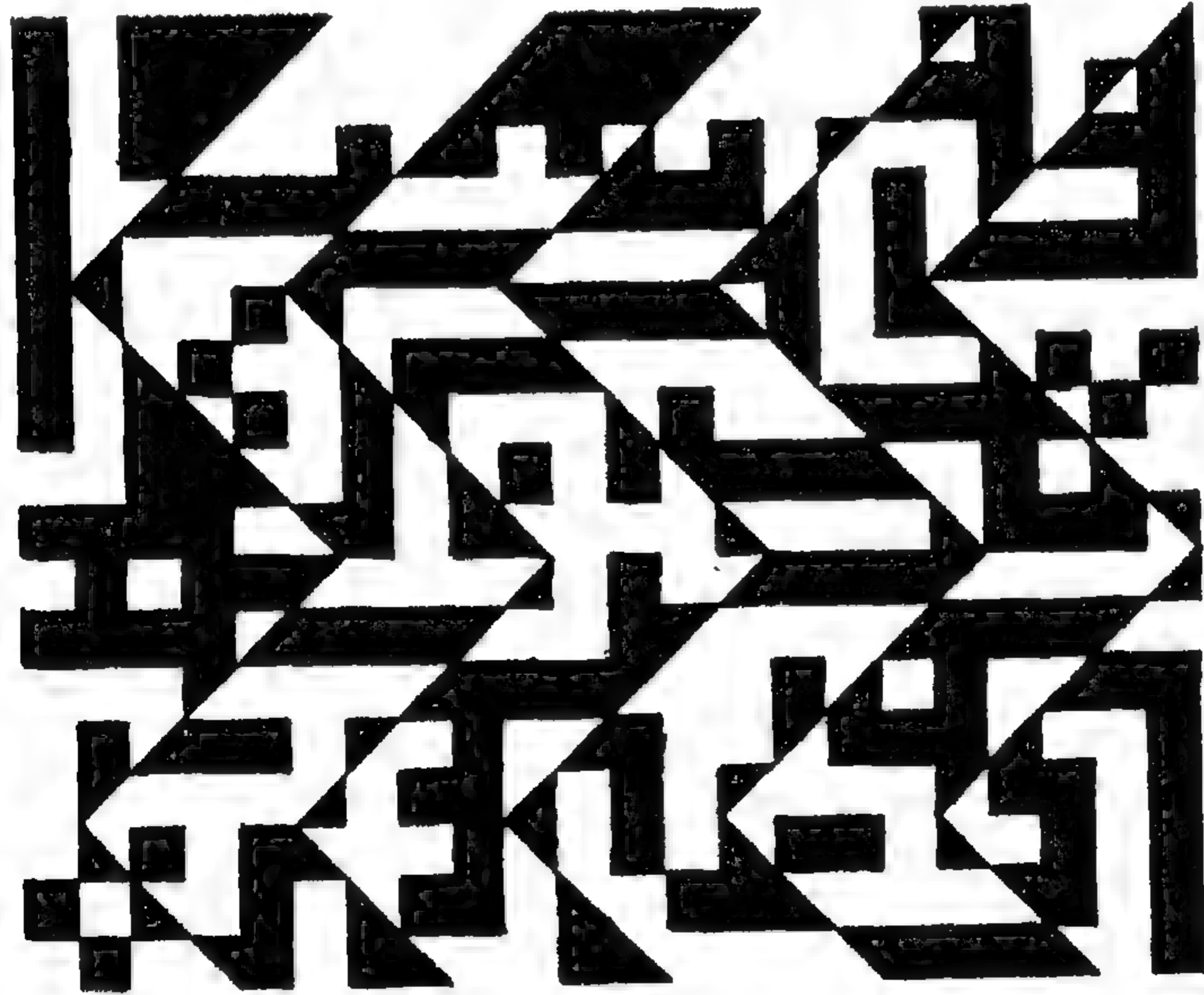
ومن الخطاطين في العراق أبو الحسن علي بن البواب (المتوفى سنة ١٠٢٢ أو سنة ١٠٣٢ م) نسبة لأبيه الذي كان يلزم باب الخليفة في بغداد وهو واضع أسلوب الخط المعروف بالحقق . وآخر من برع من أصحاب القلم لدى العباسيين ياقوت المستعصي خطاط آخر خلفاء بني العباس واليه ينسب الخط الياقوتي . وقد وصلنا عدة آثار منه .

وقد ظهرت عناية الشام بالخط منذ أواخر القرن الخامس الهجري فظهرت فيها أشكال جديدة من الخطوط أهمها خط النسخ ، وهو ابتكار سوري ، وخط (الطومار) ومشتقاته . وهجرت خطوط الكوفة في كتابة المصاحف وحلت محلها الخطوط اللينة كالخط النسخي الأتابكي الذي ساد في العصر الأيوبي والمملوكي .



شكل - ٦٧ -

خضعت زخارف المنائر (المآذن) المبنية من الآجر في العراق وإيران ، كما خضعت نصوصها من حيث الشكل والنهج الى قواعد معينة جعل منها طرازاً ثابتاً على مستوى فني رفيع . ففيها تكرار لكلمة أو جملة ، وفيها تجميع ثلاثي أو رباعي لها ، وبها تكرار تناظر . وهذا الشكل يمثل النصوص الواردة على منارة جامع الحيدر خانة في العراق (مقتبسة من كتاب البعد الواحد لشاركر حسن آل سعيد)



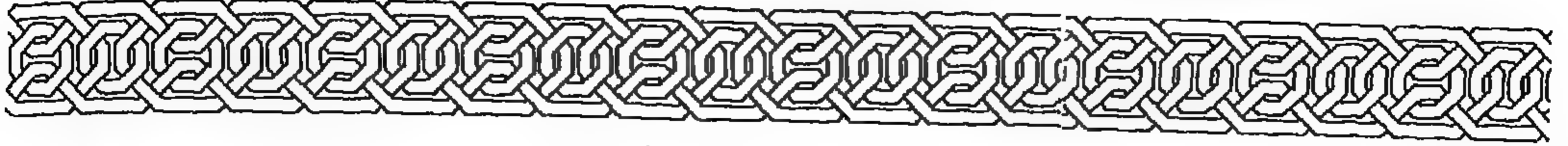
شكل - ٦٨ -

رسم تجريدي حديث من عمل طلاب فرع الخط بمدرسة الفنون الجميلة في الدار البيضاء - المغرب وهو مستوحى من الخط العربي الكوفي ، وقد عرضت هذه اللوحة تحت شعار « في سبيل تطوير الخط العربي » وهكذا نلاحظ أثر الخط العربي في الزخرفة الكلاسيكية الإسلامية وقابليته للزخرفة التجريدية



شكل - ٦٩ -

نموذج من الخط الكوفي النيسابوري ، وهو من الخطوط النادرة . وتنص هذه الصفحة قوله تعالى : « والله يعلم ما تسرون وما تعلنون » ، والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون » .



الْمُتَرَاتِلِينَ فِي الْفَمِ كَقَوْلِ
أَيُّكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَتَبَ
عَلَيْهِمُ الْفِتَالَ إِذْ أُفْرِقُوا مِنْهُمْ
يَحْشُرُونَ النَّارَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ

شكل - ٧٠ -

صفحة من مخطوطة مصحف نادر ، مكتوب بالخط الأندلسي

وفيها الآيات ٧٥ - ٧٧ من سورة النساء

أما في مصر ، فقد برز منذ العصر الطولوني الخطاط (طبطب) الذي
جاء على رأس المدرسة المجودة للخط حتى نافست مصر دولة العباسيين في
ذلك ، وفتحت مدارس لتعليم الخط ظلت عامرة حتى العهد المملوكي ، ومن
أشهر رجالها ابن أبي رقية وشمس الدين الزفراوي .

وأما تطور الخط في المغرب والأندلس فقد اتبع طريقاً خاصاً يظهر
في الكتابات الأثرية وفي أسلوب الخط الباقي هناك كما تطور هذا الفن في
إيران إلى أن وصل إلى خط (التعليق) الفارسي المعروف بأنواعه .

الفصل الثامن



الزخرفة والنقش التزييني

الزخرفة والنقش التزييني

لا يكاد يخلو أثر من الآثار الاسلامية من زخرفة أو نقش تزييني . فقد كانت من لوازم العمل الفني الاسلامي . لأن الفنانين المسلمين كانوا يكرهون الفراغ ويرغبون في تغطية السطوح والمساحات بالزخارف . وقد اقتبس المسلمون عناصر زخرفتهم من الكتابة العربية أو من خطوط الهندسية أو من عناصر نباتية وحيوانية .

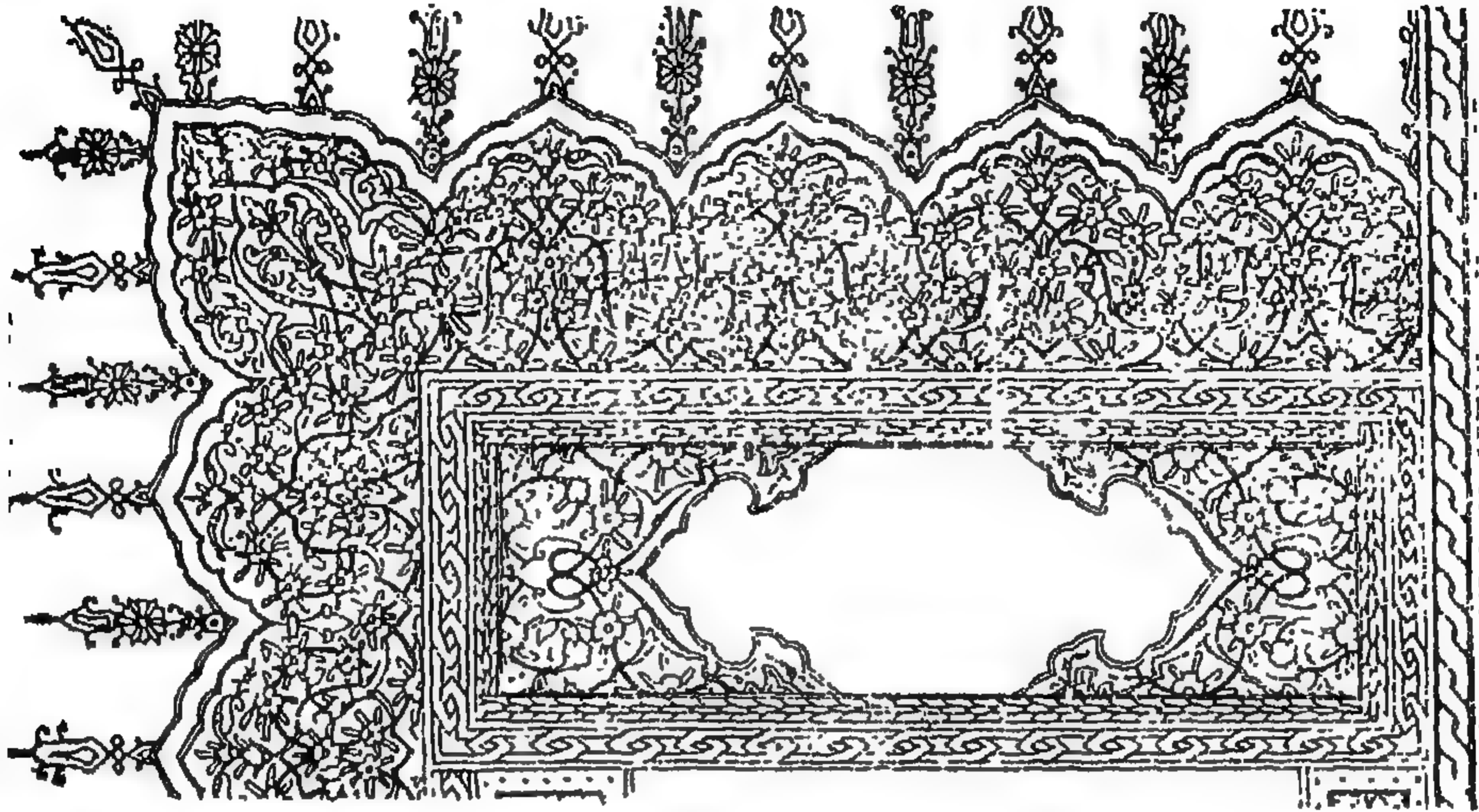
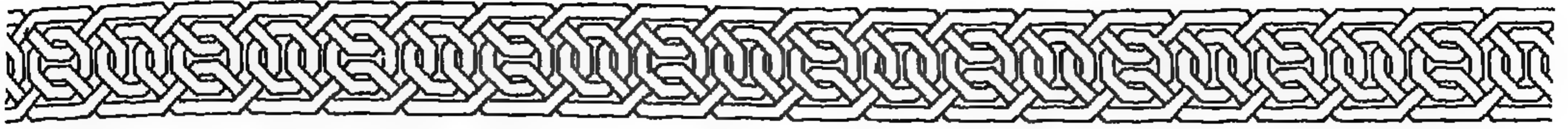
فأما الكتابة فلم يكن المسلمون أول من زخرف بها على المباني والتحف الفنية ، ولكن ليس ثمة من فن استخدم الخط في الزخرفة بقدر ما استخدمه الفن الاسلامي بسبب اهتمام الناس به من جهة وقابليته للتطور الزخرفي من جهة أخرى . ولعل البدء في زخرفة الخط بدأت في مصر في نهاية القرن الثاني الهجري ولكنها ازدادت شيوعاً منذ القرن الرابع وبلغت ذروة الروعة في القرنين الخامس والسادس . واعتمدت الزخرفة خاصة على الخط الكوفي بسبب خطوطه المستقيمة ؛ فكان لزخرفته أشكال منها : « المورق » و « المشجر » وهناك « المضفر » الذي يربط الفنان ما بين كلماته لتأليف إطار أو شكل هندسي معقد . « والكوفي المربع » وهو هندسي الشكل قائم الزوايا .

شکل - ۷۲ -

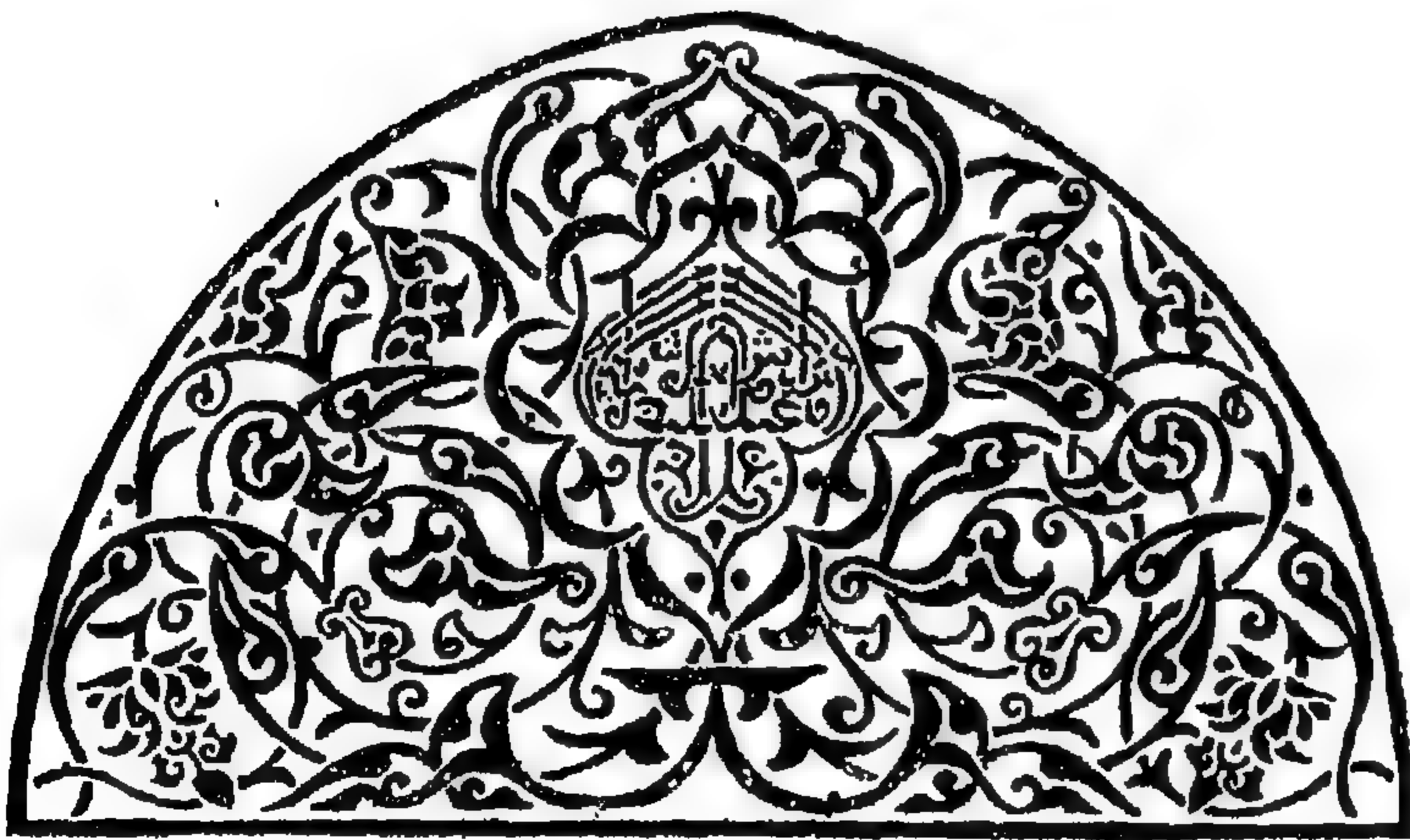
بسم الله الرحمن الرحيم

شکل - ۷۳ -

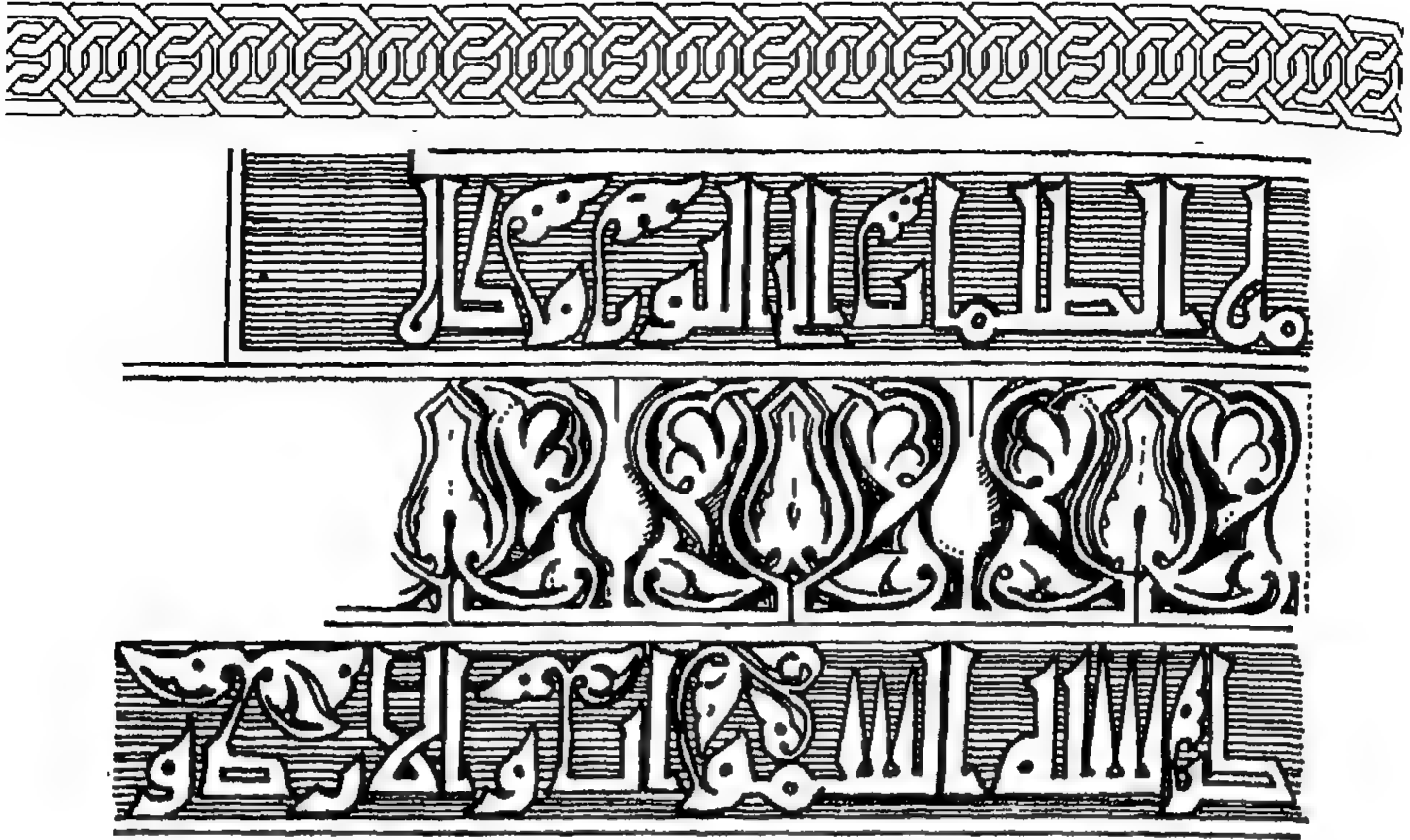
- 14 -



زخرفة حاشية الصفحة الاولى من مصحف مكتوب بخط الخطاط الحافظ عثمان ، وتمثل نموذجا من أسلوب زخرفة المصاحف في العهد العثماني .
زخرفة المصاحف



زخرفة عربية اسلامية، تجمع بين الارقشة والكتابة الدينية التزيينية

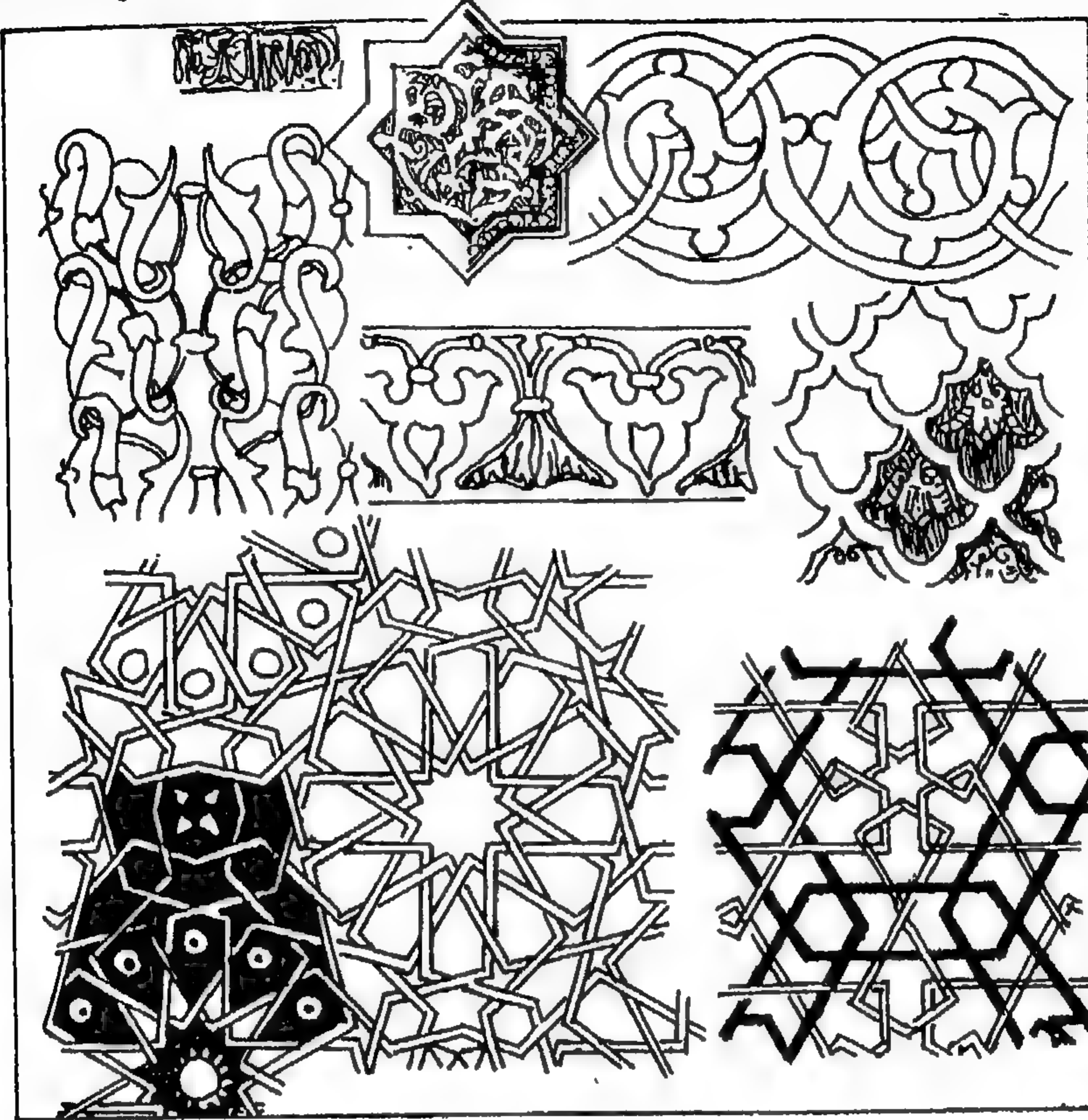


شكل - ٧٦ -

زخارف عربية وكتابة دينية على جدران الأزهر

وأما الزخارف الهندسية : فقد أضحت في الفن الإسلامي ، دون باقي الفنون العالمية ، عنصراً رئيسياً فيه . ويهمنها منها بصورة خاصة تلك التراكيب الهندسية ذات الأشكال النجمية المتعددة الأضلاع التي ذاعت في المباني وفي التحف الخشبية والنحاسية وزخارف السقوف . وقد دلت الدراسات المختلفة لهذه الزخارف الهندسية المعقدة التي خلفتها العصور الإسلامية أن براعة المسلمين فيها لم يكن أساسها الشعور الفني والموهبة الطبيعية فحسب ولكنها تدل على علم وافر بالهندسة العملية . وقد ظهر الاهتمام بالزخرفة الهندسية في فنون الشام ومصر خاصة ولا تزال لها سيطرتها في المباني الحديثة التي تبنى في الشام .

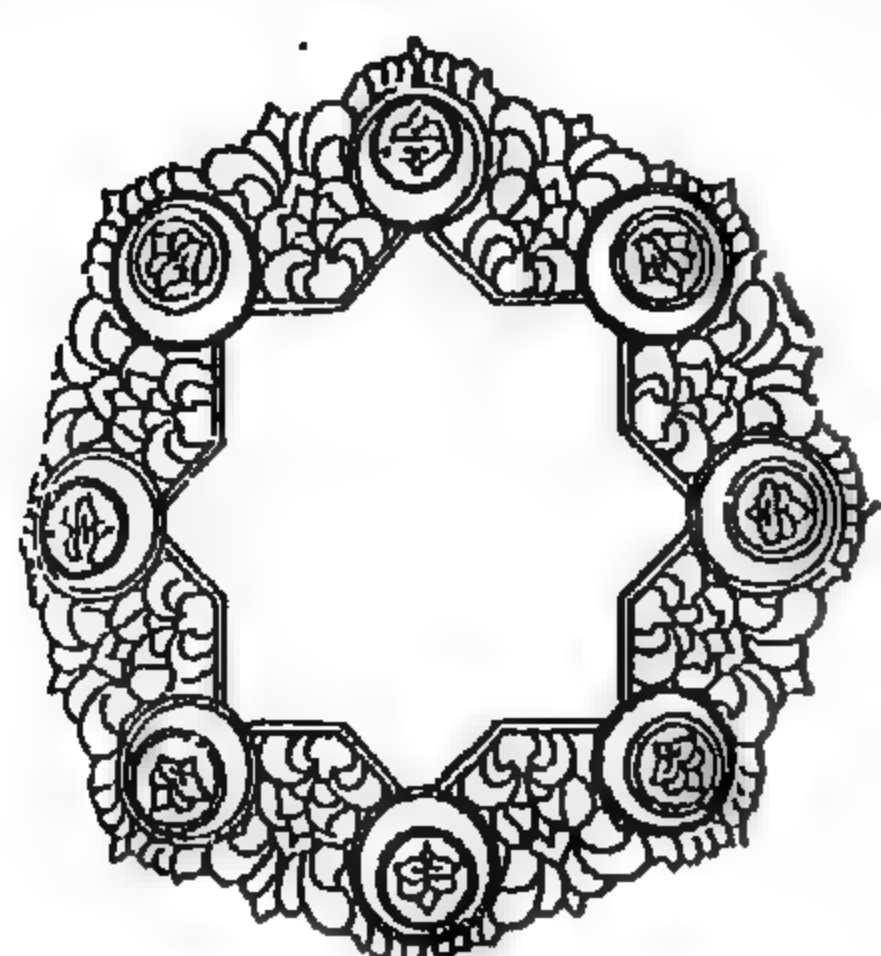
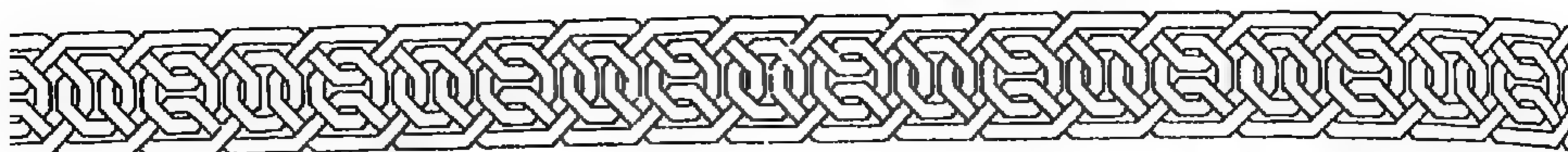
أما العنصر النباتي في الزخرفة الإسلامية فقد تأثر كثيراً بانصراف المسلمين عن استيعاء الطبيعة وتقليدها فاستخدم الجذع والورقة لصنع زخارف



شكل - ٧٧ -

نماذج من الزخارف العربية التي تعرف بالآرابسك او الارقشة

يتميز بما فيها من تكرار وتقابل وتناظر. وتبدو عليها مسحة هندسية تميز
العنصر الحي فيها. وتدل على سيادة مبدأ التجريد والرمز في الفنون الإسلامية
وأكثر الزخارف النباتية الشائعة هي المعروفة باسم: الرقش العربي «الآرابسك»
وهي تتكون من فروع نباتية وجذوع منحنية ومتشابكة ومتتابعة وفيها
رسوم محورة عن الطبيعية ترمز إلى الوريقات والزهور. وقد بدأ ظهورها
في القرن الثالث الهجري ونراها في الزخارف الجصية التي كانت تغطي
الجدران في سامراء وفي آثار العهد الطولوني بمصر. وقد تطورت هذه



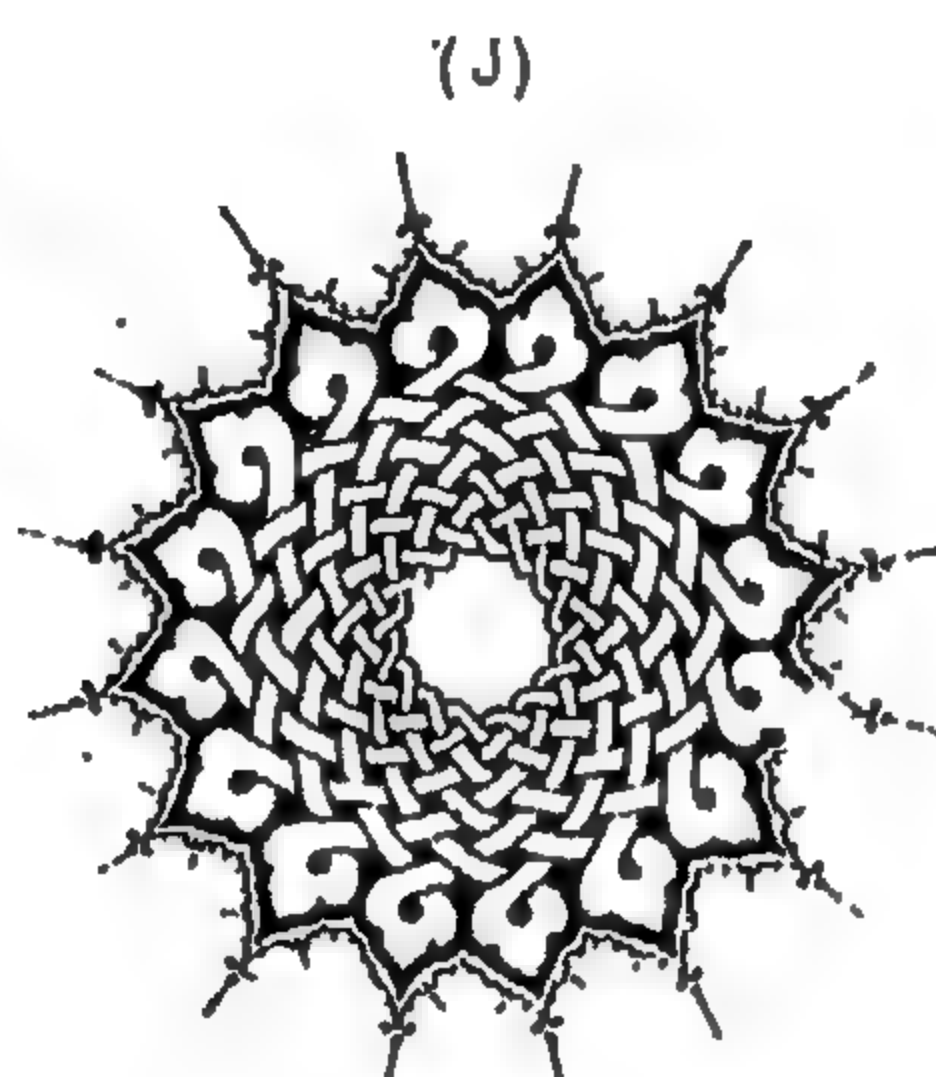
(٢)



(٣)



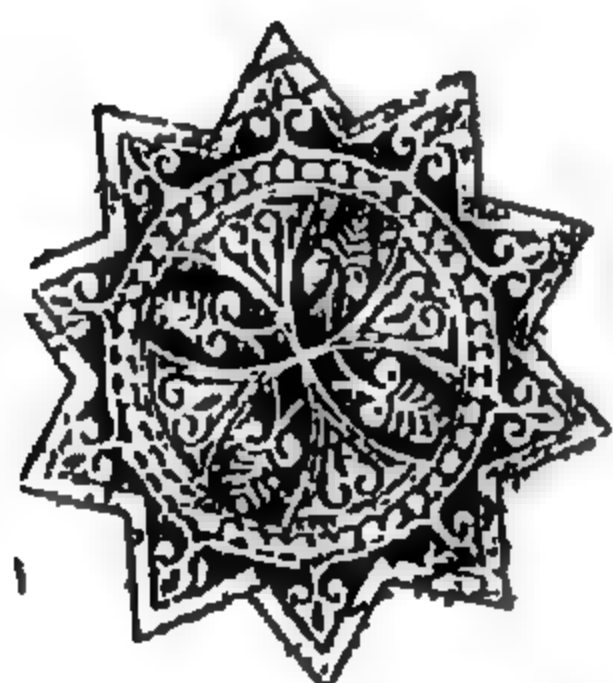
(٤)



(٥)



(٦)



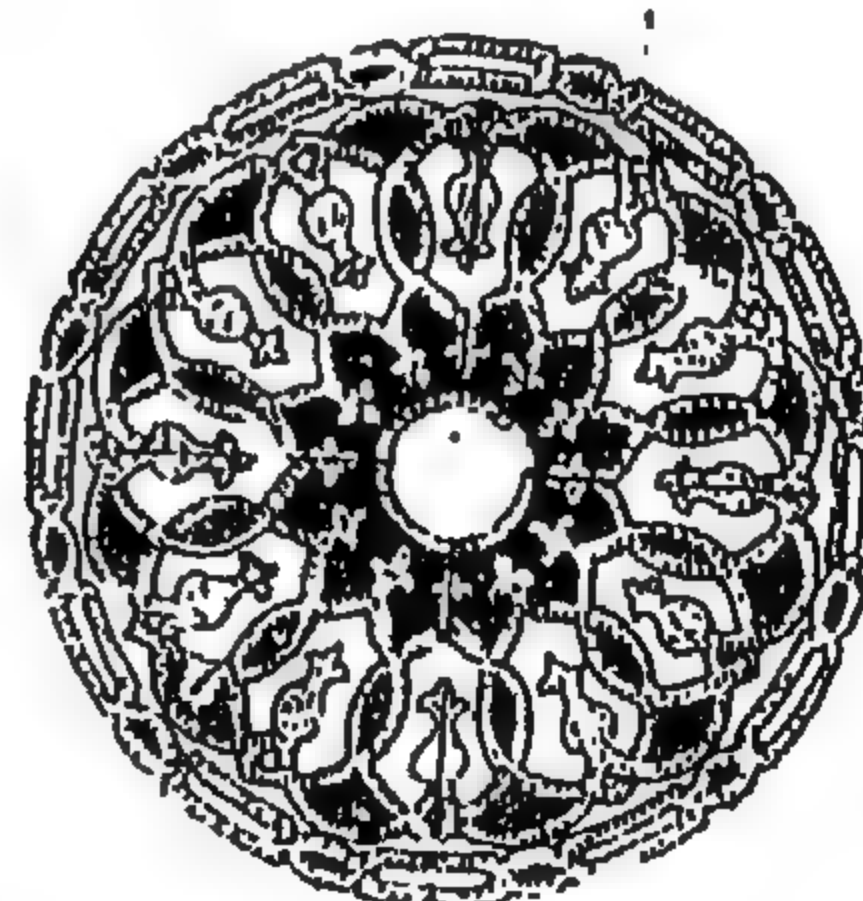
(٧)



(٨)



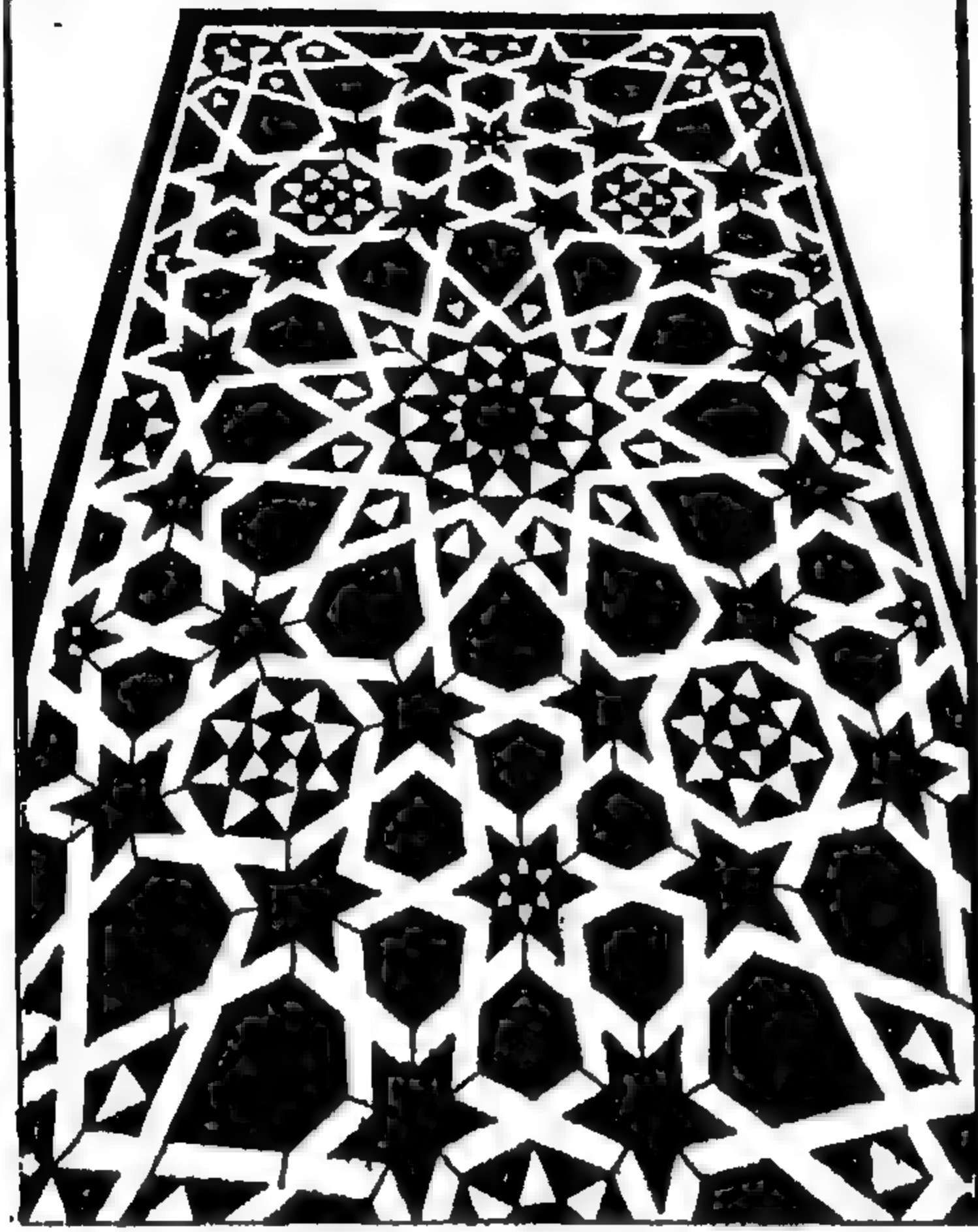
(٩)



(١٠)

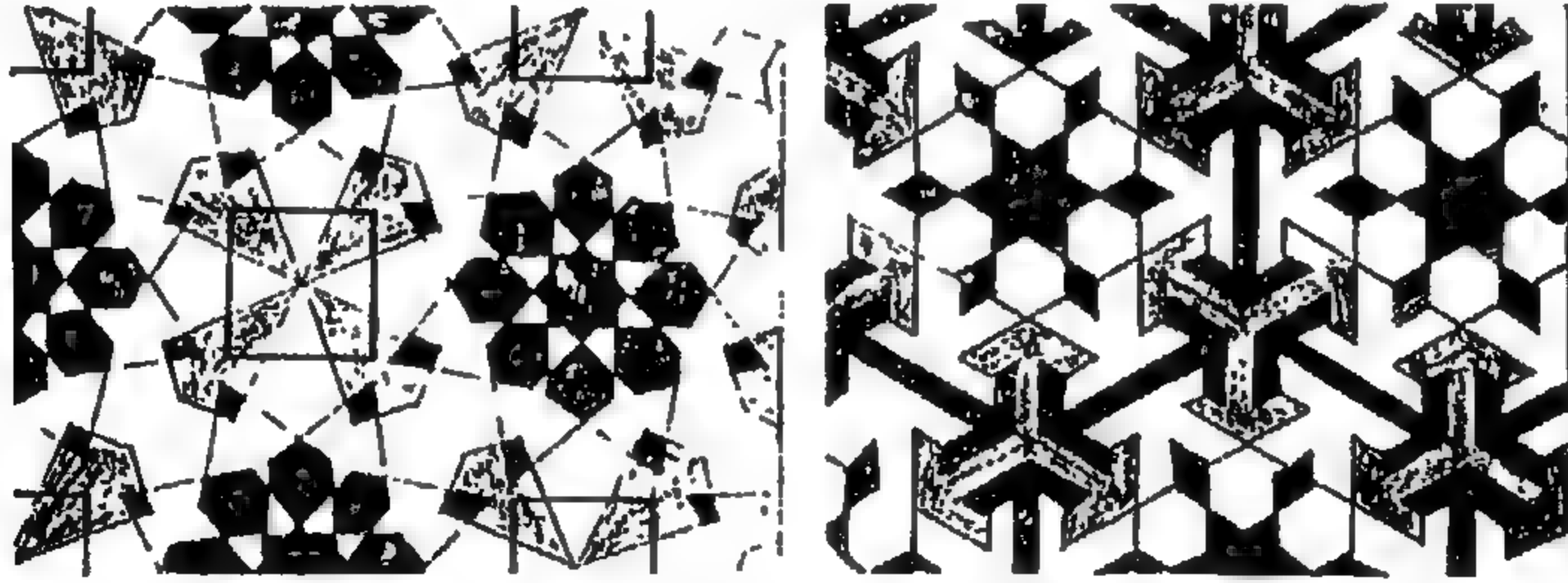
شكل - ٧٨ -

مجموعة زخارف عربية - اسلامية ، على هيئة أوسمة ونجوم ودوائر ذات مراكز متعددة ، ومتناظرات ، ومتماثلات من أشكال مختلفة تملأ مساحاتها توريقات نباتية وأشكال هندسية ، كثيرة الانتشار في مخلفات المسلمين الفنية في الابنية والمخطوطات والمصاحف



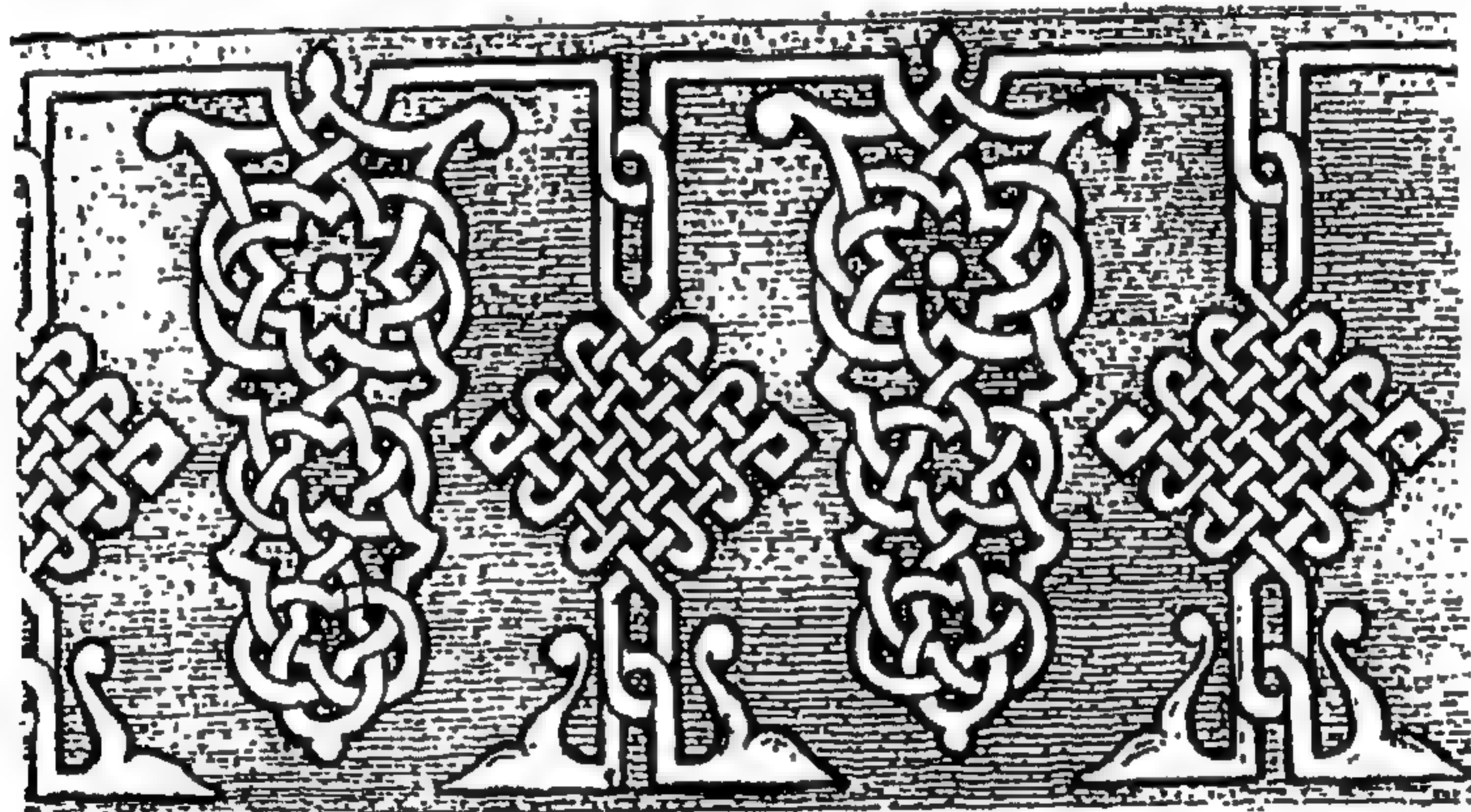
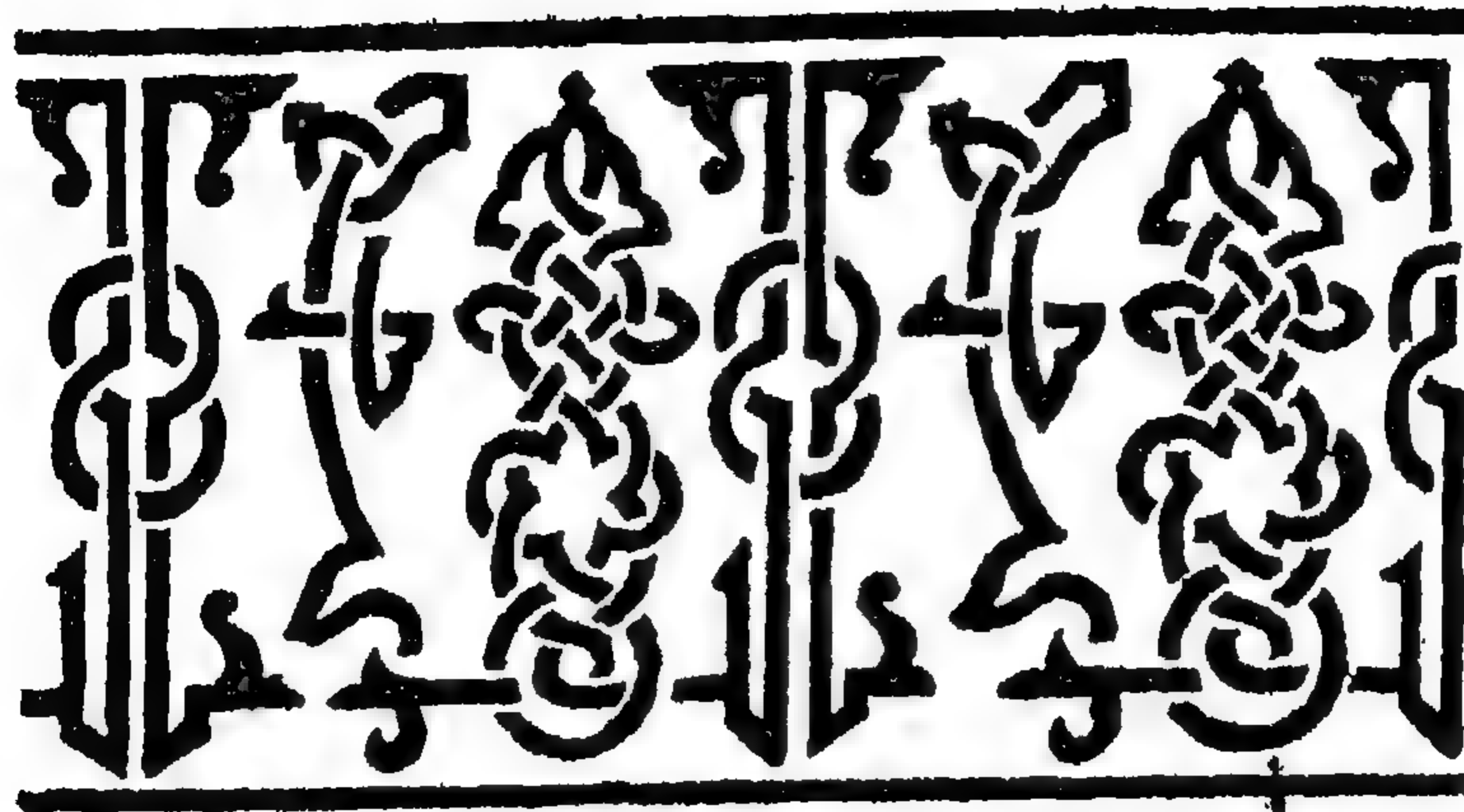
شكل - ٧٩ -

نقش وتزيينات من الرخام الملون . هذه القطعة في المهديّة - تونس - .

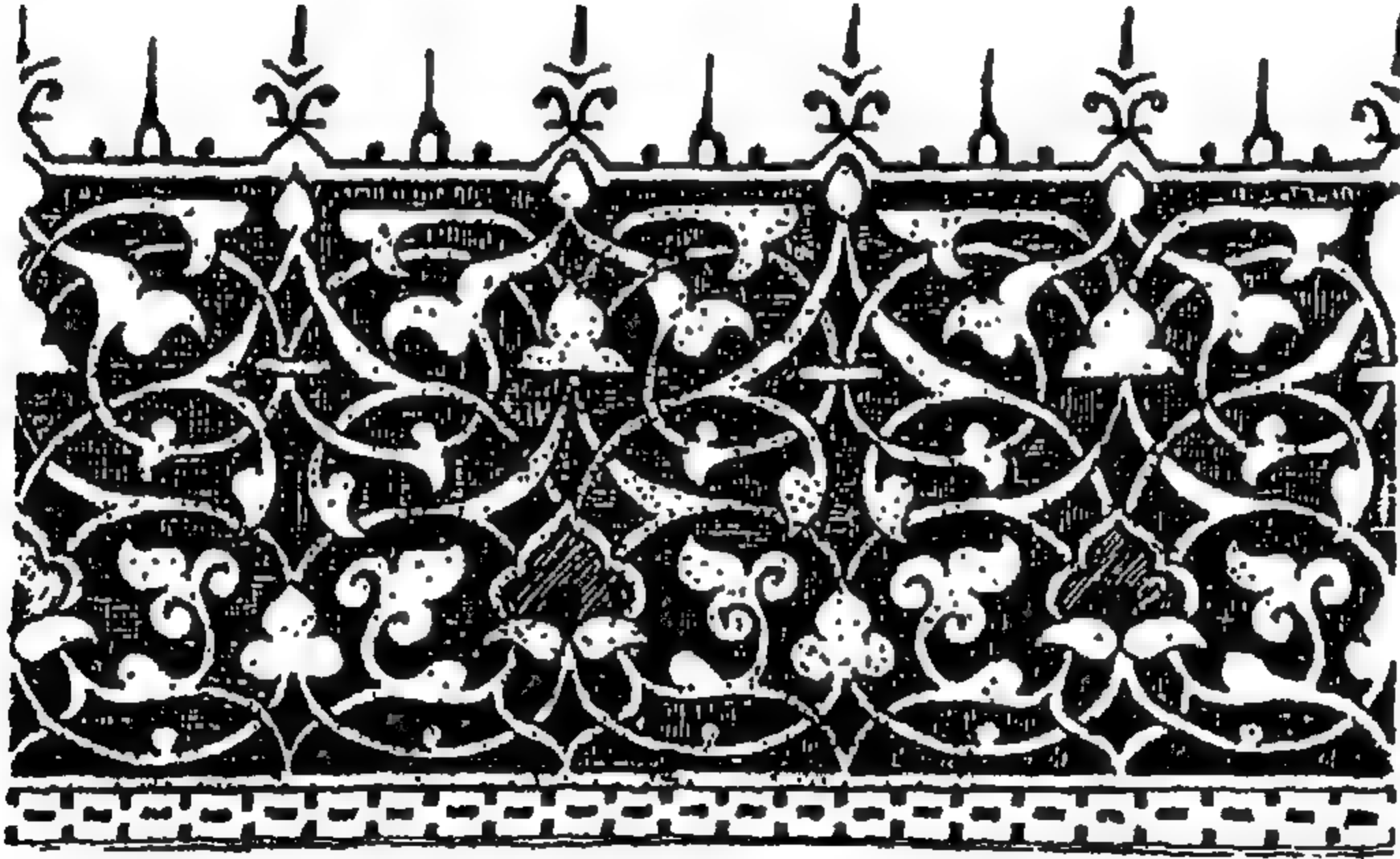
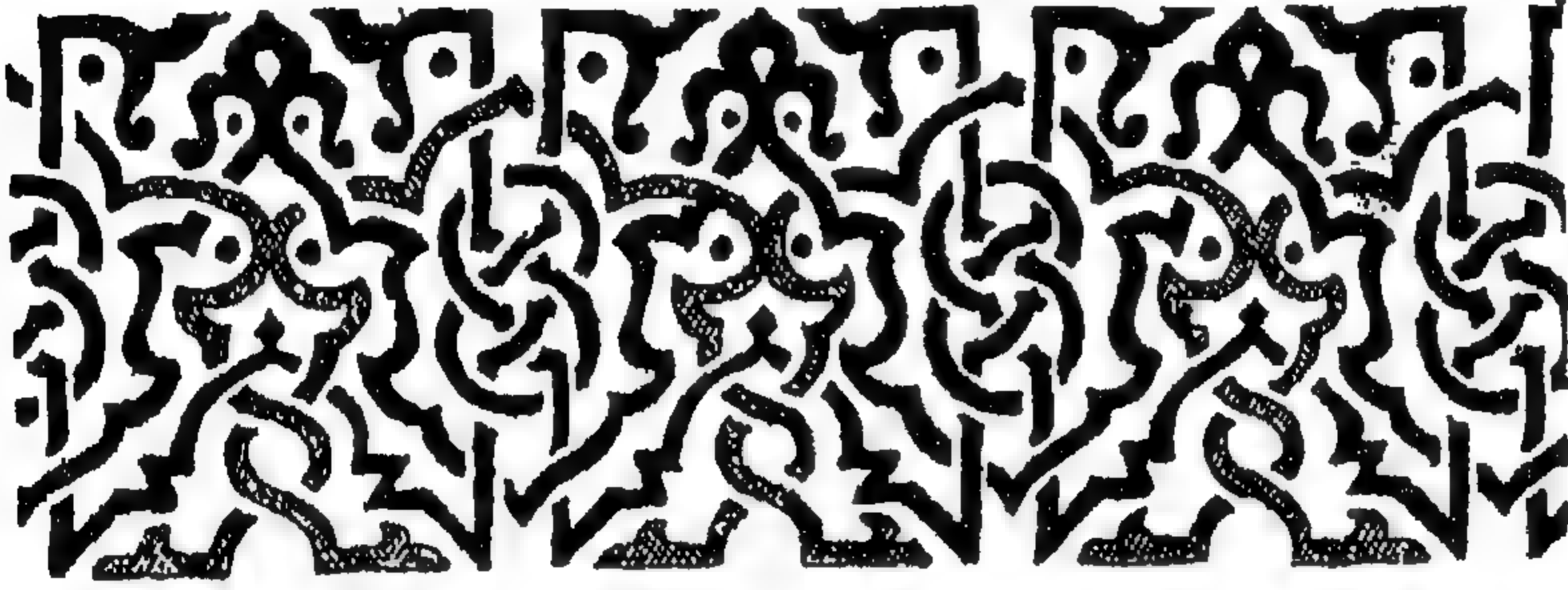
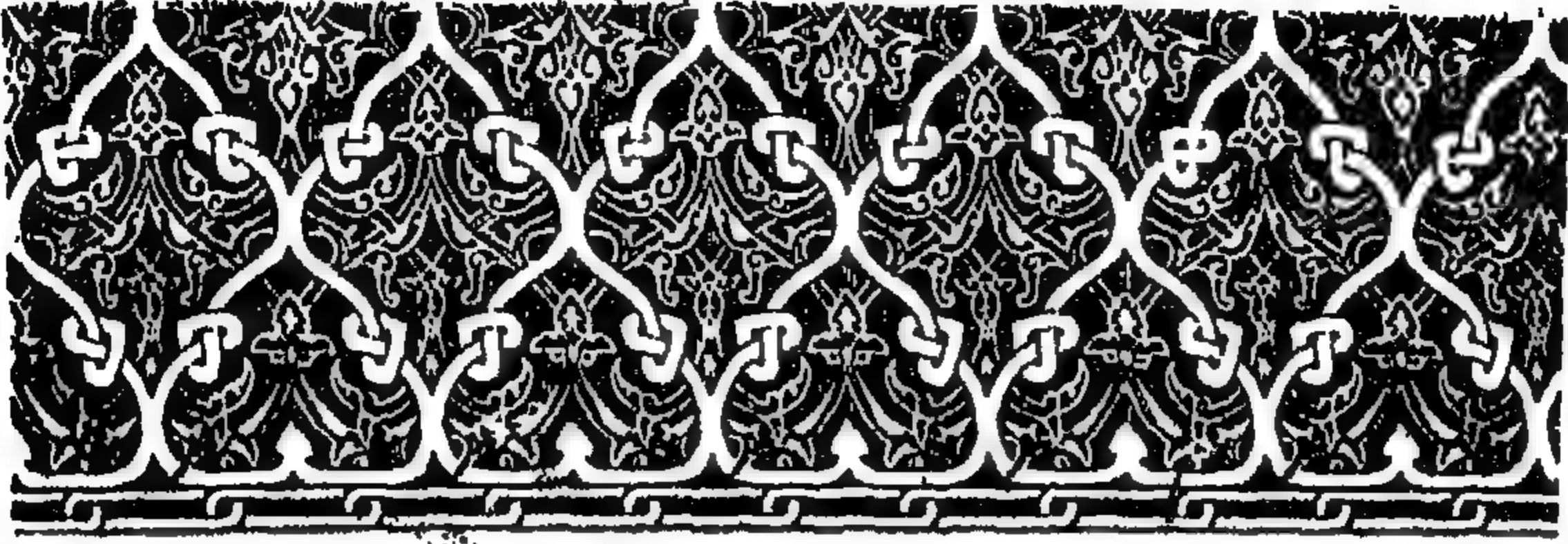


شكل - ٨٠ -

هذه التزيينات الرخامية موجودة في قصر الحمراء بغرناطة من صنع عرب الاندلس ، وهي نموذج من فن الارقشة العربية الذي كثر انتشاره في العالم الاسلامي في المساجد والقصور والاضرحة والحمامات .
لكن هاتين القطعتين استرعتا نظر احد العلماء الفنانين الالمان في الوقت الحاضر ، اذ قارنهما بما حصل عليه من مراقبة ودراسة «بلورات» الزجاج الصخري (الكريستال) وبلورات الالماس ، فوجد تشابها كبيرا بينها .
فتساءل : هل كانت بلورات الالماس هي التي اوجت للفنان العربي بهذه الاشكال الجميلة المتناسقة ؟

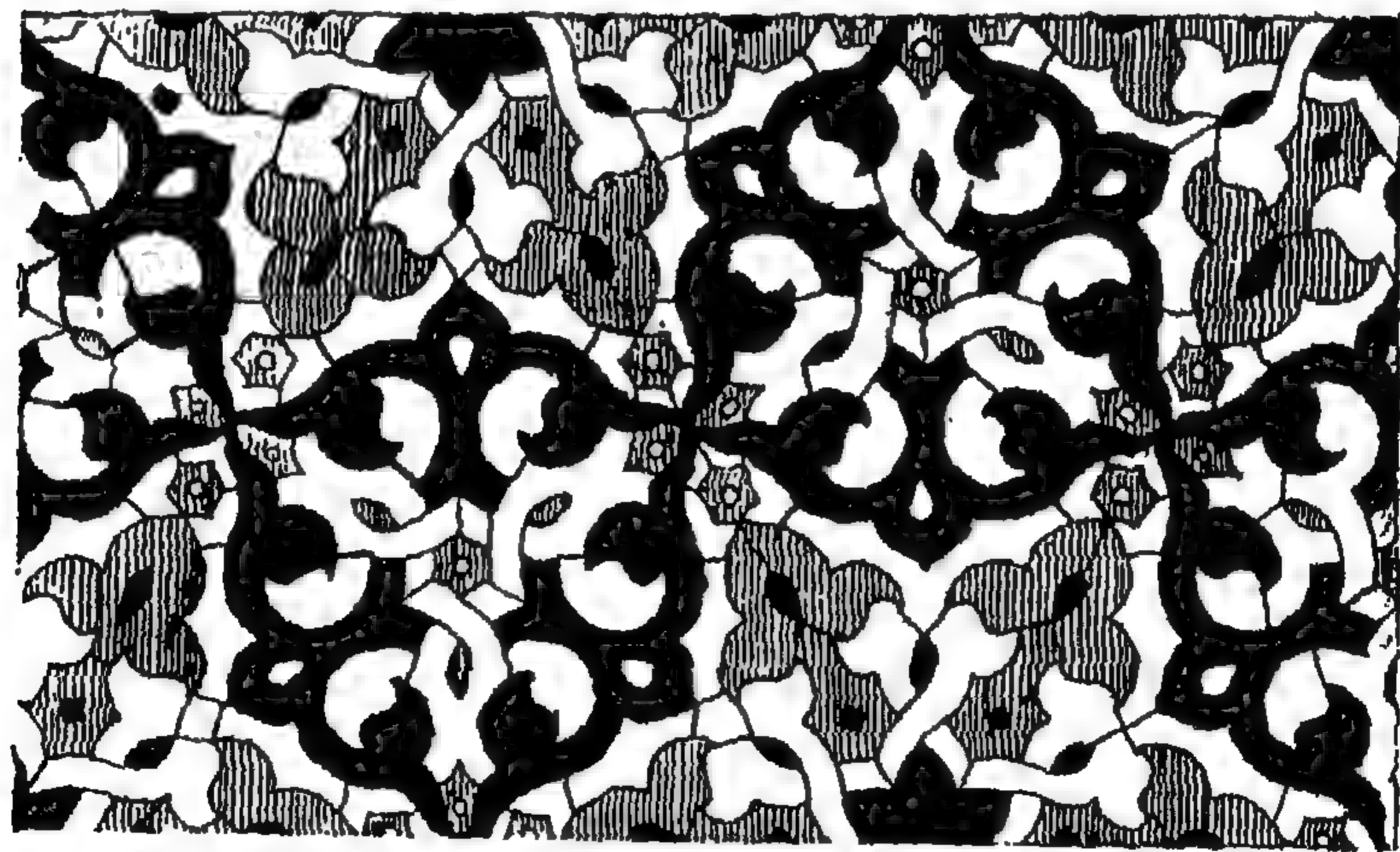
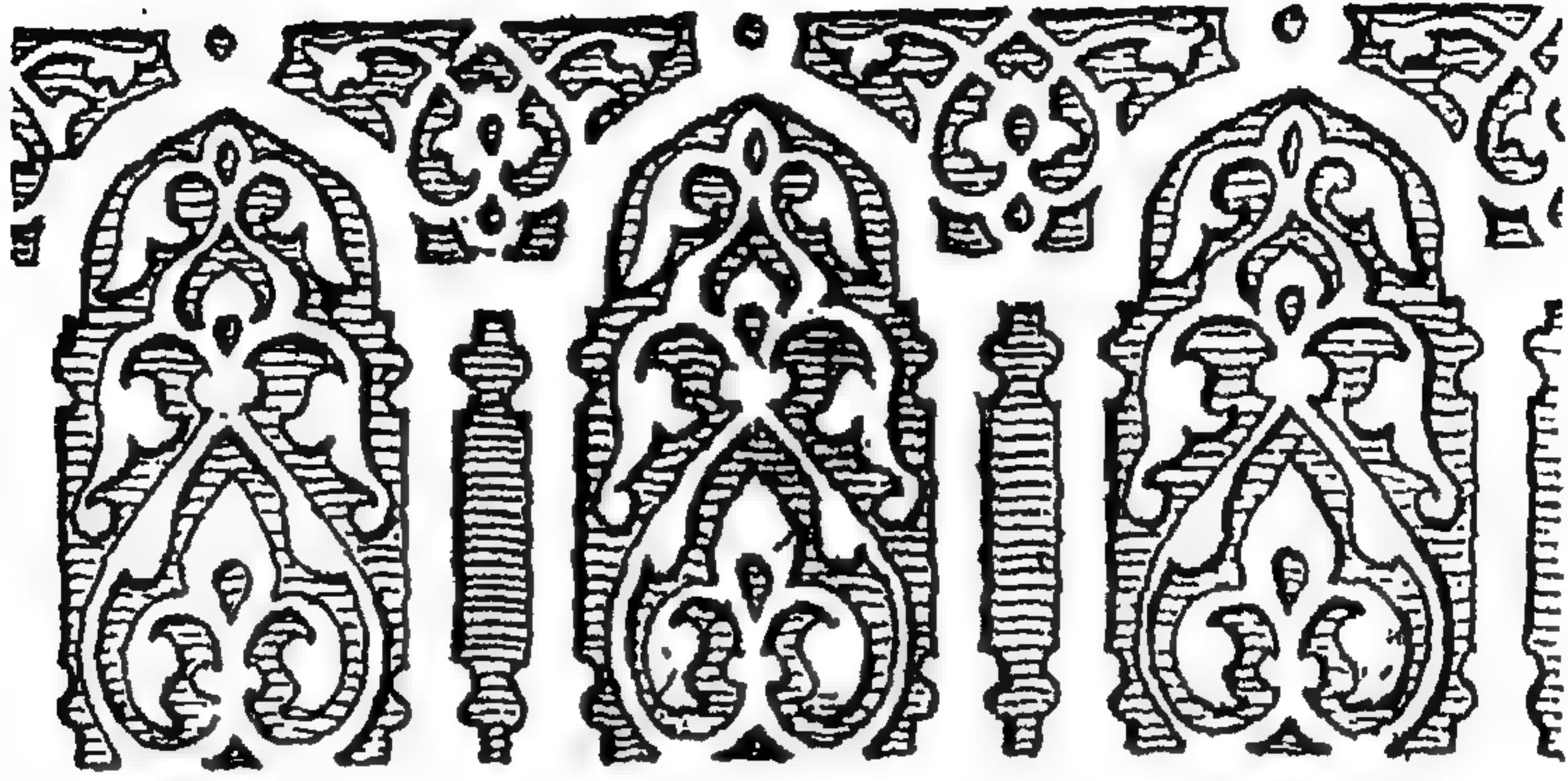
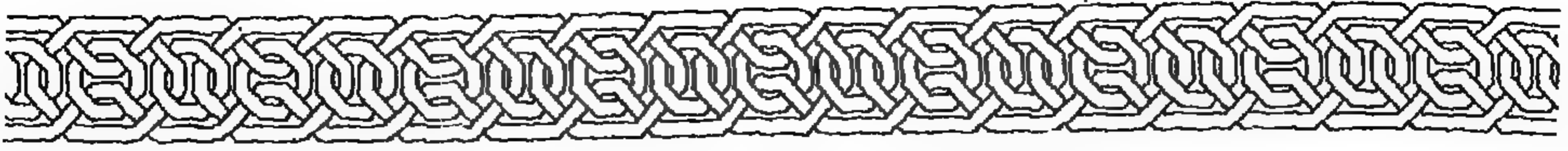


شکل - ۸۱ -



شكل - ٨٢ -

مجموعة مواضيع زخرفية عربية اسلامية تعتبر نماذج جميلة من تفنن الزخرفة العربية الاسلامية وتعدد اشكالها

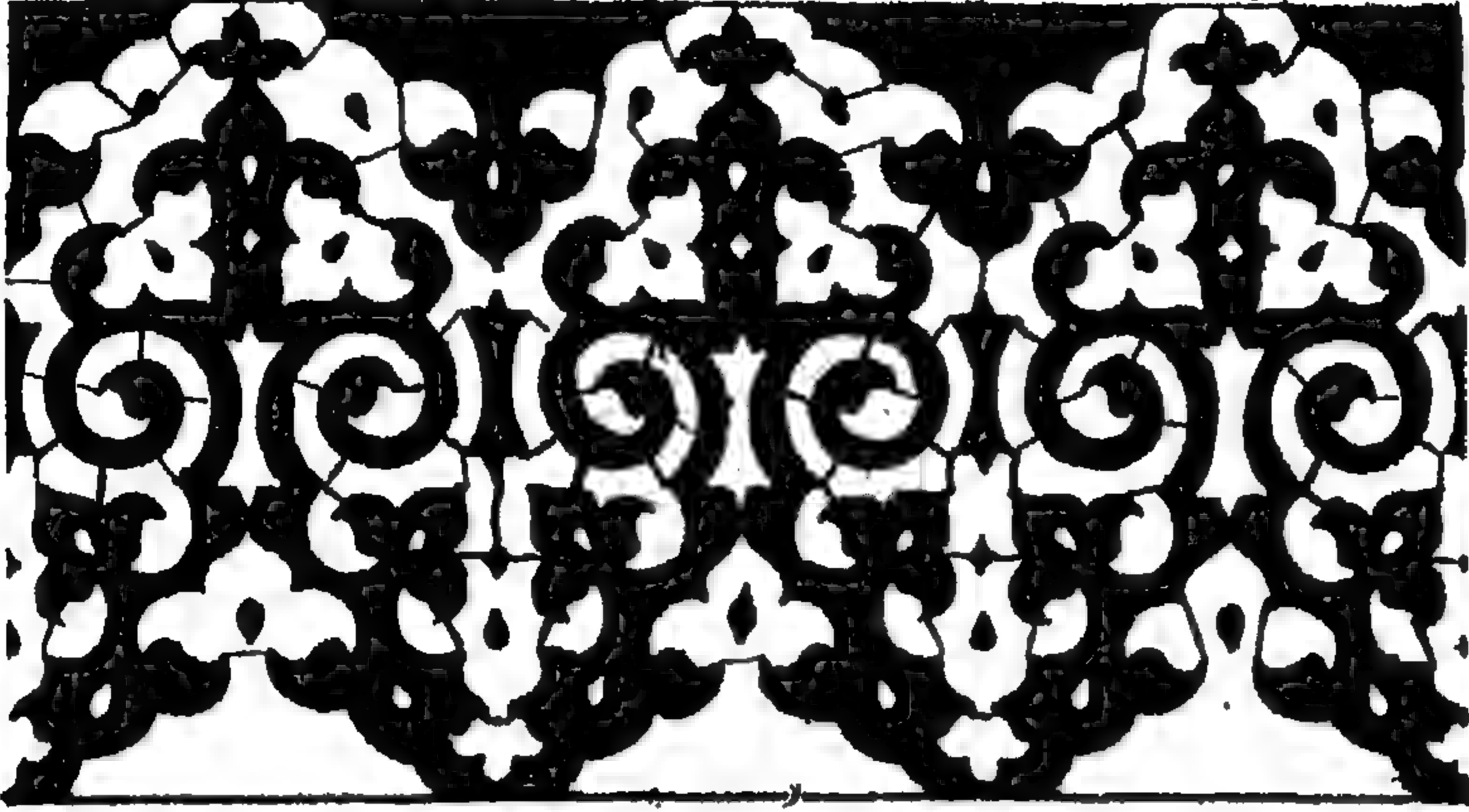
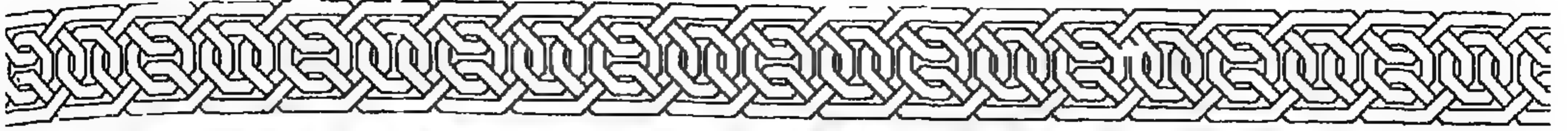


شكل - ٨٣ -

مجموعة أولى من المواضيع الزخرفية العربية الإسلامية

الفنون م - ١٠

- ١٤٥ -



شكل - ٨٤ -

مجموعة ثالثة من المواضيع الزخرفية العربية الإسلامية

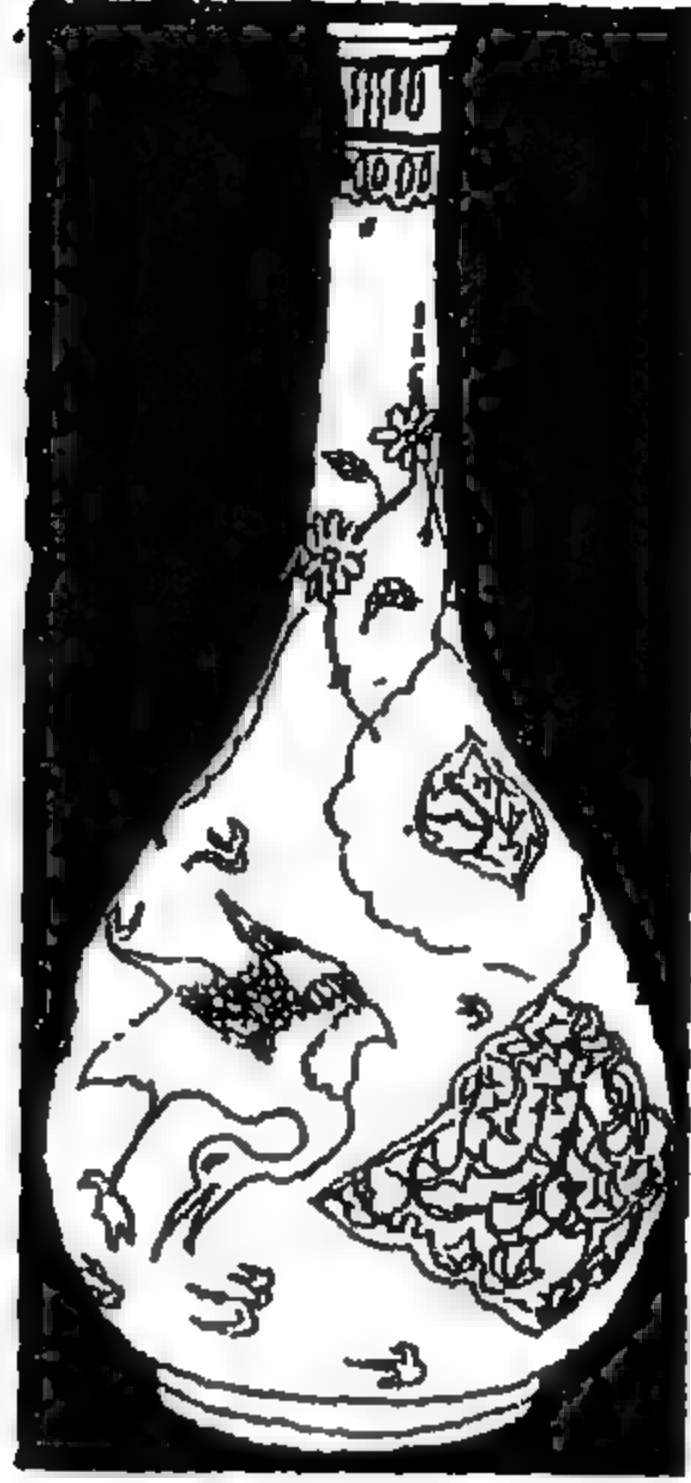
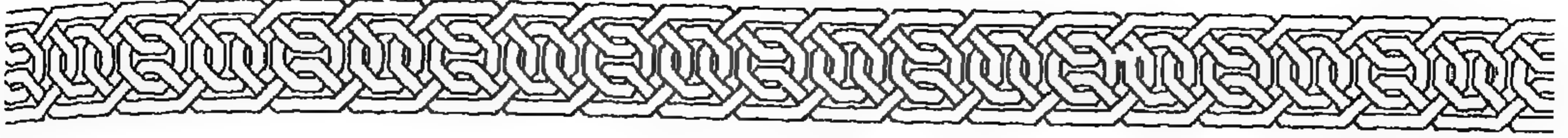


الزخارف في العصر الفاطمي حتى نسبت اليه وبلغت بعد ذلك غاية تقدمها
منذ القرن السابع الهجري « ١٣ » م

على أن الزخرفة النباتية اتجهت في إيران بالعكس إلى صدق تقليد
الطبيعة منذ القرن السابع وذلك بتأثير الفن الصيني كما يظهر على القاشاني
خاصة . .

وانتقلت صناعة الارقشة الى المغرب والاندلس ، وكانت في النقش
والتخريم في الجص المبسوط الطري ، تصنع منه اشكال هندسية ، ونباتية
وحיוانية بارزة وغائرة ، ملونة وغير ملونة ، وادخل عليه في هذه المنطقة
من العالم الاسلامي صور عش نحل او صور قطين متألفين ويسمى قلوب
العشاق ، وزخرف خطي كوفي او نسخي يكون في الغالب برودة المديح
للوصيري او لفظة « العافية » في شمال افريقيا بمعنى السلامة والهناء والأمن
او « ولا غالب الا الله » في الاندلس . وآثار الاندلس الباقية وخاصة في قصر
الحمراء بغرناطة وقصر بني عباد باشيلية ، هي اروع أمثلة لجمال ورقي هذا
الفن العربي الاصيل .

وأما الرسم الحيواني أخيراً فالشرق الأدنى يعرف الزخرفة به منذ
العصور القديمة . ولم يشذ المسلمون عن ذلك فاستخدموا رسوم الأسد
والفهد والفيل والغزال والأرنب والطيور الصغيرة وغير ذلك من حيوانات
الصيد خاصة . وقد اقتبسوا بعضها عن الصين . لكننا يمكن ان نرجع
معظم رسوم الحيوان في الزخارف الاسلامية إلى الفن الساساني بما كان
فيه من اتباع التماثيل والتوازن والتقابل وفي رسم الحيوانات متقابلة أو
متدايرة او بينها شجرة الحياة، وفي رسمها متتابعة على شكل شريط زخرفي



شكل - ٨٥ -
اناء من العصر الصفوي
(القرن ١٦ - ١٧)

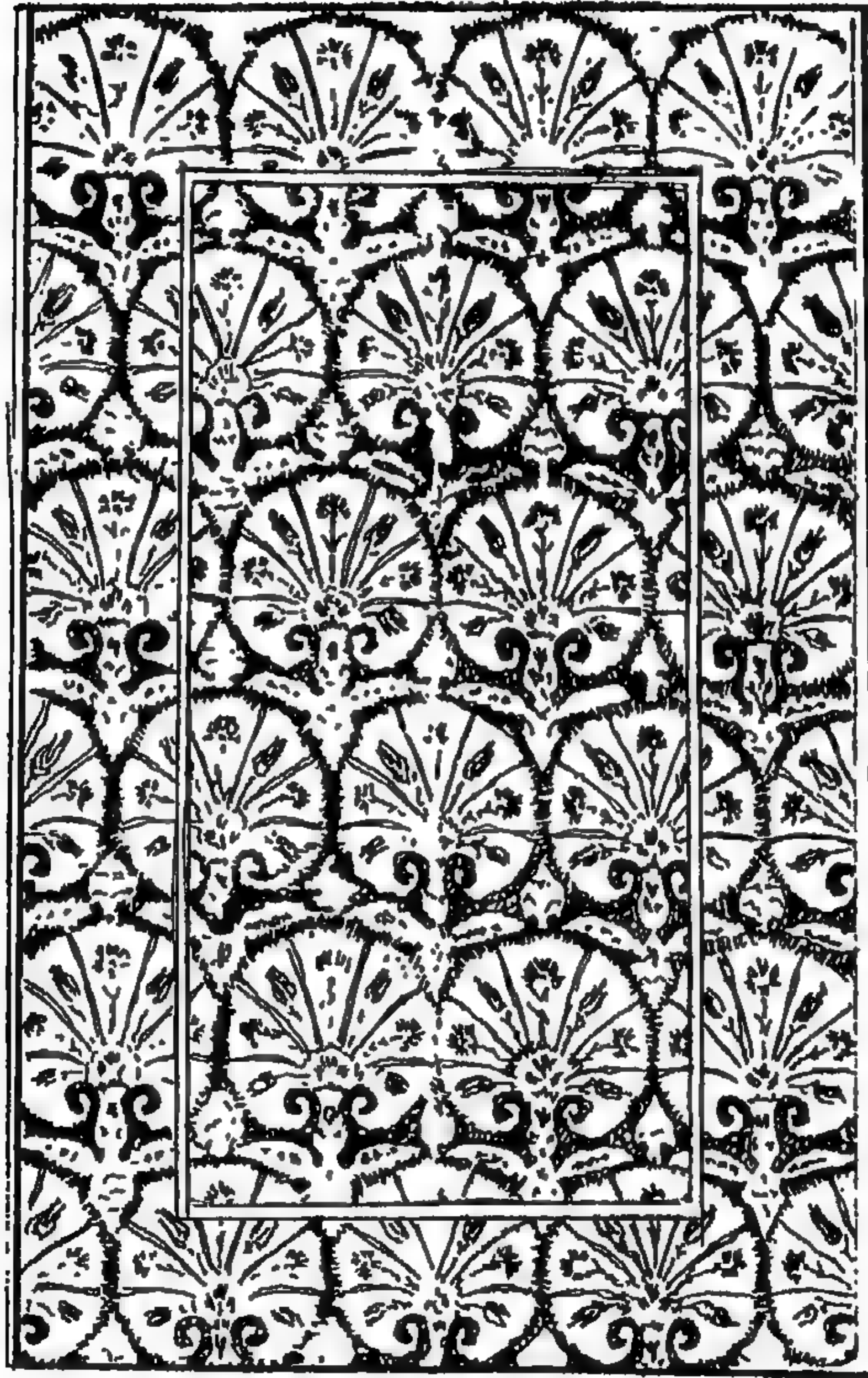
شكل - ٨٦ -
قدر من صنع مدينة الرصافة
في سورية من القرن الثالث عشر الميلاد



شكل - ٨٧ -
قطعة من قاشاني في مسجد رستم باشا في استانبول ١٥٥٠ م
من هندسة سنان باشا

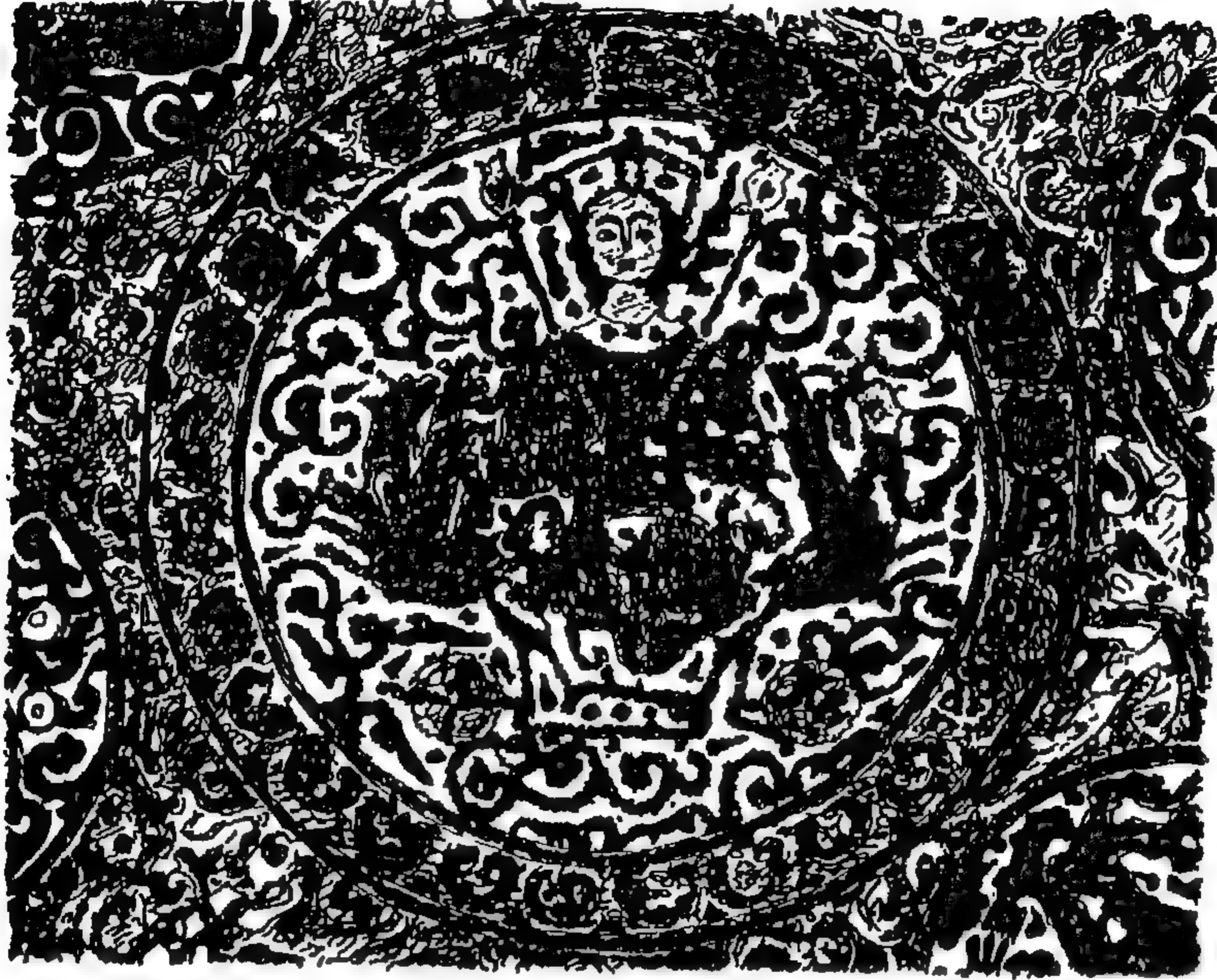
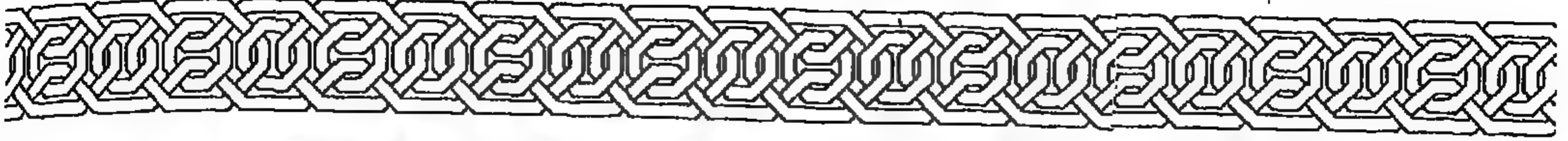


ولم تكن رسوم الحيوانات بالطبع مقصودة لذاتها ولهذا لم يهتم الفنانون المسلمون لمطابقتها للواقع . وقد صنعوا على مثال الطير أواني متعددة حوروا فيها . كما حوروا في النبات ، الشكل الطبيعي إلى شكل زخرفي رمزي .



شكل - ٨٨ -

قطعة من قماش حريري « البروكار » المصنوعة في مدينة بورصة في آسيا الصغرى في القرن السادس عشر الميلادي يلاحظ بها نعومة الحياكة وطابعها المميز . وكان أكثر انتاج هذه الصناعة ، والرفيع منها خاصة ، يستعمل في ملابس سلاطين آل عثمان وكبار الامراء والحاشية .



شكل - ٨٩ -

نقوش بارزة وغائرة في طبق برونزي عليه ميناء وعليه اسم أمير الموصل
سليمان بن داود ١١١٤ - ١١٤٤ م ، والطبق من صناعة الموصل ويلاحظ
عليه اثر الفن البيزنطي



شكل - ٩٠ -

نموذج من التزيينات الاسلامية في محراب الجامع الكبير في القيروان



شكل - ٩١ -

مشكاة تركية من صنع آسيا الصغرى في النصف الثاني من القرن
السادس عشر



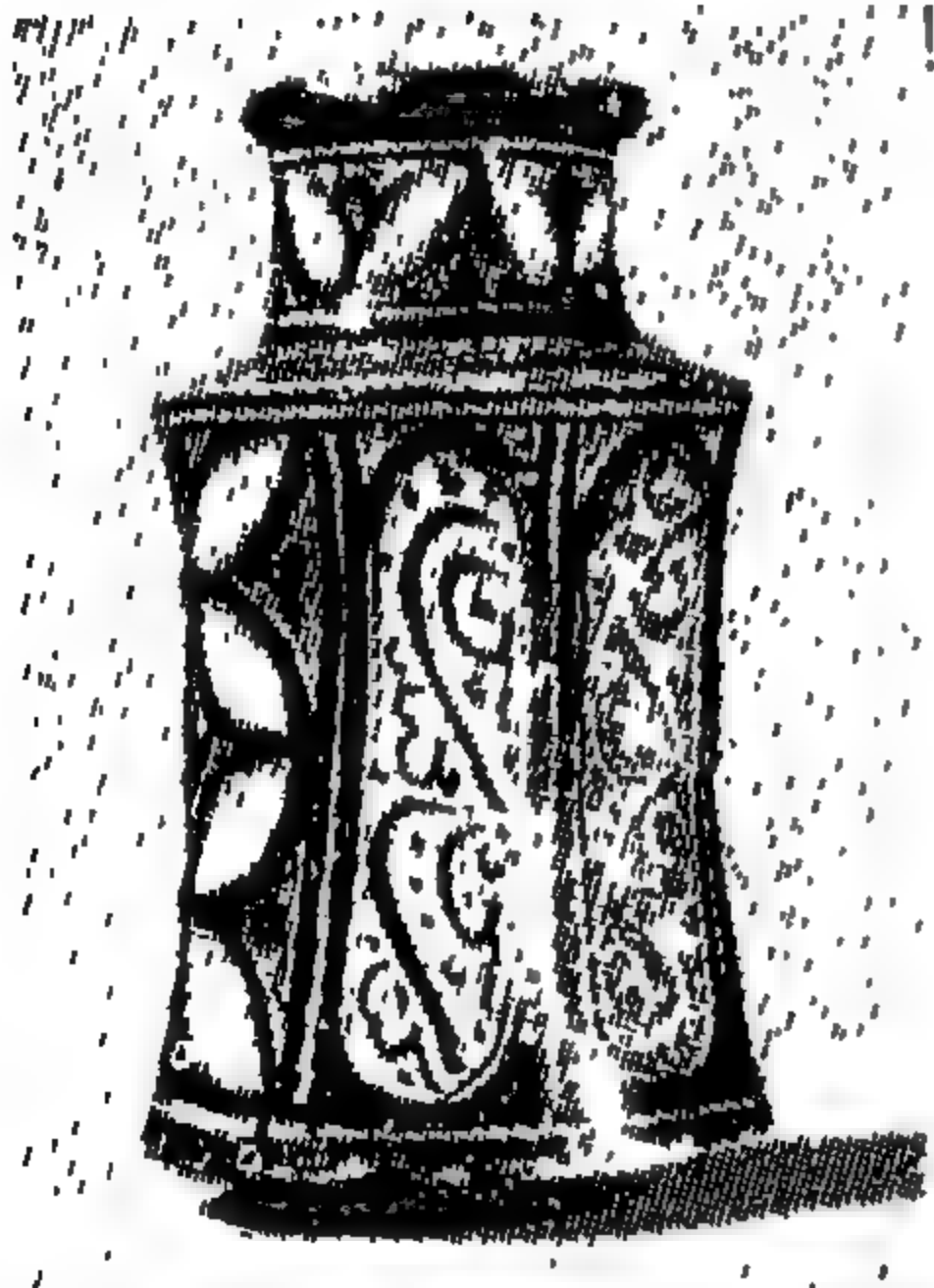
شكل - ٩٢ -

مجموعة من رسوم الحيوانات التي كثر استعمالها كزخارف على الخزف
الإسلامي ، وهي مقتبسة مما في أيدينا من خزف إسلامي



اناء اسلامي عليه رسم فارسي

شكل - ٩٤ -



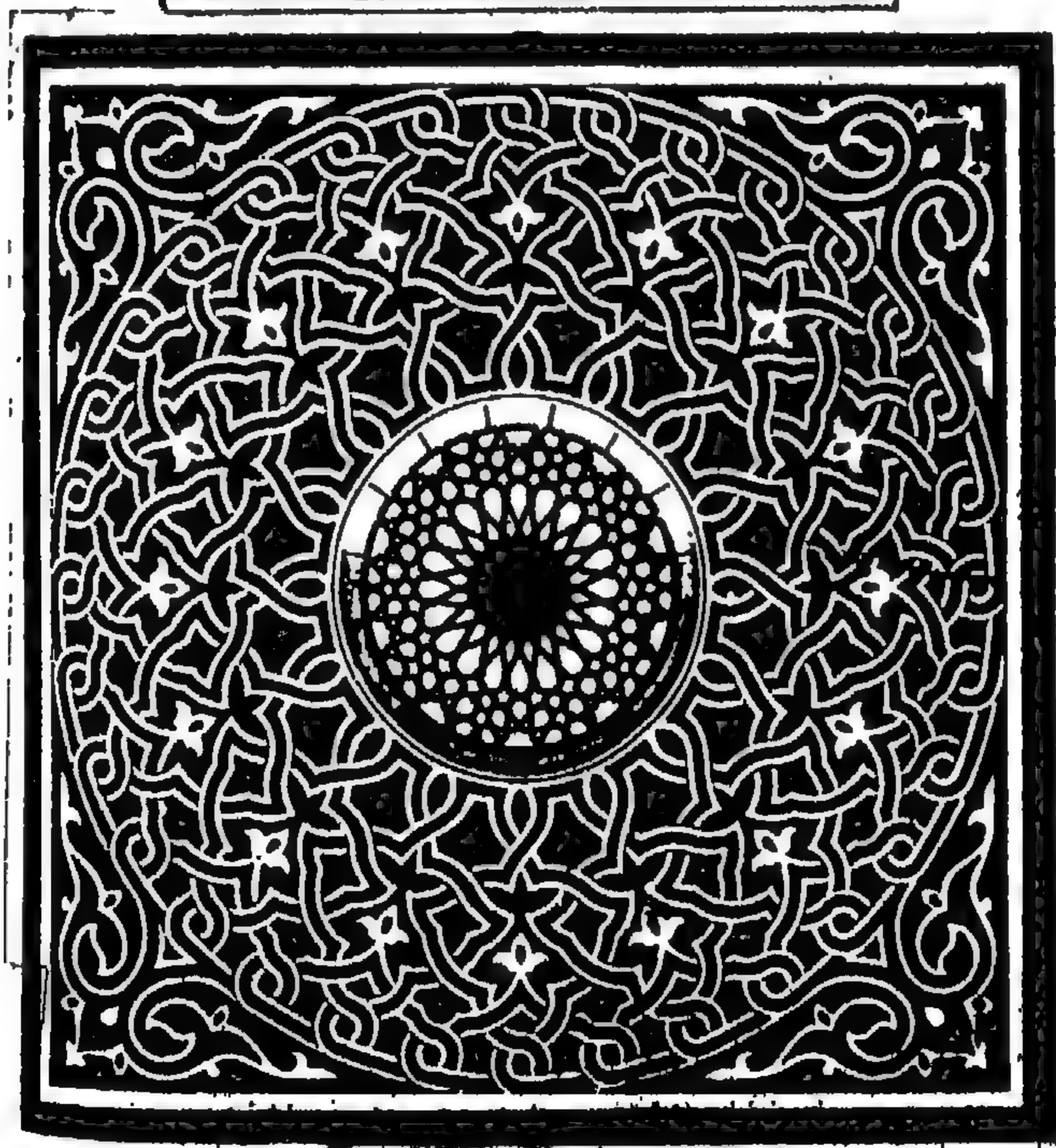
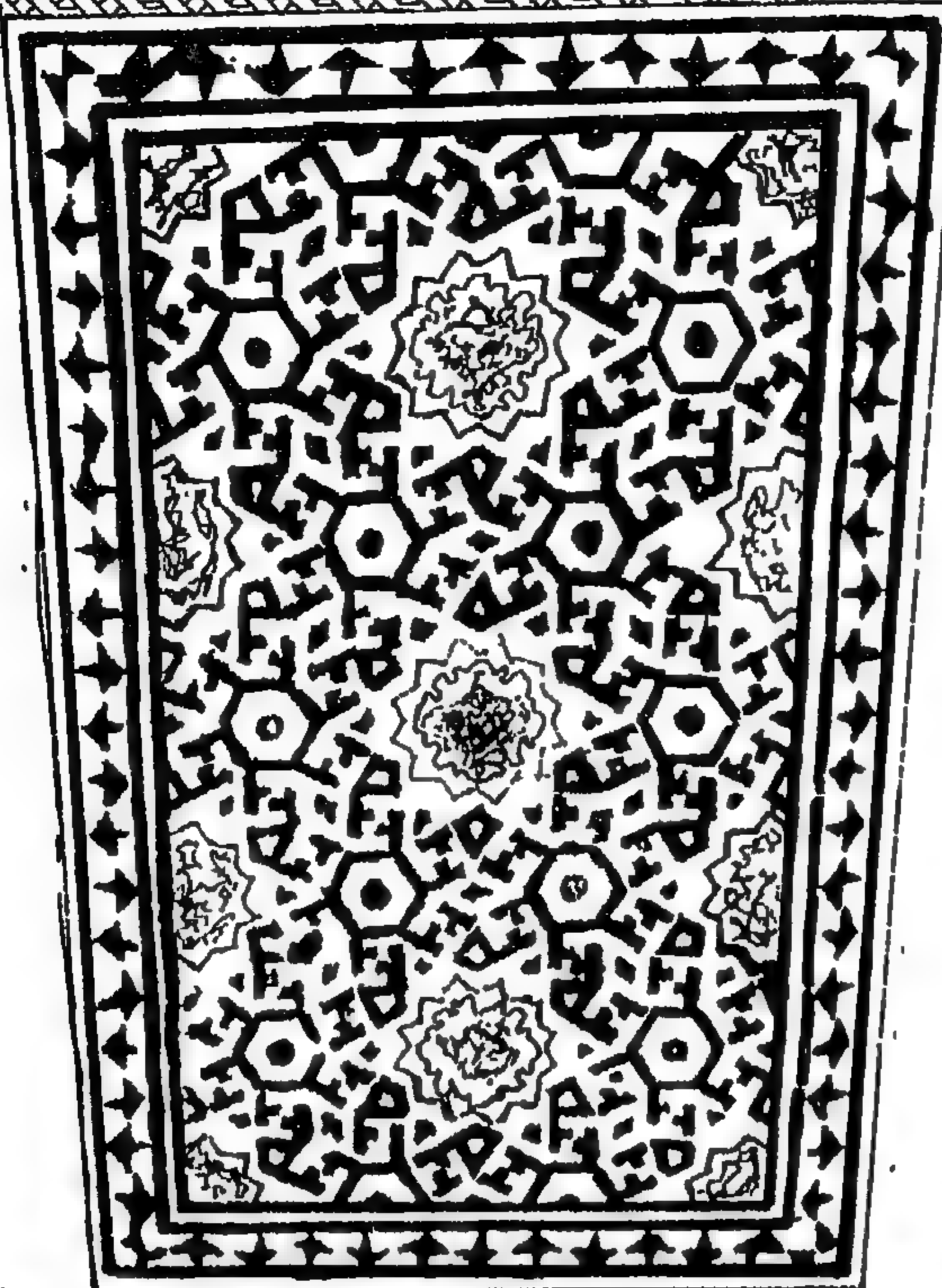
اناء من الخزف من صناعة دمشق
محفوظة في متحف برلين - دالم ومصنوع
في القرن الرابع عشر الميلادي وهو اناء
خاص بالصيديات . وقد بزغ هذا
الاطار الفني للمرة الاولى في الاندلس
ثم انتشر في بقية البلاد الاسلامية
ومن بعد ذلك انتقلت صناعته الى الغرب



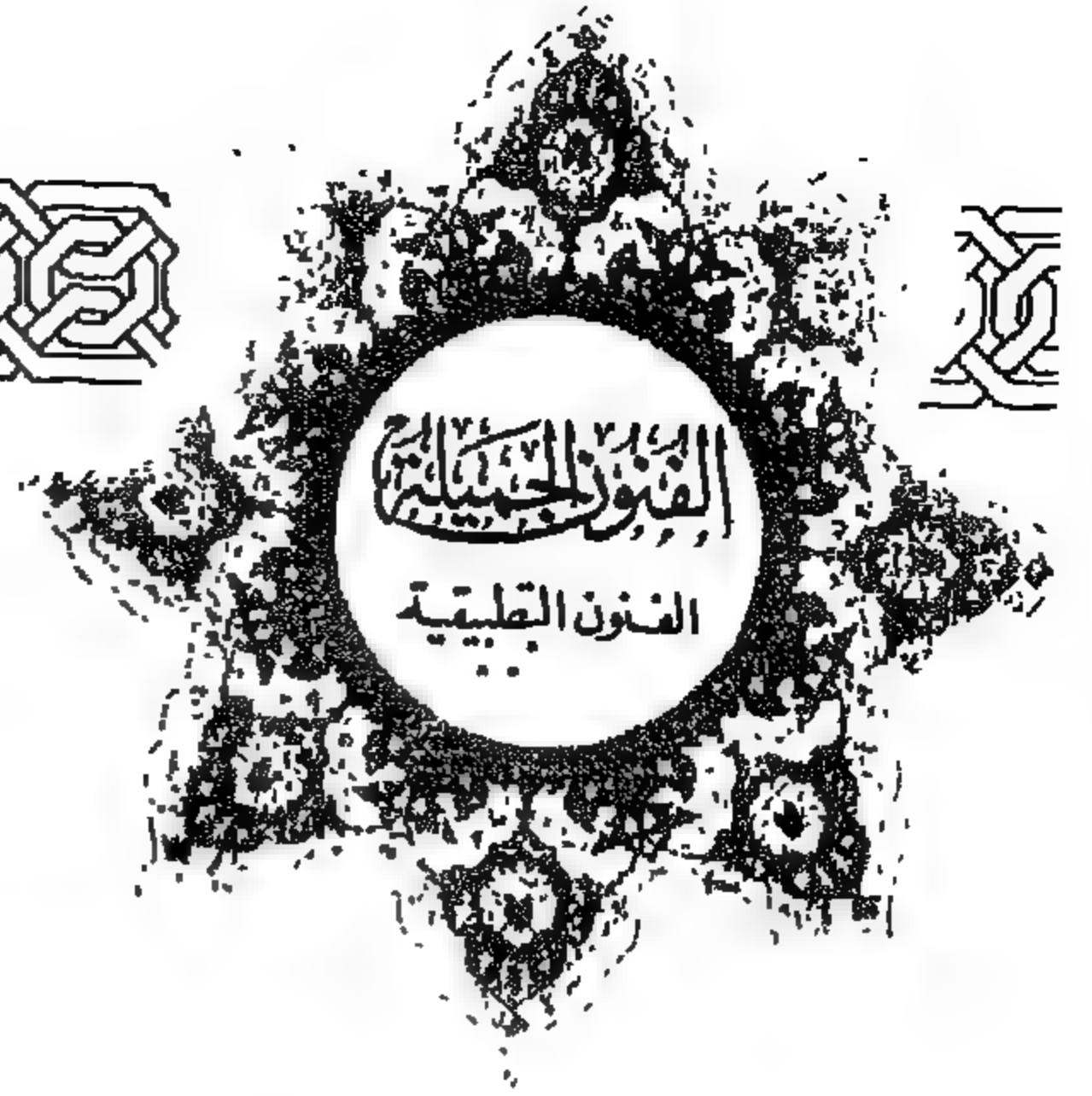
شكل - ٩٥ -

تزيينات ذات بريق معدني ، على كأس من الخزف مصنوعة في
الاندلس في عهد بني نصر (القرن الرابع عشر الميلادي) وكانت
الاندلس والجزر البحرية التابعة لها ، مركز فن البريق
المعدني في العصور الوسطى ، انتقل منها الى بلدان
أوروبا الغربية وخاصة المانيا وايطاليا .
وهذه الكأس محفوظة بمدينة بايون

- ١٥٢ -



الفصل التاسع



الفنون التطبيقية

الخزف : مجموعة الخزف هي أكبر ما وصلنا من تحف الفن الاسلامي فهي كثيرة العدد جداً ، متنوعة المواضيع . نجدها في كل بلد إسلامي . كما تتشابه أساليبها الفنية بكل مكان . ويبدو من تطور الفنون الخزفية أن منبع الابتكار فيها كان في فارس والعراق وهي استمرار وتطوير لصناعة الآجر المزجج الذي استخدمه بكثرة العرب القدماء في بلاد ما بين النهرين



يقول الخبراء أن في خزف شمالي افريقيا المسلمة ، البهجة والتلوين الجميل ، ويختلف طراز الخزف المغربي عن الطراز الفني الذي كان سائداً في مصر وسورية والعراق وفارس . ويتجه في أكثره لابرار الفولكلور المحلي أكثر من العناية بالفن الجمالي .. وهذا الطبقة المصنوع في مدينة الرباط ، أحد الأمثلة الواقعية عن هذا الرأي من صناعة الخزف المغربي وتزيينه .

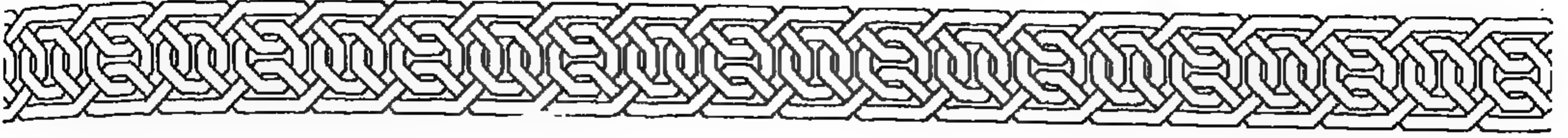


الشكل - ٩٩ -

رسوم اسلامية على طبق من الفخار من صنع مدينة نيسابور من القرن العاشر الميلادي ، والطبق محفوظ في متحف المتروبوليتان في نيويورك ، ويمثل الرسم فارسا خارجا الى الصيد ومعه البازي ، وكلب الصيد وبعض الحيوانات التي قد يصطادها ، وقد اشهر سيفه علامة على الفروسية والاستعداد للنزال اذا داهمه خطب ما .

ومنها كانت تنتقل الأساليب بسرعة غربية إلى غرب « مملكة الاسلام » . وقد استعمل المسلمون الخزف في صناعة البلاطات الزخرفية الجميلة لكسوة الجدران في البيوت والمساجد والمدارس وغيرها من المباني . كما استعملوه في عمل الأواني من أكواب وصحون وسلطانيات وأباريق ودوارق وقدرور وأزيار وشماعد ومسارج ومباخر وزهريات وقماثيل صغيرة ولعب ، وأنواع أخرى من التحف الفنية .

وقد بدأ صنع الخزف الاسلامي أول الأمر كتبة لصناعة الخزف الساساني والبيزنطي ، ثم استقل بأسلوب اسلامي خالص وتوعدت أساليب الزخرفة بالرسم تحت الطلاء الزجاجي الشفاف بالألوان ، أو بالبريق المعدني ، أو بالتذهيب فوق طلاء زجاجي شفاف أو غير شفاف ،



وبالنحت والحزف والتخريم ، وبالصب فوق القالب ، والمينا ، كما تعددت أنواع العناصر الزخرفية ، من زخارف عربية ، وهندسية ونباتية ، سواء الطبيعي منها كالأشجار والثمار والزهور أو المقتبس والمعدل بشكل في زخرفي تزييني ، ورسوم مبان ومراكب تمخر مياه البحر ، وصور حيوانات وطيور وأماكن ، وأشخاص في مناظر الحياة اليومية من رقص وموسيقى ومجالس شراب ، أو مناظر صيد ، أو مبارزة ، أو حفلات سهر . وكان رسم المخلوقات ذات الروح من انسان وحيوان كثير الانتشار منذ بدء صناعة الحزف الاسلامي ، لأنه للمتعة والزينة والاستعمال وليس للعبادة ... واختص الفن الاسلامي ، سواء في الحزف ، أو في غيره ، دون سائر الفنون العالمية بالكتابة العربية الزخرفية ، وهنا في الحزف استخدم الحزافون المسلمون الكتابة بالخط الكوفي بمختلف أشكاله أو النسخي كوسيلة للربط بين العناصر الزخرفية الأخرى ، أو لملء شريط زخرفي بكلمات ذات صيغة دعائية لصاحب التحفة ، أو حكمة عربية ، أو آية من القرآن الكريم أو حديث من أحاديث الرسول عليه السلام .

وجميع مخلفات العصور الاسلامية من الحزف تدل على أنها تنتمي إلى وحدة فنية تجمع بينها ، رغم ما فيها من تنوع في الأساليب الزخرفية التي ازدهرت في شتى بلاد العالم الاسلامي ، فلكل بلد اسلوب زخرفي خاص به ، يميزه عن غيره ، ولكن ضمن وحدة الزخرفة الاسلامية كإطار عام يختلف عن الأساليب الأخرى الصينية أو الهندية أو الأوروبية مثلاً .

وبما يثير إعجاب ودهشة الناقدين الفنيين لصناعة الحزف الاسلامي ، الاتقان الزائد في استغلال تأثير النور والظل ، ونجاح الحزافين المسلمين



في ذلك نجاحاً بزّ جميع زملائهم من خارج العالم الاسلامي .

— وكما يقول د . محمد مصطفى مدير متحف الفن الاسلامي بالقاهرة — نجد في الحزف الاسلامي الألوان دافئة ، مريحة للنظر ، ونجد الزخارف البارزة المنهوتة أو المصبوبة في القالب ، يختلف عليها النور والظل ، ويكسبها رونقاً ، ويعطيها نوعاً من الحياة . ويتخلل النور الزخارف المخرمة في جدران الأواني ، والمكسوة بطلاء زجاجي شفاف ، يبعث الحياة فيما يوجد داخل الاناء ، كما تلمع الزخارف المدهونة بالبريق المعدني وتبر الأبخار ، بينما تظهر الصور المرسومة باللون الأسود تحت طلاء زجاجي شفاف فيروزي اللون وكأنها أشباح في ليلة مقمرة .

وكان الخزافون المسلمون هم أول من اخترع البريق المعدني في زخرفة الحزف . ويعتقد أن ابتكاره تم في العراق ، ولكنه نضج واصبح لونه ذهبياً منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . وانتشر استعماله في مصر والعراق وايران ثم في الشام والأندلس . وكانت الزخارف ترسم فوق الطلاء الزجاجي بأكاسيد بعض المعادن ، أو تحجز على أرضية مدهونة بهذه الأكاسيد ، تثبت في أفران خاصة ، فيظهر لها لمعان معدني واضح ، يختلف بين اللون الذهبي والأحمر النحاسي والبني والزيتوني .

وكان الفنانون من الخزافين ينتقلون في البلدان الاسلامية ويصنعون بنفس أساليبهم ، عدداً من التحف ، في البلدان التي يحلوا فيها ، لذلك نجد اوان خزفية متشابهة في أشكالها وفي أساليبها الزخرفية ، مصنوعة في مصر او العراق أو ايران في نفس العصر ، مع اختلاف بتاريخ الصناعة متقارب . ومن المراكز التي اشتهرت بصنع الحزف « قاشان » والتي تنسب صناعة تربيغات (بلاط) القاشاني ذي البريق الملون ويسمى بالمغرب الزليج

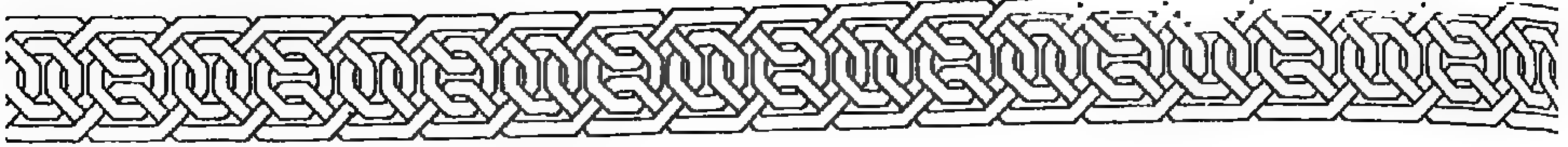


ومنه اقتبس نموذج اسمه AZULEJOS واشتهرت في سوريا (الرقة) في العهد السلجوقي كما عرفت مصر بالصناعة الخزفية الراقية زمن الفاطميين والايوبيين والمماليك . وأما في المغرب والاندلس فذاعت شهرة ملقة



الشكل - ١٠٠ -

اناء زجاجي ممتوه بالميناء من صناعة سورية في عصر المماليك
(النصف الاول من القرن ١٤ م)



وغرناطة ومنطقة بلنسية^(١) . وأما في العهد العثماني فاشتهرت (بروسه) في آسيا الصغرى ودمشق بالبلاط القاشاني .

وفي كتاب الله عام ١٣٠١ م أبو القاسم القاشاني أحد افراد امرة عريقة في صناعة الخزف ، وصف لصناعة الخزف الاسلامي ، فيقول :

يتكون الخزف الابيض الرقيق الصلب ، من عجينة من الطفل الأبيض ، يضاف إليها مسحوق حبيبات الكوارتز والبوتاس ثم تحرق الآنية بعد تغطيتها بطلاء قلوي مصنوع بحبيبات الكوارتز والبوتاس أيضاً . ويكون الرسم تحت الطلاء القلوي . وهذا يدل على أن صناعة الخزف الاسلامي تأثر بصناعة « الصيني » ولكن ادخل عليها النوق العربي والتأثيرات الاسلامية فغدت زخارفها كتابات كوفية أو تقريعات نباتية أو رسوم حيوانات وطيور ترح بين أوراق النبات وفروعها . فكان اللون الغالب في الخزف الاسلامي ، والمصنوع في فارس خاصة ، الأزرق الزهري أو الأزرق الفيروزي أو البني أو الأخضر أو الأصفر أو الأرجواني .

وهناك نوع من الخزف ظهر منذ القرن الثاني عشر الميلادي سمي بخزف « لقي » عبارة عن أواني حددت رسومها بالخزوز حتى لا يسبح طلاؤها ..

(١) ويروى أن صناعة الزليج قد انتقلت الى شمالي افريقيا والمغرب على يد اسماعيل الطلاء من القيروان الذي ذهب الى بغداد في أوائل القرن الثالث الهجري ليتعلم النحو ، ولكنه عمل في دكان غضار (صانع الفضار والخزف المطلي) وتعلم صناعة القاشاني واشترى ١٢٠ بلاطة نموذجية الخزف ورجع الى القيروان فكسا حلق المحراب الجامع الكبير بها عام ٢٥٠ هـ ، وصنع بنفسه الكمية اللازمة لاتمام واجهة المحراب فكان ذلك نقطة الانطلاق لصناعة الزليج في مغرب العالم الاسلامي وجنوبي أوروبا .



الزجاجيات : يعرف الشرق العربي صناعة الزجاج منذ أيام العرب
لقدما وقد استمرت أساليب هذه الصناعة سائدة ، كما كانت في القرن
الأول للهجرة ، واشتهرت دمشق وحلب وانطاكية وصور وعكا والحليل
بانواع الزجاج الشامي الذي كان يضرب المثل برقته ونقائه وزخارفه .
وارتقت المصنوعات الزجاجية في العصر الفاطمي رقياً كبيراً ترك بين
أيدينا تحفاً فنية لا تعد ، منها كؤوس وقماقم وصحون وأباريق ، ولعل
أشهر المنتجات الفاطمية وأعظمها قيمة من الناحية الفنية الزجاج المنحوب
والمزين بزخارف تبدو كالبريق المعدني . هذا عدا البلور الذي أقبل عليه
كبار القوم لصلابته بالنسبة للزجاج العادي ولطف منظره ، ومعظم الآثار
البلورية الإسلامية موجود الآن في الكنائس الغربية .

وبلغت صناعة التحف الزجاجية أوج عزها أخيراً في الشام ومصر فيما
بين القرنين السادس والتاسع الهجريين (١٢ - ١٥ م) برعاية سلاطين العهد



الشكل - ١.١ -

نماذج من القاشاني الملونة بالابيض والازرق من صناعة دمشق
(أوائل القرن ١٥ م)



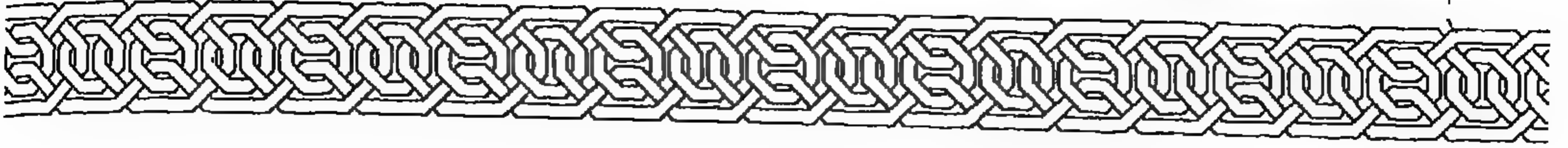
الشكل - ١٠٢ -

أحد نقوش قطعة نسيج صنع في غرناطة وتمثل شاعرين أندلسيين يتساجلان في جلسة شراب

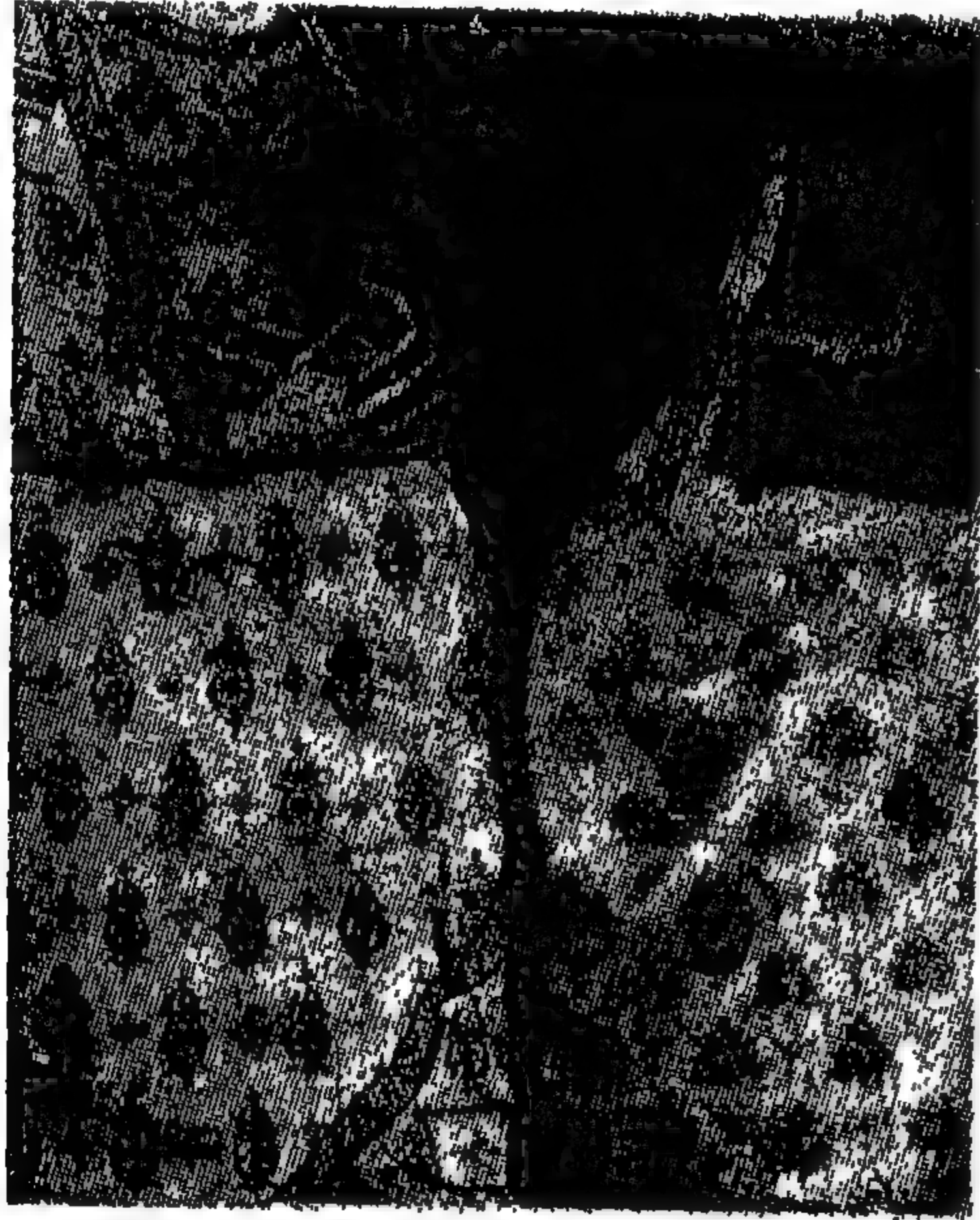
الأيربي والمملوكي . وكان فخر هذه الصناعة تزيين التحف بالزخارف الذهبية المموهة بالمينا . وبرزت في هذا مدينة (الرقة) . وأبدع ما وصلت إليه صنع المشكايات ومنها أمثلة كثيرة موزعة بين المتاحف والمساجد الكبرى . أما إيران فقد سارت صناعة الزجاج فيه التطور الذي جرى في الشام ومصر حتى كان عهد تيمورلنك الذي جمع في سمرقند نخبة من أهم رجال هذه الصناعة السوريين برز بهم أهم المدينة ثم تلتها شيراز في القرن (١٧ - ١٨ م) .

ومن المؤسف أن التحف الزجاجية الاندلسية نادرة جداً رغم ازدهار صناعتها في المرية وغرناطة بسبب ما أصابها من الاتلاف في عصور محاكم التفتيش .

المنسوجات : كان إنتاج الأقمشة الجميلة من أهم ميزات الفنون الإسلامية . اشتهرت بذلك الشام ومصر وإيران . وبالرغم من أن بعض المنسوجات ما يزال يحتفظ بأهم (دمشق) (كالدامسكو) والموصل (الموصلين) فإن دور الطراز الهامة والمنسوجات الأثرية الباقية تنسب خاصة لمصر وإيران



فالنسيج القديم في مصر تابع في القرون الاسلامية الأولى تطوره من أساليبه القبطية القديمة في الزخرفة بالرسوم الآدمية والحيوانية والطيور . وقد عظم اهتمام الخلفاء الفاطميين بصناعة النسيج ، وكانت وظيفة صاحب الطراز لا يتولاها إلا أحد كبار المقرين . واشتهرت مدينة تنيس بأنواع من النسيج المقصب الملون وبنوع من القماش يعرف (بالبوقلمون) . وقد عرف الصانع طبع الرسوم على القماش بالقوالب الخشبية ، وقد اضمحل نسيج الكتان بمصر في عهد الأيوبيين والمماليك وزادت العناية بنسيج الحرير وتطوره وزخرفته .



جزء من لوحة فنية للرسام الإيطالي اليفريتو بوتسي تصور تنويع مريم البتول (النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي) ويظهر فيها أثر فن الأرقشة العربية (الأرابيسكا)

أما إيران فشهرتها بالنسيج جعلتها تدفع بعض جزيتها من المنسوجات النفيسة ، وكان من أهم مراكز النسيج نيسابور وأصفهان والري ومرو حتى



قاشان ، على ان زخارفها وأما يليها بقيت أول الأمر ساسانية حتى كان العهد السلجوقي الذي جاء إيران بنهضة عامة في النسيج تأثرت بالأساليب الصينية من جهة ، وبالتقدم الزخرفي الذي ظهر في الجزيرة إذ ذاك بشمال العراق (كالموصل) . واستمرت شهرة إيران بالنسيج الرائع قائمة في العصر المغولي والتمغوري وأخيراً في العهد الصفوي الذي بلغ القمة .

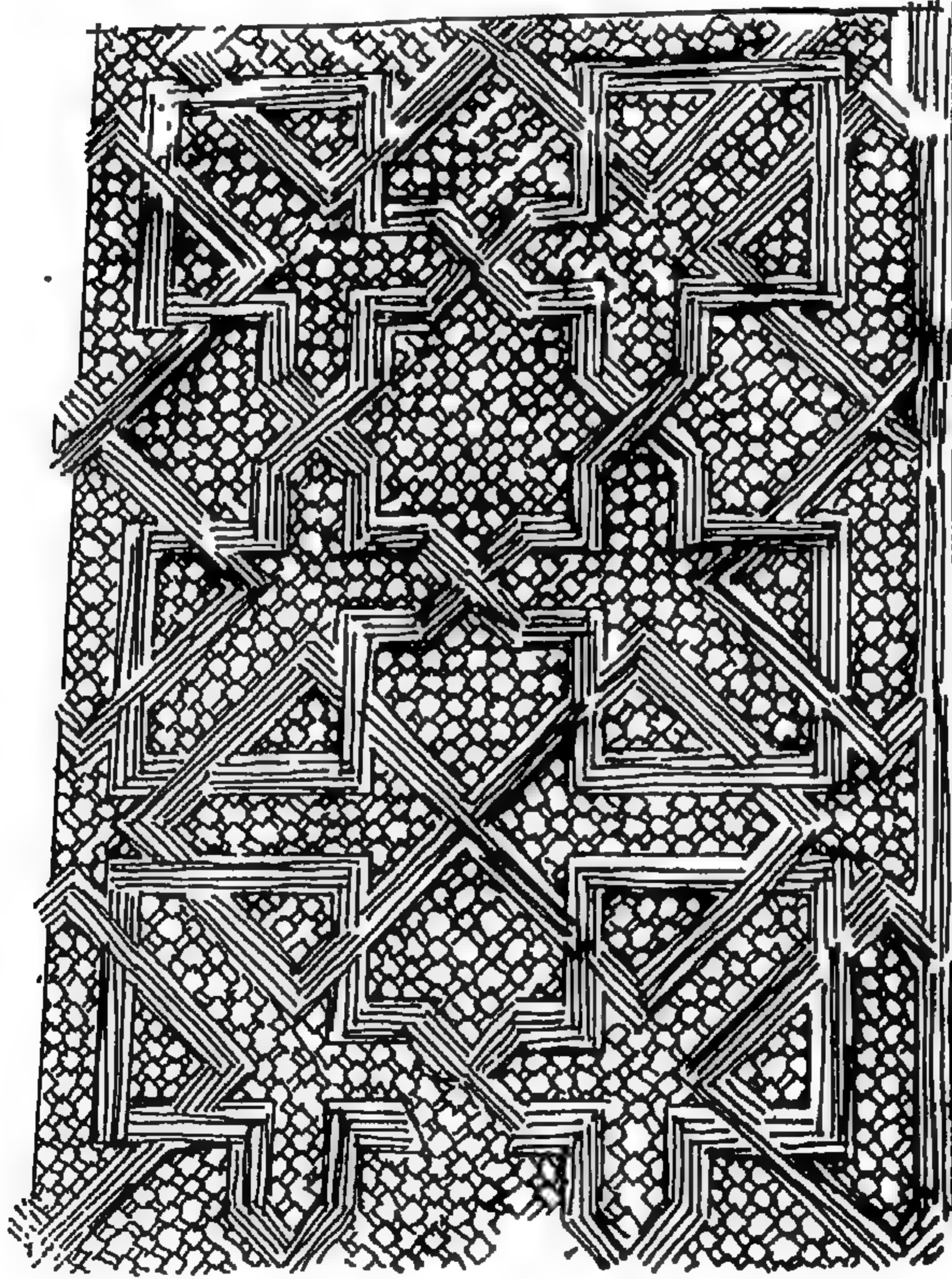
السجاد : بالرغم مما ثبت في بعض الآثار والأخبار من وجود صناعة السجاد في الأقاليم الإسلامية كمصر وأرمينيا منذ القرن الثاني الهجري فإن إيران تذهب لوحدها بكل اهتمام الباحثين في هذه الصناعة الفنية الرائعة .

وترجع أقدم السجاجيد الإيرانية المعروفة إلى العصر السلجوقي لكن صناعتها لم تبلغ الأوج إلا فيما بين القرنين (١٠ - ١٢) الهجريين (١٦ - ١٨ م) وكانت أهم مراكز السجاد ولا تزال أصفهان وقاشان وتبريز وشيراز وهمدان . وبالرغم من صعوبة دراسة كل مدينة منها على حدة ، فيمكن أن نلاحظ بشكل عام أن السجاجيد ذات الصرة الزخرفية في الوسط هي من صنع شمالي إيران (تبريز قاشان) . أما ذات الرسوم الحيوانية والعناصر الآدمية فلم تشتهر هناك حتى القرن العاشر الهجري . أما الزهور والأشجار وأغصان النبات ، والزخارف من نوع الآرابسك فقد أصبحت تسيطر على جميع أنواع السجاد في بقية البلاد الفارسية . وكان يدخل في بعضها أحياناً كتابات مختلفة . وقد انحطت هذه الصناعة في إيران بعد القرن الثاني عشر .

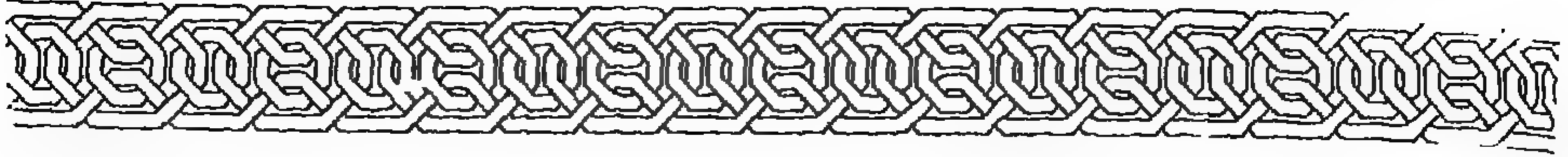
وبقي السجاد في المغرب والأندلس محلياً حتى القرن الثاني الهجري حين وصلتته جيوش خراسانية حاملة معها السجاد العجمي فانتشر استعماله فيها . والسجاد المغربي قبل ذلك كان صعة البر ، قصير الشعر ، ليس به إلا الزخرف الهندسي ذو الخط المستقيم . كما كان معروفاً السجاد



البيزنطي عالي الوب كثير الزخرف .. وتولد من السجاد المحلي لشمال
أفريقيا والسجاد العجمي الجديد ، سجاد قيرواني نسبة إلى مدينة قيروان ،
حيث دخله عنصر الحريرو واسلاك الذهب والفضة (الزركشة) والتزيين
بالجواهر ولا يزال بقايا هذه الصنعة في تونس . ومن أشهر السجاد القيرواني ،



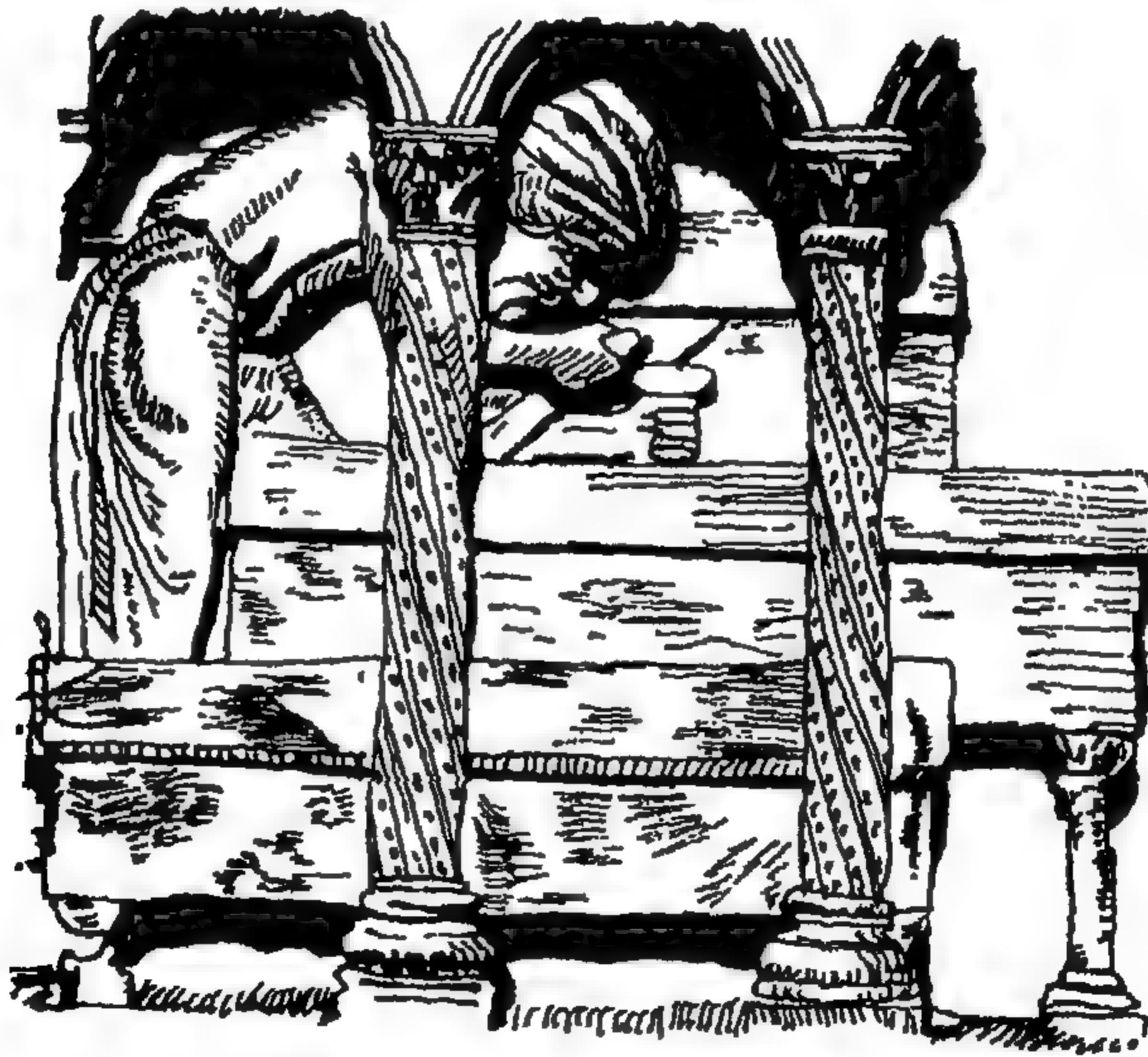
نموذج من صناعة الابواب الخشبية بحشوات من الخشب ترتب
باشكال هندسية بديعة . أحد ابواب مدرسة العطارين في فاس - المغرب



سجادة حملها معه أحد أمراء الفاطميين حين انتقل من المهديّة إلى القاهرة ،
وعليها خريطة تونس مصورة .

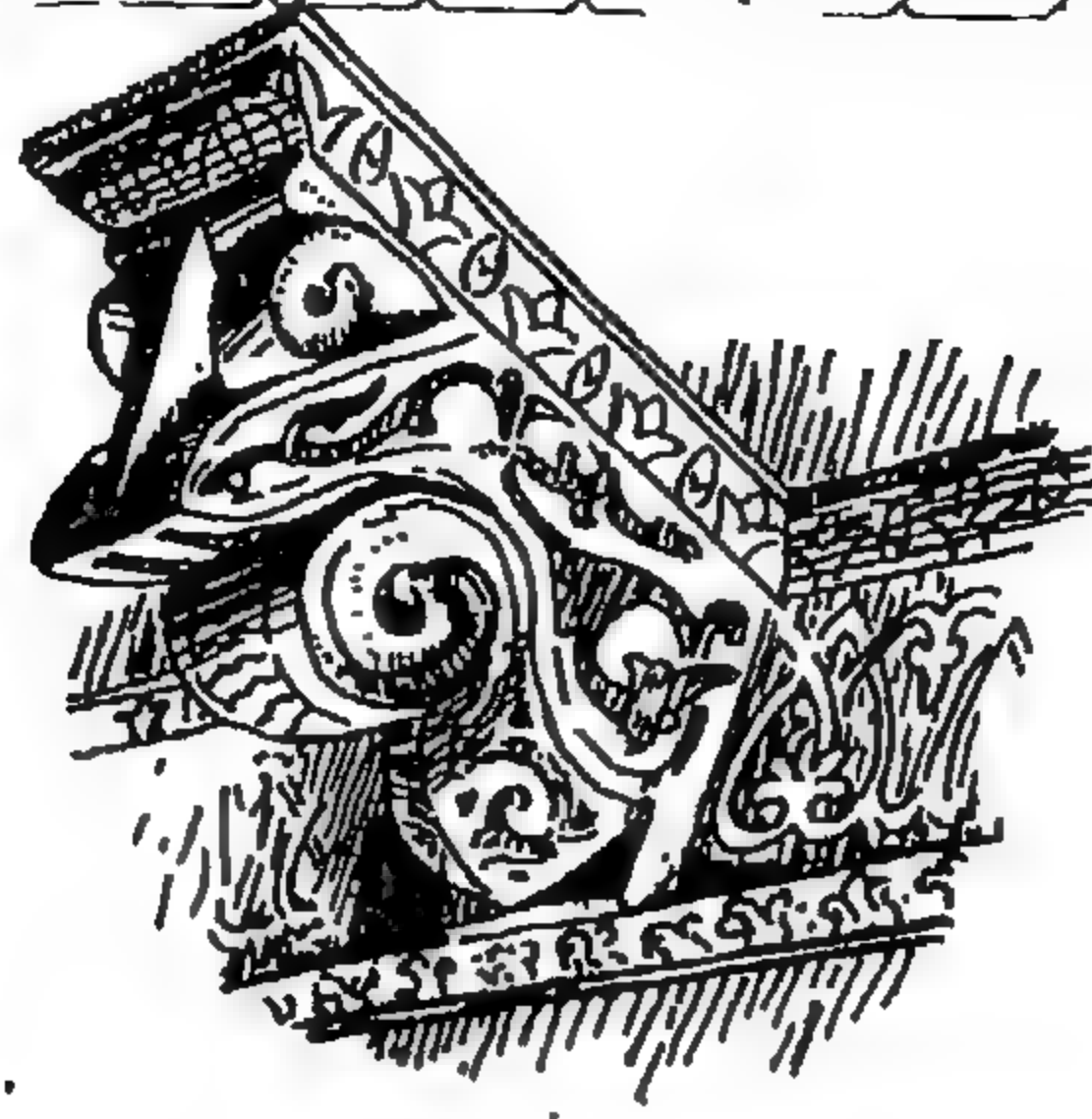
الحفر : حفر المسلمون الأشكال الفنية في الحشَب والعظم واللّاج ،
كما حفروها في المعدن والحجر والجص .

فأما في الحشَب فقد وصلنا من العصرين الأموي والعباسي عدة أمثلة
منها حشوات في المسجد الأقصى بالقدس . وباب أموي ، في الغالب ، يملؤه
بالزخارف الهندسية والنباتية ، ومنبر جامع عقبة في القيروان ، المتميز
بالاقتان . ويبدو أن الحفر الحشبي تقدم في مصر في العهد الطولوني ولكنه
بلغ أوجه في العصر الفاطمي إذ دقت الزخرفة وظهر التفريغ الدقيق .



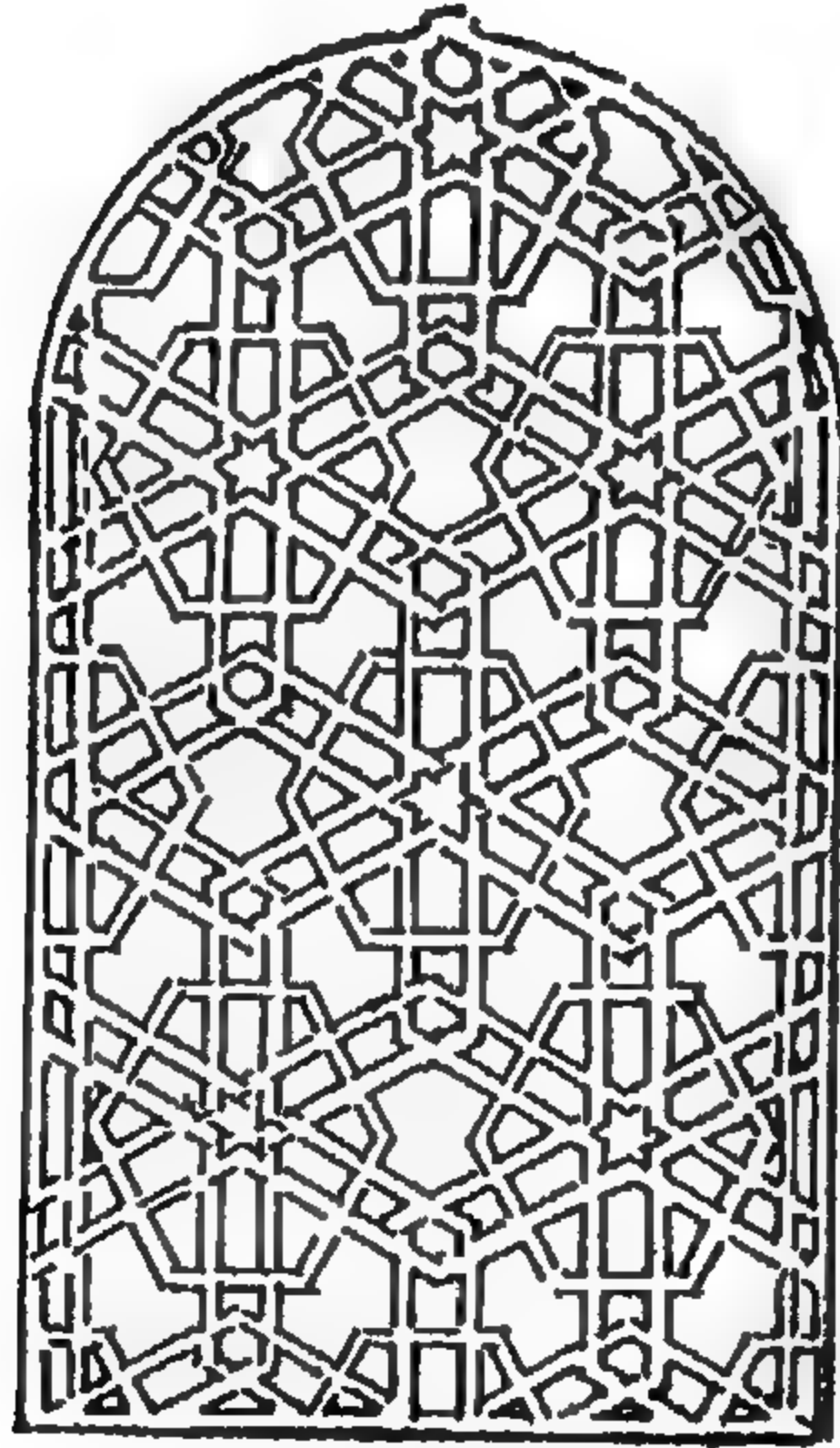
الشكل - ١٠٥ -

صورة عربية أندلسية تمثل نجارا عربيا يقوم بحفر ونقش الخشب
(القرن ١٢ م)



شكل - ١٠٦ -

نموذج من الحفر على الخشب في الجامع الكبير في قرطبة



شكل - ١٠٧ -

تزيينات هندسية لنافذة احد مساجد القاهرة - ١٣٤٠م - وهي مثال
للزخرفة العربية الاسلامية الهندسية التي كثر في النوافذ والابواب ،
من الخشب ، وفي الجدران من الرخام

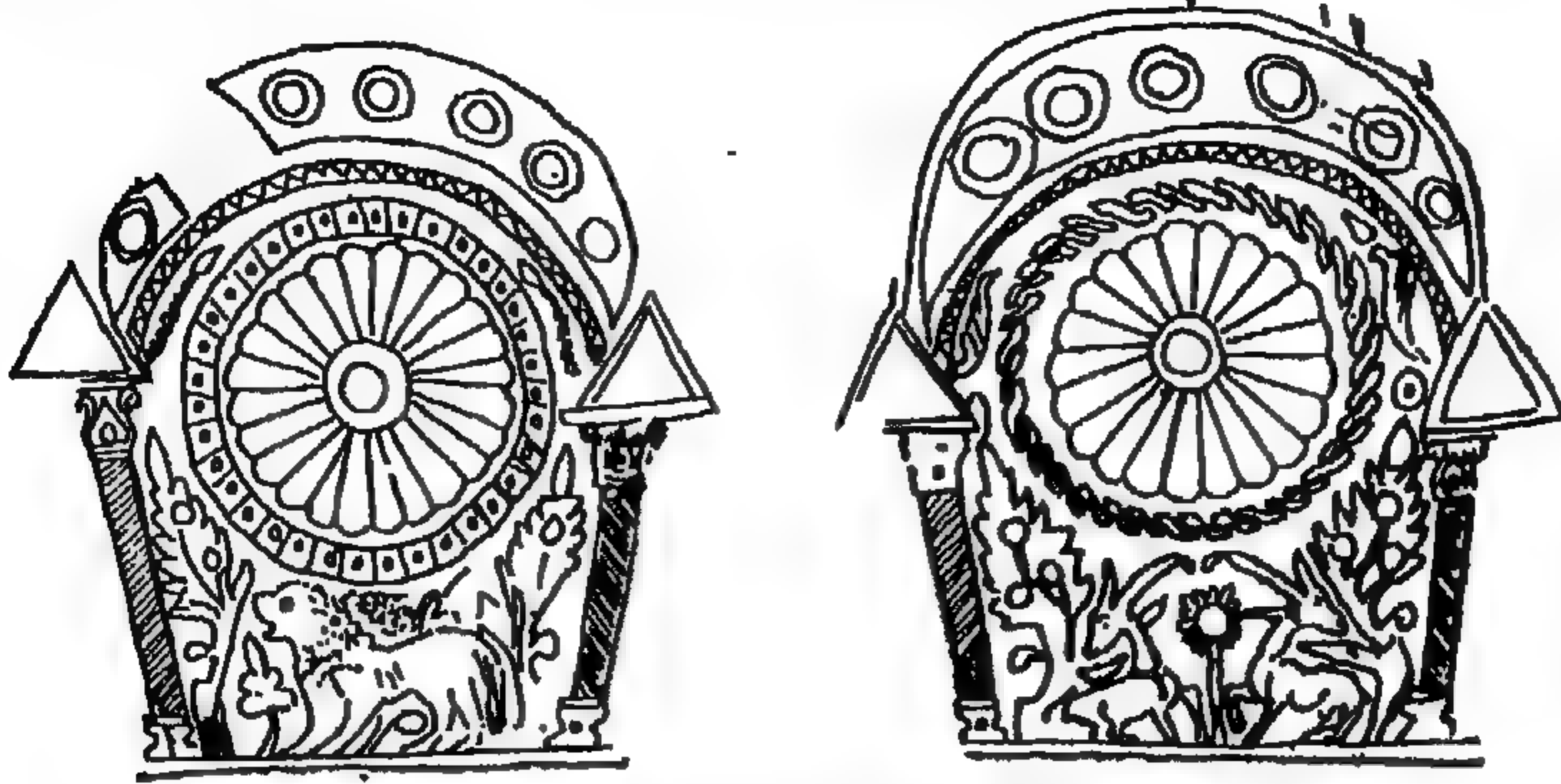


ومن أمثلة ذلك تابوت قبر سكيئة (في دمشق) . وظلت هذه الصناعة محتفظة بأساليبها وانتشارها في العهد الأيوبي والمملوكي وقد تركت لنا عدداً كبيراً من المحاريب والنوافذ والحواجز والمنابر والتوايت . (كتابوت صلاح الدين بدمشق) وقد تأثر الحفر في العهد السلجوقي في إيران وآسيا الصغرى بأساليب الشام ومصر وترك لنا تحفاً محدودة كما تأثرها حقاو الأندلس . غير أن العصر المغولي والتموري أدخل على الزخارف الحشبية عناصر جديدة أكثر حياة وشبهاً بالطبيعة من الزخرفة الفاطمية .



شكل - ١٠٨ -

نقوش بارزة لآناء نحاسي ضخيم مرصع بالفضة ، من صنع مدينة هراة في القرن الحادي عشر الميلادي . وهو نموذج لفن التكفيت والنقش والزخرفة على المعدن في العصور الإسلامية ويمتاز هذا النقش بالطراز الزخرفي الذي يحول رؤوس الحرف الهجائية الى رؤوس بشرية وحيوانية . وهي طريقة استعملها المخرفون الغزيون في كتبهم وفي الحرف الهجائية الأجنبية .



صم صليمن من الزخارف المحفورة على البريق المسروب الى مروان الثاني في دار الآثار العربية بالقاهرة

شكل - ١٠٩ -

بعض الزخارف المحفورة على ابريق معدني يعتقد انه كان للخليفة الاموي مروان الثاني ، والابريق محفوظ في دار الآثار العربية بالقاهرة .



شكل - ١١٠ -

ابريق مصنوع من البرونز ، في العصر الاموي القرن الثامن الميلادي من عمل فنانين فرس

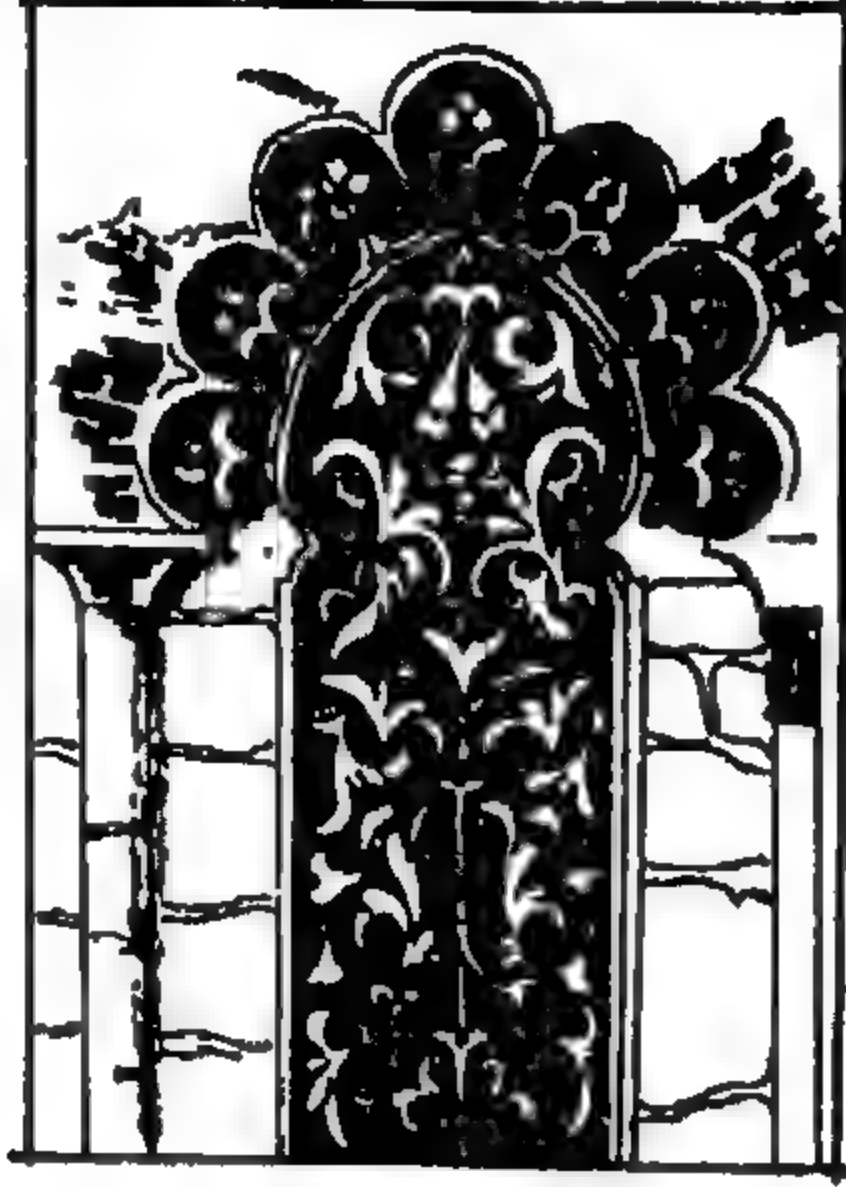


وأما حفر العظم والعاج : فمعظمها كان على شكل علب أو حشوات لبعض الاعمال الفنية الأخرى . وقد بقي هذا الفن في أمر الذين كانوا يعملون به قبل الاسلام . وأمثلة التحف العاجية التي وصلتنا من صدر الاسلام لا تدل على أيد مبتدئه بالحفر، وقد وصلتنا تحف عاجية كثيرة من العصر الفاطمي، لكن لم يصلنا من العصر الأيوبي والمملوكي إلا القليل، ومعظم أعمال العاج في هذين العصرين كان في التطعيم . ولكن الأندلس هي التي تركت لنا أكبر عدد من التحف العاجية الموزعة بين المتاحف .

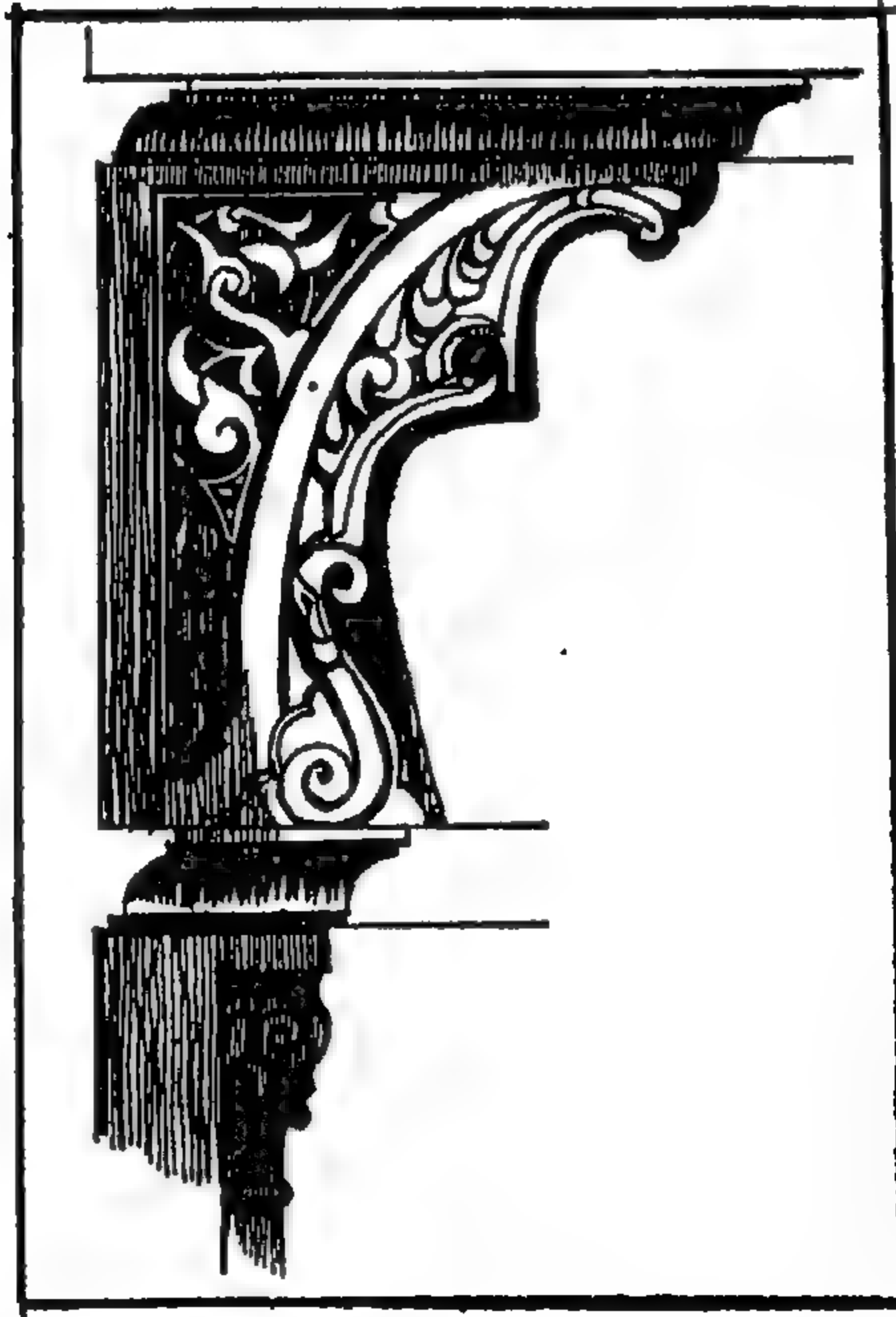
وأما في المعدن : فقد كانت التحف الاسلامية الأولى منه استمراراً لتقاليد الفن الساساني وأساليبه لحد كبير . وقد استعمل الفنانون المسلمون في أعمالهم البرونز خاصة وصنعوا منه الأباريق والمباخر وآنية الماء على أشكال الحيوان خاصة . أما الأواني الفضية من صدر الاسلام فمعظمها صحنون عليها مناظر صيد ورسوم مألوفة في الفن الساساني وأباريق من نفس النوع .

وقد ازدهرت صناعة التحف المعدنية في العهد الفاطمي وامتلأت بها قصور الخلفاء ومعظمها تماثيل للحيوانات : كالطير والأسد والظبي والأرنب ، عدا الشاعد والصواني والثريات . وكان بعضها يطعم بالميناء مع الزخارف ، وعدا قطع الحلي التي تفنن الفاطميون في صياغتها ما بين أساور وخواتم وأقراط وأطواق .

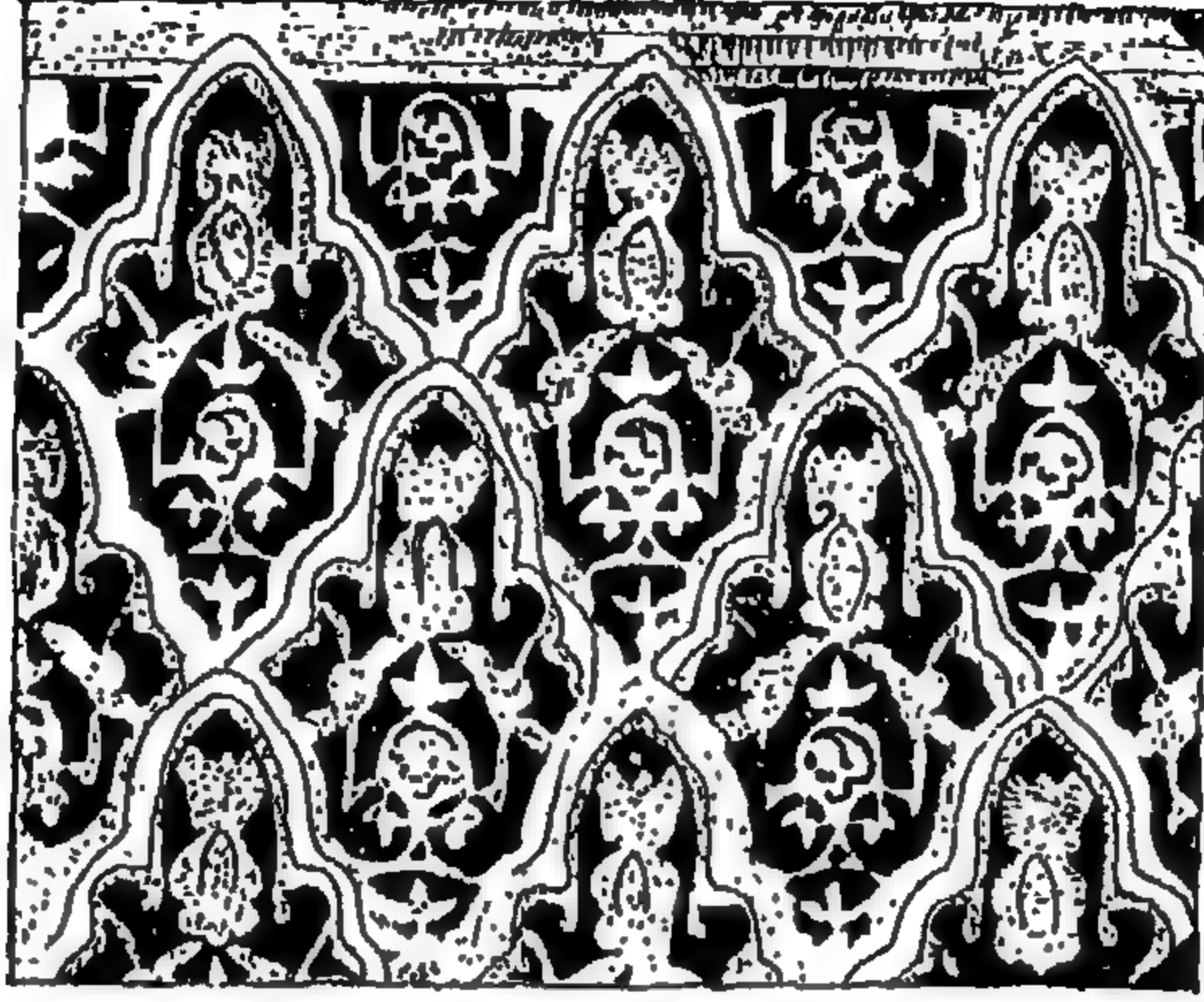
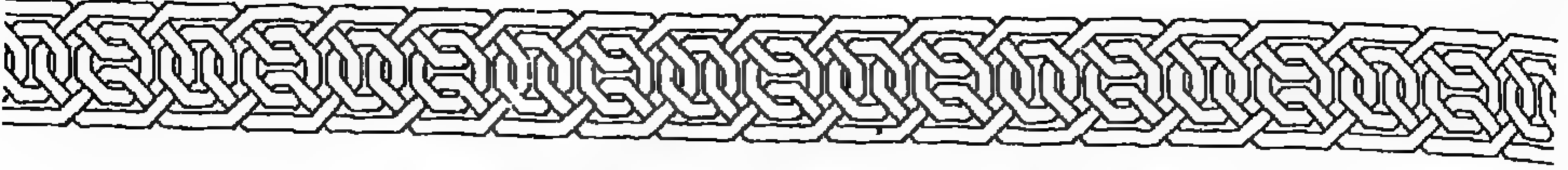
وكان العهد السلجوقي في إيران مجال نهضة في صياغة الفنون المعدنية من البرونز والفضة والذهب . وبعضها كان يملأ بالزخارف البارزة ، كما نرى في المرايا السلجوقية وفي الصواني والشاعد الباقية والأباريق . على أن أهم الأساليب الفنية التي ازدهرت على يد الصناع السلجوقيين بإيران والجزيرة هو نقش البرونز والنحاس الأصفر بزخارف عميقة تملأ بالفضة والذهب والنحاس



شكل - ١١١ -
تزيينات في منارة (ماذنة) الكتبية في مراكش



شكل - ١١٢ -
تزيينات من باب قصبة ودايا في الرباط .



شكل - ١١٣ -

من زخارف قاعة الاسود في قصر الحمراء ويعد هذا القصر العربي الاسلامي
اجمل قصور العالم من حيث سعته وجماله وتنوع ودقة ورشاقة وفنى
زخارفه الجصية .



شكل - ١١٤ -

طبق منقوش بنقوش نافرة وغائرة ومكفت بالذهب مصنوع في فالنسيا في
الاندلس يعد نموذجا في فن التكفيت والحفر الاسلامي الراقى (القرن الخامس
عشر الميلادي) في المغرب ، او الفن الاسباني - المغربي



الأحمر وهو ما يعرف بالتكفيت . وقد عرفت بهذه الصناعة الدقيقة مدينة « الموصل » خاصة خلال القرن السابع الهجري (١٣ م) وقد هاجر بعض صناع الموصل في هذا العصر إلى دمشق وحلب والقاهرة واشتغلوا للأمرء الأيوبيين فازدهرت صناعتهم في هذه المدن ولم يزدها العصر المملوكي إلا ازدهاراً بسبب إقبال سلاطين المماليك على هذا الفن واستخدامه في الأبواب والنوافذ ومختلف الأدوات والأواني والامرّة وأدوات الكتابة .

وقد تطور حفر المعادن في إيران على نفس الأساليب في العهد المغولي والتموري . فلما كان العهد الصفوي مال الناس إلى الزخارف الهندسية والنباتية الدقيقة فملأوا بها أدوات الحرب والأواني وما إليها .

ولا نكاد نجد في أعمال الاندلس المعدنية من اختلاف عن أعمال الشام ومصر منذ العهد الفاطمي حتى المملوكي .

وأما الحفر في الحجر والبص : فقد ملأ به المسلمون معظم آثارهم المعمارية ، ولعل أبداع ما وصلنا من عصر صدر الإسلام الزخارف الحجرية في قصر (المشتى) وزخارف قصر (الخير) الغربي . وفي قبة الصخرة والمسجد الأموي بعض نماذج من الحفر الأموي على الرخام تعتمد على الزخرفة الهندسية والنباتية .

وقد استمرت أساليب الحفر والزخرفة هذه في العصر العباسي مدة حتى تم تكون الأسلوب العباسي الخالص في القرن الخامس الهجري الذي اعتمد على الفروع النباتية المنطلقة في انشاءات وتعاريج متكررة كما نرى في تيجان الأعمدة في الرصافة والرقّة ، على الفرات ، وفي الزخارف الجصية الهامة في سامراء .

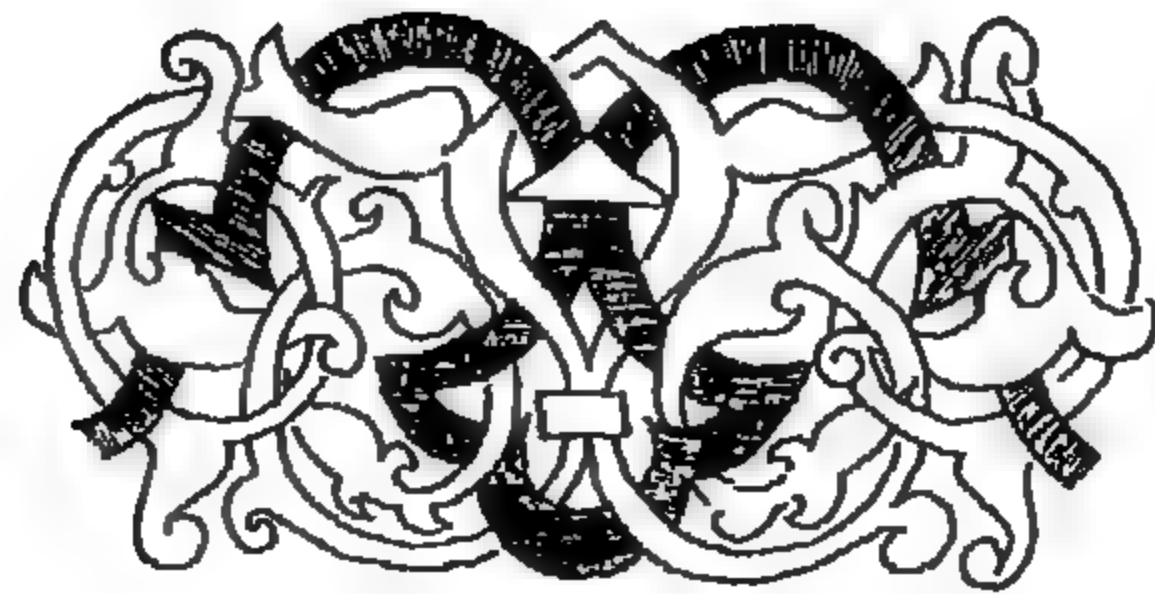
ويتمثل النحت الحجري والجصي في العهد الفاطمي ببعض التماثيل والصفائح والمحاريب التي تستخدم العناصر النباتية المحورة . أما في العهد



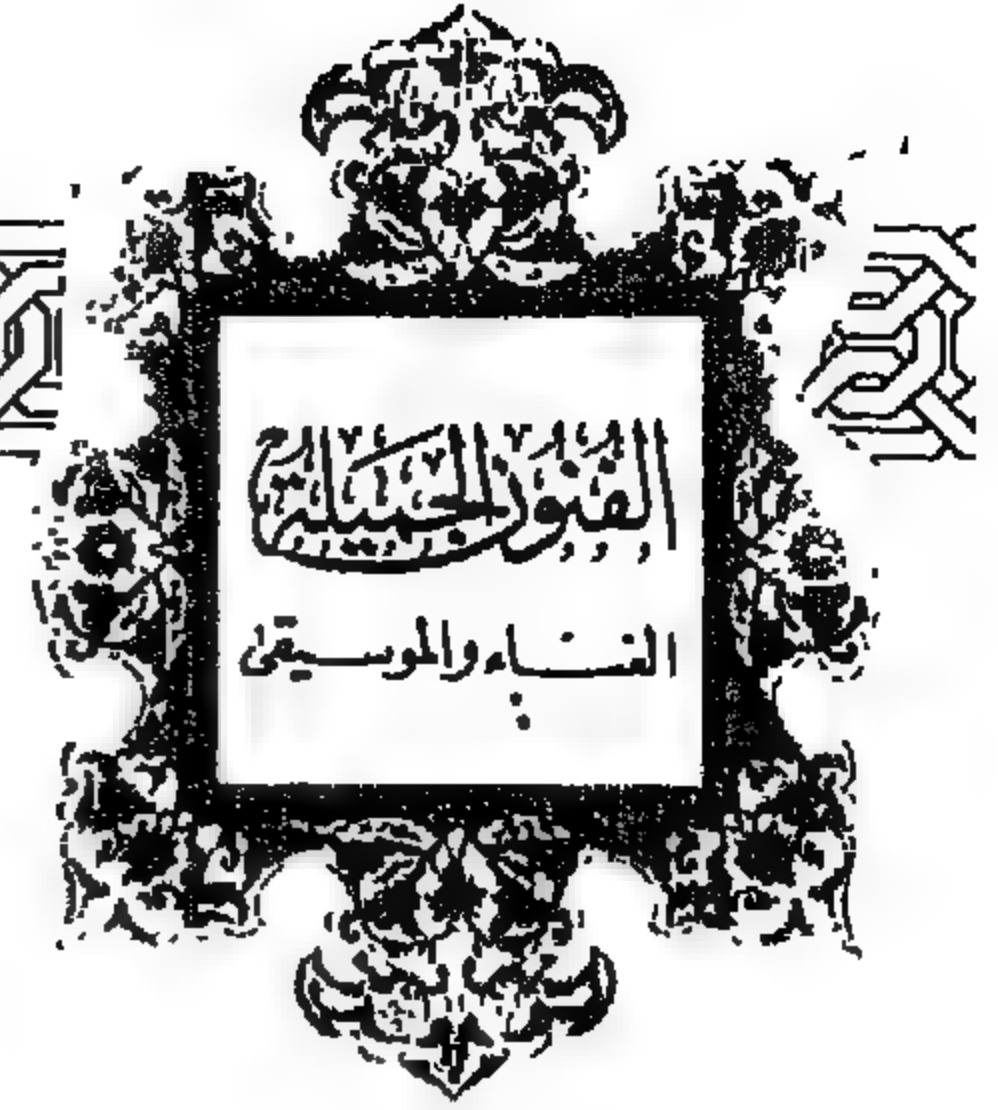
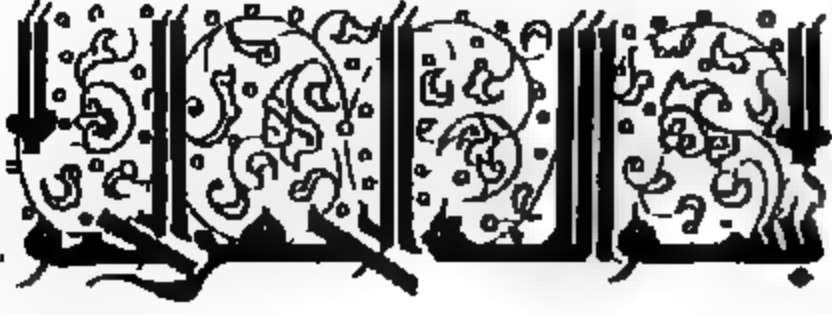
السلجوقي فقد كثر استعمال الرسوم الآدمية والحيوانية في الزخرفة ولاسيما في آسيا الصغرى . لكن الأيوبيين والمماليك اتبعوا الأساليب الفاطمية وتوسعوا في الزخرفة النباتية وانتشرت المقرنصات في أسلوب البناء سواء في المساجد أو القصور أو المدارس .

والزخارف الفنية النافرة في جدران وسقوف قصر الاندلس كافية للدلالة على مبلغ التقدم الفني في هذا المجال في غرب المملكة الإسلامية .

الفسيفساء : (كلمة يونانية الأصل) وقد برع بهذا الفن صناع الشام البيزنطيون الذين صنعوا للوليد بن عبد الملك فسيفساء الجامع الأموي وقبة الصخرة وهما أروع النماذج في العصر الإسلامي . وموضوعات الزخرفة فيها : كتابات ومناظر طبيعية وزخارف نباتية . ولم تدهر هذه الصناعة بعد العهد الأموي ، والنماذج القليلة التي وصلتنا من العصر العباسي ومن عصور الدويلات المنفضلة كالتي نراها في قبة الملك الظاهر ببيروت بدمشق تدل على الانحطاط والتراجع .



الفصل العاشر



الفناء والموسيقى

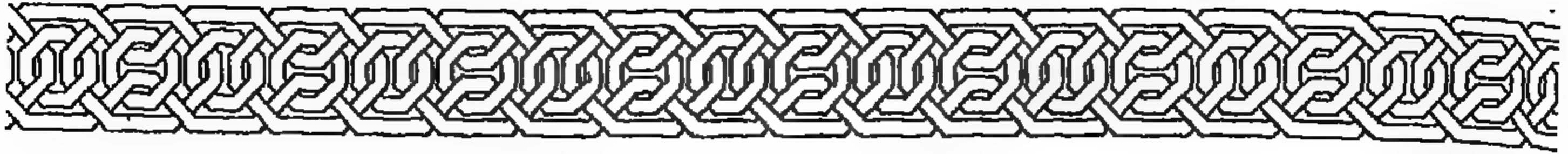
للنغم الحلو قوة ساحرة تأخذ بالألباب ، سواء كان ذلك في بداوة أو حضارة . وسواء أكان المغني من الإناث والذكور . ولكل جيل ألحانه ، ولكل صقع أنفاسه وطرائق إيقاعه على آلات اللهو والطرب ، من ضرب على الأوتار ، أو نقر بالدفوف ، أو نفخ في المزامير ، بين خفوت وارتفاع وامتداد وانقطاع ، وهمس وجهر ، وحدة ولين ، وآهات وأنين .

وقد وضعت لجرى الأصابع على ثقب الآلات وأوتارها قواعد يعرفها أهل الفن ، سموها لحناً . . . وسموها صوتاً وسموها نغماً ، وسجلناها على الورق في عهدنا الحاضر وسميناها باسمها الأفرنجي « نوتة موسيقية » .

والغناء يكون في الشعر ، لأن الشعر له أوزان منغمة ، وقد يكون في الموشحات والزجل ، ففيها إيقاع موسيقي ووزن وقافية . . .

تطور الغناء منذ الجاهلية حتى العصر الأموي : اختلفت ضروب الغناء

عند عرب الجاهلية ، فمنه الحدااء للابل في مسيرها ، والمزج وقت الغارة ، والانشاد في الصلاة والأفراح والمآتم ، ولا تزال آثار الترانيم الدينية الساذجة محفوظة في التلية من مزايم الحج . أما طريقة إنشادهم الشعر فلا يزال أثرها في تجويد القرآن . وكان للحدااء مقام رفيع عند العرب فقد استعذبتهم نفوسهم وهم يعدونه أقدم أنواع الغناء . وقد نشأ الغناء ، كما جاء في أسطورة ذكرها المسعودي كما يلي : قيل سقط مضر بن نزار بن معد عن جبل في بعض أسفاره فانكسرت يداه فجعل يقول « يا يداه ! يا يداه ! » وكانت من أحسن الناس صوتاً



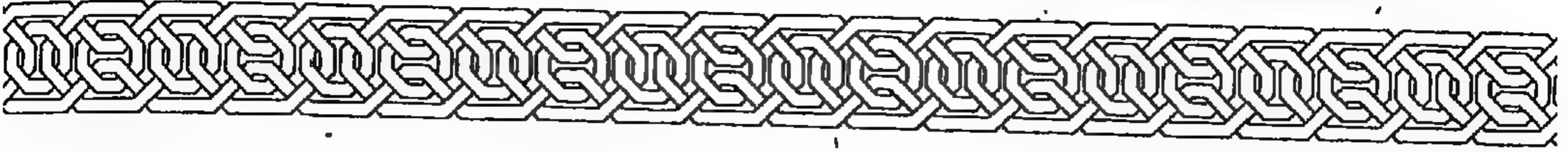
فاستوسقت الإبل وطاب لها المسير ، فاتخذته العرب حداء .
ولا ريب في أن عرب الجنوب كانت لهم أنواع خاصة من الغناء
وآلات الموسيقى التي لم يصلنا عنها إلا القليل ، ومهما يكن من أمر هذا
الفن في الجنوب فإنه لا يعد قسماً من تراث العرب الشماليين ومن تلام
من أهل الحضارة الإسلامية ، وقد استعمل أهل الحجاز الدف قبل الإسلام
وهو آلة موسيقية مربعة الشكل كما استعملوا كذلك القصة أو القصبة أو
الزمر أو المزمار ، وكذلك كان الزهر معروفاً لديهم ، وما كاد يبدأ عهد النبي
عليه السلام ، حتى كانت المؤثرات الموسيقية الأجنبية قد بدأت تظهر في بعض
الأوساط العربية ، فقد اقتنى أمراء غسان أجواقاً من القيان اليونانيات ، وكان
اللخميون من أهل الحيرة يعرفون العود الذي استعاره منهم أهل الحجاز . وفي
بعض الأخبار أن النضر بن الحارث بن كلدة الطيب الشاعر هو الذي أدخل
العود إلى مكة من الحيرة ، وكان ينظم الشعر محاولاً أن يستميل نفوس
القوم ويصرفهم عن الاستماع إلى القرآن . وهناك أخبار أخرى تجعل ابن مريج
(المتوفي حوالي ٧٢٦ م) أول من أدخل العود الفارسي إلى الحجاز . وقد
ذكروا أنه رأى العود لأول مرة في أيدي الفعلة الفرس الذين أقدمهم
إلى الجزيرة سنة (٦٨٤ م) عبد الله بن الزبير لبناء الكعبة . وقد استعير
الناي بعد ذلك وهو اسم فارسي لآلة صوتية تصنع من الخشب أيضاً حسبما
أظهرت دراسات البجاعة فارمر . والظاهر أن أكثر من عني بالغناء في الجاهلية
كانوا نساء ، وقد حفظ لنا صاحب الأغاني أسماء نغم منهن . ومن المراتي
التي قالتها الحنساء الشاعرة المشهورة في رثاء أخيها صخر وضع دون شك
ليغنى به في المآتم . ولا بدع ، فإن أكثر شعراء الجاهلية كانوا ينشدون
أشعارهم إنشاداً أشبه بالغناء .



شكل - ١١٥ -
رسم في إناء خزفي اسلامي ، يمثل الضاربة على العود

ولم تكن حملة القرآن على الشعراء باعتبار أنهم شعراء ، بل بصفقتهم ممثلي
الشرك والوثنية . ولعل الرسول لم يرض كثيراً عن الموسيقى لارتباطها
بالطقوس الوثنية . وفي بعض الحديث ما يفيد أن الآلة الموسيقية كمؤذن الشيطان
يستفز من استطاع إلى عبادته . والواقع أن السواد من متشرعي الاسلام
والفقهاء كانوا يعرضون عن الموسيقى حتى ذمها بعضهم في جميع الأحوال
ومنهم من عدّها مكروهة في الدين وإن لم تكن حراماً . إلا أن نظرة
جمهرة الناس إلى الأمر يعبر عنها القول المأثور : « الحمر كالجسد والسماع
كالروح والسرور ولدهما » .

وبعد أن زالت الروعة الأولى التي أوحاها ظهور الإسلام اتجه التطور
الاجتماعي في الحجاز إلى ناحية تذوق الجمال وبالأخص في عهد عثمان أول
خليفة عاش في مجبوحة من المال والرفاه . ثم أتقن القوم فن الطباق بين
الصوت والآلة الموسيقية وأخذوا فيما يسميه العرب موطداً في الحجاز ، ظهر
لأول مرة طبقه من الرجال ممن احترفوا الموسيقى وكانوا يحنون أيديهم
ويتقصفون تقصف النساء فعرفوا بالحنثين . منهم طويس (أي الطاووس
الصغير ٦٣٢ - ٧١٥ واسمه الأصلي : عيسى بن عبد الله الذائب) أول من
غنى بالمدينة فبدأ الغناء في الإسلام ويظن ، أن طويساً أدخل الإيقاع إلى
الغناء العربي . وأنه أول من غنى بالعربية مصحوباً بالآلة الموسيقية المعروفة
بالدف . وكان جيل المغنين الأول في الاسلام نقرأ من الحلفاء الأجانب
وعلى رأس طويس . ولطويس عدد من التلامذة أشهرهم ابن مريج أحد
المغنين الأربعة العظام في الاسلام ، وقد عزا الرواة إليه إدخال العود الفارسي
إلى الحجاز والتوقيع بالقضيب إرشاداً للضارين بين آلات الموسيقى في
الحفلات الموسيقية العامة التي كان يديرها . ثم ابن مريج وهو تركي الأب
وكان مولى لسكينة بنت الحسين ، وقد درس ابن مريج أيضاً على سعيد



ابن مسحج (المتوفى حوالي ٧١٤ م) المكي الأسود وهو مولى أيضاً .
 وكان سعيد أول موسيقي ظهر في مكة ولعله أعظم من ظهر في
 العهد الأموي ، فقد قيل إنه رحل إلى الشام وفارس وأخذ ألحان الروم
 والفرس فنقلها إلى غناء العرب ، والظاهر أنه نظم الموسيقى العربية في
 فاحتيتها النظرية والعملية في العهد الأول من تاريخ المسلمين ، ومن الذين
 أخذوا عنه الغريز وهو من مولدي البربر علمه ابن سريج أيضاً وأصبح
 بعد معلمه الثاني من المغنين الأربعة المشهورين في الاسلام في ذلك العهد .
 أما المغنيان الآخوان فهما ابن محرز (المتوفى حوالي ٧١٥ م) وهو فارسي
 الأصل وكان يقال له « صناع العرب » ومعبد (المتوفى ٧٤٣ م) وكان
 خلاصاً من المدينة ، وثال حظوة في بلاط الوليد الأول ويزيد الثاني والوليد
 الثاني وكان قبل انتقاله إلى العاصمة دمشق يحول مغنياً في أنحاء الجزيرة . ومن
 المغنين الأوائل سائب بن خاتر واسمه أبو جعفر سائب بن يسار (توفي ٦٣ هـ)
 من أهل المدينة ، ولم يكن يضرب بالعود ، وإنما كان يقرع بالقضيب ويغني
 مرتجلاً . ولما قدم نشيط الفارسي على المدينة وغنى بالفارسية صنع سائب خاتر
 مثل ذلك الغناء الفارسي بالعربية في أبيات مطلعها : « لمن الديار رسومها
 قفر ، فكان ذلك أول صوت غني في الاسلام من الغناء المتقن الصنعة
 الممزوج بالألحان الفارسية . ثم أن نشيطاً تعلم الغناء العربي من سائب خاتر
 وعلم فيما بعد عدداً من المغنين بالعربية منهم عزة الميلاء ، وجميلة ، ومعبد ،
 وابن سريج .

وأحمد بن أسامة الهمداني (توفي ٨٢ هـ / ٧٠١ م) أول من توسع في
 النصب (ضرب من الغناء أرق من الحدا) أي أول من نقل الغناء من
 الحدا (التنعيم البسيط وراء الابل) إلى شيء من العمل الفني وكان
 يغني بالطنبور .



وكان من القيان عزة الملاء ، وكانت تضرب بالمزهر والمعزقة (تشبه العود أو الطنبور) وهما من آلات الجاهلية . وجميلة (المتوفاة نحو ٣٧ هـ) وهي مولاة مدنية تزعمت الفن في الجيل الأول وكانت دارها موئلاً لأرباب الموسيقى والغناء بمكة وتلمذ عليها كثيرون منهم . ومن أبرز الذين كانوا يحضرون حفلاتها شاعر الحب المشهور عمر بن أبي ربيعة . ومن تلميذاتها حباة وسلامة محظيتا يزيد الثاني . ولعل أروع حادثة ذكرها الرواة عن حياتها المتروعة بالبدايع تلك الزيارة التي قامت بها إلى مكة فخرج منها حذاق المغنين والمغنيات وجماعة من الشعراء والأشراف وغيرهم من الرجال والنساء المعجبين بها يشيعونها أو يحجون معها ، وقد ركبوا على الأبل في الهودج والقباب وتخايروا في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف ، فما أن أشرفت الأبل على مكة حتى خرج الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم حتى قضت حجها فعادت وعاد معها جمع أكثر من جمعها فتلقاها أهل المدينة ودخلت بموكب أحسن مما خرجت به وتوافد عليها الناس مسلمين لا يستكف من ذلك كبير ولا صغير... .

وجمعت جميلة عدداً من الميزات ، أحلتها هذه المكانة في نفوس مواطنيها فقد كانت تجمع من حسن الخلقة ورقة الخلق والطبع ما يزيد انوثتها قوة ، ولحنها تأثيراً ، وكانت إلى ذلك مريحة شديدة المرح ، يسود مجالسها النكتة ويغلب عليها التواضع ، مع ما كانت عليه من ثقافة فنية وأدبية ، ومقدرة على النقد الفني ، وحكم على الأذواق ، ولطالما اجتمع عندها كبار المغنين والمغنيات فاسمعتهم وأسمعوها ، وحكموا لها وحكمت لهم . وقد اجتمع عندها ذات مرة ثلثة من المغنين فقالت لهم جميلة : كلكم محسن

وكلكم مجيد في معناه ومذهبه . قال احدهم : ليس هذا بمقتنع دون التفضيل
فقلت : اما انت يا ابا يحيى فتضحك التكلى بحسن صوتك ومشاكلته للنفس
واما انت يا ابا عباد ، فتسبح وحدك بجودة تأليفك ، وحسن نظمك مع
عذوبة غنائك .. واما انت يا ابا عثمان فلك اولية هذا الامر فضيلة . واما
انت يا ابا جعفر فمع الخلفاء تصلح . واما انت يا ابا الخطاب فلو قدمت
احداً على نفسي لقدمتك . وقد قال فيها معبد : اصل الغناء جميلة ، وفرعه
نحن .. ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين ..

ويظهر ان جميلة عمدت احياناً إلى الغناء الجوقي فذكرت كتب الادب
انها أمرت جواريا فضربن على خمسين وترأ فتزلزلت الدار ، ثم غنت هي
على عودها فجرت من العيون الدموع . وكانت تجمع جواريا ليعزفن
لحناً واحداً ويغنين صوتاً واحداً .

وكانت للموسيقى حفلات ومجالس زاهرة في منازل سيدات الطبقة
الارستقراطية يؤمها جماهير من غواة الفن ومريديه ، وكان العود الفارسي
المصنوع من الخشب قد أخذ يحتل مكان العود المصنوع سابقاً في الجزيرة
من الجلد ، وكان من الآلات الموسيقية الوترية المستحبة عندهم المعروفة
آلة تشبه القانون ومنها أيضاً القصبة والمزمار والبوق . أما الآلات
التي تقوم على مبدأ النقر فهي الدف وهو مربع الشكل وكانت النساء
أسبق إلى الالتفات اليه واستعماله ، والطبل والصنج ، وأما أنغام تقطيع
الأصوات « النوتات » الموسيقية فقد كانوا يتناقلونها شفهاً من جيل إلى
جيل ولهذا ضاعت كلها . فكتاب الأغاني مثلاً طافح بالأبيات التي كان
المغنون يغنونها أيام الامويين ، إلا أنه لا يثبت لنا « نوتا » واحداً نستدل
منه على نغم صوت الغناء الذي كان رائجاً ، وكان عميد المغنين في العراق
في ذلك العهد حنين الجبري النصراني وقد روي أنه شخص إلى الحجاز
زائراً فاستقبلته سكيئة بنت الحسين وأذنت للناس إذناً عاماً فغصت بهم



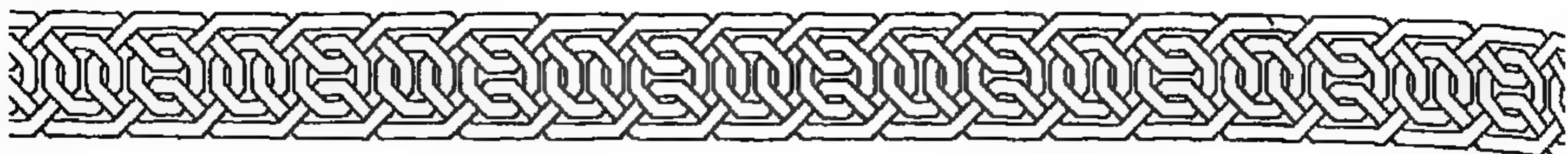
دارها ، ولم ير يوم كان أكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ ، وصعدوا فوق السطح يسمعون صوته ، وازدحموا عليه فسقط الرواق على من تحته ومات حينئذ تحت الردم . وتوفرت في مواسم الحج القرص لمن في الحجاز من أهل الموسيقى والغناء لظهار مواهبهم أمام وفود الحجاج . ولقد كان من المألوف في بعض الأحيان أن يتوجه المغنون كي يلاقوا موكب الحجاج ويطربوهم أثناء السير . وفي الأغاني وصف مشهد هذه المواكب التي شهدها موسم الحج كان بطله زعيم شعراء الحجاز في ذلك العصر عمر بن أبي ربيعة . فقد خرج في أحسن هيئة ، عليه حلة موشاة ومعه مغنيه ابن سريج وجعل يتعرض لمن يرى من الحسان حتى أمسوا فرفع ابن سريج صوته يغني في شعر عمر فسمعه الركبان وجعلوا يصيحون به يا صاحب الصوت أما تتقي الله قد حبست الناس عن مناسكهم .

وهكذا أصبحت مكة وبنوع أخى المدينة موئلاً للموسيقى في العصر الأموي ومربعاً لهوائها ، وأم بلاط دمشق نفر ممن تخرجوا في فنون الموسيقى من هاتين المدينتين . ولم يكن ليجدي نفعاً تشدد الملتزمين والمحافظين من العلماء الذين كانوا يكرهون السماع ويقرونون الموسيقى بالشرب والقمار ويستشهدون بالأحاديث النبوية التي تنهى عن هذه الملاهي هي نشر الوسائل التي يستدرج الشيطان بها أبناء آدم . إنما كانت مكانة الموسيقى في القلوب أعظم من أن تقاوم بشيء من هذه الذرائع ، لاسيما وأن أرباب الموسيقى أنفسهم كانوا يستندون بدورهم إلى أحاديث نبوية تدعمهم ، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك فزعموا أن الشعر والموسيقى والغناء ليس من الضروري أن تحط من قدر الإنسان بل إن لها قسطاً من التأثير في التهذيب النفسي إذ تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب . وكان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي واستجلب المغنين إلى الشام وكان



شاعراً فجعل يقيم الحفلات الكبرى في بلاطه، ومن ثم أصبح الغناء والشرب صنوين متآلفين في تاريخ الدول العربية . وشمل عبد الملك برعايته ابن مسعج من مغني الحجاز ، واستقدم ابنه الوليد ، وهو من رعاة الفن، ابن سريج ومعبداً إلى العاصمة واحتفى بهما ، ثم أعاد يزيد الثاني الشعر والموسيقى إلى سابق مركزهما بعد أن كان عمر بن عبد العزيز الخليفة الورع المحافظ قد حال دونها . وقد عول يزيد على مواهب حباية وسلامة، واصطفى هشام حنيناً الحيري وأنعم عليه . كذلك كان الوليد الثاني صاحب شراب وهو وطرب وسماع للغناء ، فاستقدم المغنين من البلدان المختلفة وأظهر العزف على العود واستقبل في بلاطه عدداً من أرباب الموسيقى والغناء منهم معبد المشهور ، ووافقت ولايته زمن ازدهار الموسيقى في عاصمتي الحجاز فلم يجيء آخر العصر الأموي حتى كان حب الغناء قد سرى في نفوس الناس خاصتها وعامتها ، فاتخذ العباسيون ذلك الأمر ملاحاً على الفت من ساعد خصومهم الأمويين وقاموا بنشرون دعوتهم ويتوعدون « أعداء الله » .

الغناء في العصر العباسي : ازداد إقبال الناس على اختلاف طبقاتهم على الغناء في العصر العباسي . وقد أخذ المهدي الخليفة العباسي نفسه بدعاية هذا الفن فبدأ حيث انتهى الخلفاء الأمويون المتأخرون ، وأحضر إليه سياتاً المكي (٧٣٩ - ٨٥٠ م) صاحب الصوت الشجي الذي قالوا في صوته « أدفا للمقرور من نهام يحيى » ، ثم أحضر أيضاً إبراهيم الموصلية تلميذ سيات (٧٤٢ - ٨٠٤ م) الذي غدا بعد استاذة إمام الأصول الموسيقية الكلاسيكية عند العرب . وكان إبراهيم هذا من أسرة فارسية شريفة وقد خطفته خارج الموصل في حداته عصابة من الأشقياء فتعلم بعض أغانيهم ، وهو أول من



وقع الايقاع بالقضيب ، وبلغت براعته بالموسيقى أنه كان يستطيع إذا أخرجت اليه ثلاثون جارية فضربن جميعاً طريقة واحدة وغنين في الأوتار وتراً غير مستوٍ أن يشير إلى إحداهن قائلاً يا فلانة شدي مثناك فتشده وتستوي الأوتار . ثم جاء الرشيد بعد المهدي فاستلحق ابراهيم به واتخذته نديماً ومنحه (١٥٠) ألف درهم دفعة واحدة ، وصار يصله بعشرة آلاف درهم كل شهر ، وقد أعطاه يوماً مئة ألف درهم من صوت واحد غناه فأعجبه . وكان لابراهيم منافس دونه مرتبة هو ابن جامع القرشي ، وهو ابن سياط بالتبني ، وذكر أن ابراهيم أشد المغنين تصرفاً في الغناء وابن جامع أحلام نغمة . وقد سأل الرشيد أحد المقربين اليه من المغنين : « ما يقول في ابن جامع ؟ » فأجاب : « وما أقول في العسل الذي حيثما ذقته فهو طيب » .

وكان بلاط الرشيد بأهله وأناقته قد أخذ يرمى الموسيقى والغناء كما رعى العلم والفن فأصبح موئل الغناء ومقصد أرباب الموسيقى . وقد زها في ظله نفر من أقطاب الموسيقى أجريت عليهم الأزراق يرافقهم طائفة من عبيد وإماء . وقد تركت هذه العصابة من أهل الفن آثاراً أدبية من قصص الغناء في الكتب كما نرى في « الاغانى » و « العقد الفريد » و « الفهرست » و « نهاية الأرب » و « ألف ليلة وليلة » وقد روي أنه اشترك في مهرجان موسيقي كبير الفنان من هؤلاء المغنين والمغنيات تحت رعاية الخليفة الرشيد أما ابنه الأمين فقد أحيا مرة ليلة لهو ، رقص فيها أهل البلاط ذكوراً وإناثاً حتى مطلع الفجر ، وبينما كان جند المأمون محيطاً ببغداد كان الأمين جالساً على ضفة دجلة وحوله خواص جواريه يطربونه . ومن المغنين الذين رعاهم الرشيد مخارق (المتوفى ٨٥٤ م) وهو تلميذ ابراهيم الموصلي وكانت قد اشترته إحدى المغنيات وقد حدث أن سمعته ينادي علي اللحم الذي



بيعه أبوه فأعجبت بصوته ثم باعته من آل الزبير وانتهى أمره أن أصبح من عبيد الرشيد فأعتقه ووصله بمئة ألف دينار وأدناه من مجلسه . وقد روي عن مخارق أنه توسط دجلة في إحدى الليالي واندفع يغني بأعلى صوته فما بقي أحد من ملاح ولا غلام ولا خادم إلا بكى وظهرت الشموع والسرر من جانبي دجلة في صحن القصور الدور يتساعى بين يدي أهلها يستمعون غناؤه وخرج مرة إلى باب الكناسة ببغداد ، والناس يرتحلون للخروج إلى مكة للحج ، فنظر إلى كثرتهم وازدحامهم فقال لبعض صحبه : قد جاء في الخبر أن ابن سريج كان يتغنى في أيام الحج ، والناس يبنون ، فيستوقفهم بغناؤه ، وأسأستوقف لكم هؤلاء الناس جميعاً ، لتعلموا أنه لم يكن ليضلني إلا بصنعة دون صوته ، ثم انه اندفع يؤذن ، فاستوقف الناس واستلهم وتقاطروا نحوه ... وسمعه أبو العتاهية الشاعر يوماً فقال له : لقد رقت حتى كدت أن احسدك . فلو كان الغناء طعاماً لكان غناؤك أدماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة .

وكان الخليفة الواثق يقول : ما غناني مخارق قط الا قدرت انه من قلبي خلق ولا غناني اسحاق الا ظننت انه قد زيد في ملكي ملك آخر . وكان من ندماء المأمون والمتوكل إسحاق بن إبراهيم الموصلي (٧٦٧ - ٨٥٠ م) عميد أهل الموسيقى في عصره . وقد تمثلت فيه بعد أبيه روح الموسيقى العربية الكلاسيكية . أما مكانته كموسيقي ملم بالصناعة بوجه عام فليس ما يدانيها بحيث قيل فيه إنه « أعظم من أنجيهم الاسلام في هذا الفن » وقد ادعى إسحاق كما ادعى أبوه من قبل وكما ادعى زرياب بعد ، أن الجن كانت تلهمه الألحان . إن هؤلاء وسواهم من أرباب الموسيقى الذين نشأوا في ظلال الخلفاء الوارفة ولا تزال أسماؤهم مقرونة بأسماء الخلفاء كانوا أكثر من موسيقيين . فقد



منحوا من الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر وقوة الحافظة قدراً كبيراً . وكانوا فوق ذلك يحفظون كثيراً من الأشعار المختارة والنوادر المستملحة وغير ذلك من ضروب الفنون ، فهم إذن مغنون وشعراء وعلماء تتقنوا بالثقافة العلمية في عصرهم . ويأتي بعد هؤلاء مرتبة الضاربون ، وأهمهم أصحاب الأعواد ، أما الضاربون على الرباب فقد كانوا أدنى مرتبة . وبلي الضارين طبقة القيان اللآتي كن يشتركن في الحفلات من وراء الستار وقد كن من الزينة الضرورية في بيوت الحريم . وأصبحت تربيتهم وتثقيفهن من الصناعات الهامة ، وقد ربي إسحاق جارية حتى برعت فبذل فيها رسول صاحب مصر عشرة آلاف دينار فلم يبعها ، وسأومه رسول امبراطور الروم فيها على ثلاثين الفأثم أوصله رسول صاحب خراسان إلى أربعين ألف دينار ، واحتال إسحاق على أمره معهم بأن أعتقها وتزوجها . لقد فاق بنو العباس في بغداد بني أمية في دمشق بمن خرج منهم من المغنين والمنشدين والضارين على العود فمن آل العباس نبغ إبراهيم بن المهدي (أخو الرشيد) الذي نازع المأمون الولاية سنة ٨١٧ م وقد اكتسب شهرة عظيمة في الموسيقى والغناء أما الواثق فكان يضرب على العود وقد صنع مئة صوت ، فكان بذلك أول موسيقي بين الخلفاء ، ومن بعده قام المنتصر والمعتز فأظهرا مقدرة في الشعر والموسيقى ، إلا أن الخليفة الذي برع في الموسيقى هو المعتمد وقد القى الجغرافي الشهير ابن خردادبة في حضرته خطبة في الموسيقى والرقص تعد من الأصول الهامة التي بين أيدينا عن حالة هذين الفنين في ذلك العصر .

الموسيقى النظرية في المشرق : وكان هناك من جملة الكتب اليونانية الكثيرة التي نقلت إلى العربية في العصر العباسي بضعة كتب

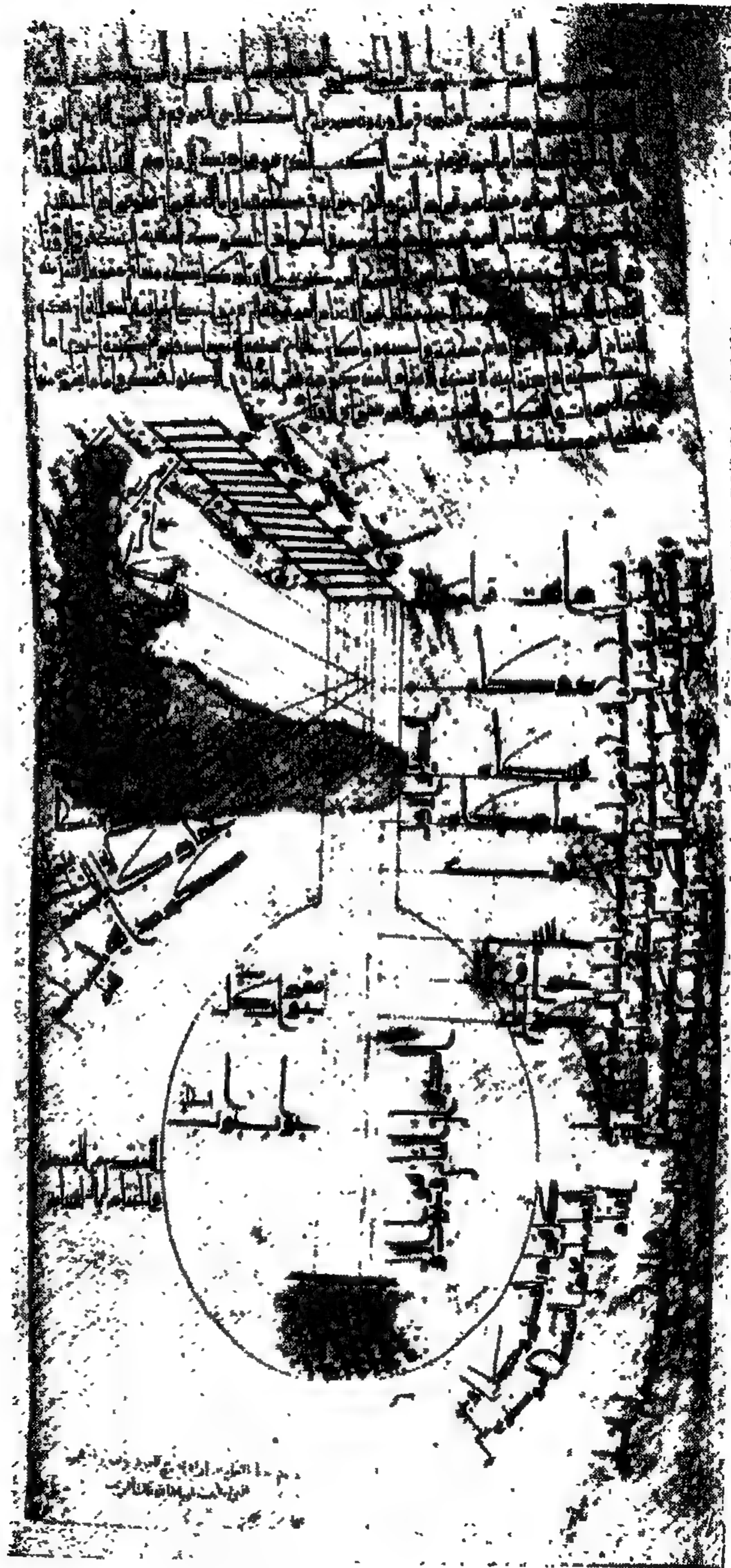


تبحث في الموسيقى النظرية . منها اثنان لأرسطو نقلها إلى العربية الطيب
النسطوري الشهير حنين بن إسحاق الواحد تحت عنوان « كتاب المسائل »
والثاني « كتاب النفس » وقد ترجم حنين كتاباً جالينوس بعنوان « كتاب
الصوت » وما ينسب أصله إلى اقليدس كتابان في العربية هما « كتاب
النغم » ولم يكن من تأليف اقليدس أصلاً و « كتاب القانون » ، أما
أرسطو كسنس من رجال القرن الرابع قبل الميلاد فقد عرف خاصة
بـ « كتاب الايقاع » كما أن نيكوماكس بن أرسطو عرف « بكتاب
الموسيقى الكبير » . وقد عدّ « إخوان الصفا » ، وكان بعضهم فيما يظهر
من أصحاب النظريات في الموسيقى ، هذا الفن فرعاً من الرياضيات ،
وبجلوا فيثاغورس باعتباره مؤسساً للموسيقى النظرية . وقد استمد العرب
من هذه الكتب وغيرها من كتب الاغريق آراءهم العلمية في الموسيقى
وأصبحت لهم ثقافة قائمة بذاتها في مبادئ نظرية الصوت الفيزيائية والفسولوجية ؛
ومن هنا كانت الناحية العلمية الرياضية للموسيقى العربية مستمدة من أصول
يونانية ، أما الناحية العملية فمأذجها كما أظهرت أبحاث فارمر عربية بحتة ،
وفي هذا العهد استعيرت لفظة موسيقى (وبعدئذ موسيقى) عن اليونانية
وأطلقت على مناحي العلم النظرية وخصصت لفظة « الغناء » القديمة
للفن العملي وقد كانت إلى ذلك الزمن تفيد الغناء والموسيقى معاً ، أما
لفظا « قيثارة » و « أرغن » وكثير من الألفاظ الفنية اليونانية الأصل
فإنها لا تزال تستعمل في العربية حتى الآن ، ومن الواضح أن الأرغن جاء
به من بلاط البيزنطيين . ولقد عاش في القرن الثاني عشر اثنان من صناع
الأرغن هما أبو المجد بن أبي الحكم الدمشقي (المتوفى م ١١٨٠) وأبو زكريا
محبي الياسي الذي اتصل بصلاح الدين وكان في خدمته . وكان زعيم



شكل - ١١٦

قطعة فريدة من
الرق محفوظة
في مكتبة
تشستر بيتي
فيها صورة
العود المثنى
ويذكر النص
بأنه آخر
اختراع الامام
الفارابي .
كما يذكر
صفاته وبعض
التعليمات
الموسيقية .





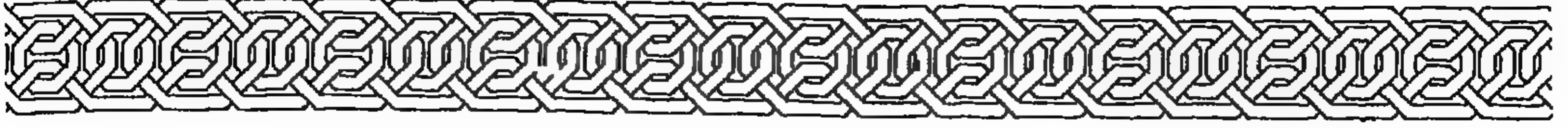
الكتاب الموسيقيين الذين تبعوا المدرسة الاغريقية الفيلسوف الكندي الذي زها في الشطر الثاني من القرن التاسع م وتظهر في كتبه أول معالم الأثر اليوناني . ونجد في واحد من الكتب التسعة المنسوبة اليه أول استعمال صريح لعلامات الموسيقى عند العرب . . ولم يكن الكندي وحيداً في علم الموسيقى النظرية بل إن عدداً من رجال الفلسفة الاسلامية والطب كانوا كذلك أيضاً . وقد وضع الرازي (٨٦٥ - ٩٢٥ م) كتاباً في هذا الفن أشار اليه ابن أبي أصيبعة ، وليس غريباً أن قد يكون وضع غير كتاب واحد . وأما الفارابي (المتوفى ٩٥٠ م) فقد كان يجيد الضرب على العود وهو أعظم من كتب في أصول الموسيقى بين كتاب العصور الوسطى فإنه علاوة عن اشتغاله باخراج طائفة من الشروح على مختلف كتب اقليدس المفقودة اليوم قد وضع ثلاثة أبحاث مبتكرة منها « كتاب الموسيقى الكبير » وكان أهم مرجع في الشرق ، أما في الغرب فأعظم كتبه أثراً وأكثرها شهرة هو كتاب « إحصاء العلوم » وهو أقدم كتاب في هذا الموضوع وقد نقل إلى اللاتينية . وقد نقلت أيضاً إلى اللاتينية تاليف ابن سينا (المتوفى ١٠٣٧ م) الذي لخص كتاباً سابقة لعهدة وعقد في « الشفاء » بحثاً في الموسيقى ، وتآليف ابن رشد (المتوفى ١١٩٨ م) وأصبحت هذه التآليف كتباً مدرسية في أوروبا الغربية . أما الغزالي فقد كان لدفاعه عن السماع الأثر الأكبر فيما بلغته الموسيقى من شأن في الطرق الصوفية . . وما يؤسف له أن معظم هذه الرسائل الفنية فقدت أصولها العربية : فالموسيقى العربية وعلاماتها وما كانت تقوم عليه من أصول النغم والايقاع ظلت تتقل بالسماع من جيل إلى جيل إلى أن تلاشى أمرها . إن الأغاني العربية اليوم فقيرة بالأنغام غنية بالايقاع ، وليس بين أرباب الموسيقى العربية الحديثة من يستطيع أن يشرح جلياً الكتب الباقية في موضوع الموسيقى

القديمة أو يفقه تماماً علاماتها القديمة وتعابيرها الفنية الموضوعة بها . ويمكن أن نرجع كثيراً من هذه المصطلحات إلى أصول فارسية أو هندية ...

موسيقى الاندلس :

كان زرياب واضع حجر الأساس في فن الموسيقى الأندلسية وهو تلميذ مدرسة الموصلي البغدادية . وقد نزل زرياب قرطبة عام ٨٢٢ م واستطاع بفضل اتساع معرفته بالموسيقى والأصوات التي لا يعرفها أحد غيره وتضلعه في العلوم الطبيعية وشخصيته الجذابة ولطف معاشرته وظرفه وتأدبه وحضور ذهنه أن يكون مثال الرجل الاجتماعي الممتاز . وكان في قرطبة تحت رعاية عبد الرحمن الثاني عندما اخترع زرياب مضرب العود من قوادم النسر معتاضاً به عن مضرب الحشب ، فأبدع في ذلك للطف ضرب الريشة ونقائه وخفته على الاصبع . وزاد في أوتار عوده وتراً خامساً ، وأنشأ مدرسة غدت معهداً كبيراً للموسيقى الأندلسية ، ثم تبعها مدارس أخرى في إشبيلية وطليطلة وبلنسية وغرناطة ... ويتلو زرياب مرتبة أبو القاسم عباس بن فرنانس (المتوفى ٨٨٨ م) وإليه يعزى الفضل الأكبر في إدخال الموسيقى الشرقية إلى إسبانيا وتعميمها ، ويقال إنه أول من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة . وإنه صنع آلة في منزله على هيئة السماء يخيل للناظر فيها أنه يرى النجوم والغيوم والبروق .

وكان ابن فرنانس أول رجل في تاريخ العرب حاول الطيران بطريقة علمية . وكانت عدته عبارة عن رداء من ريش كسا نفسه به وجعل له فيه جناحين ، وقد قيل إنه طار في الجو مسافة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخرته لأنه لم يعمل له ذنباً . على أن الموسيقى النظرية والتطبيقية التي أدخلها زرياب وابن فرنانس كانت فارسية عروية ،



وبتوالي الأعوام أخذت أصول الموسيقى اليونانية والفيثاغورية تحل محلها ، حين كانت الكتب اليونانية التي تدور حول هذا الموضوع تنقل إلى العربية . وبما يدل على سلطان الموسيقى والألحان على قلوب أهل الأندلس ما أورده ابن عبد ربّه في العقد الفريد عن فضلها قال : هي الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس ورييع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب . . . وقد يتوصل بالألحان الحسان إلى خير الدنيا والآخرة فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف ، وصلة الرحم والذب عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرفق القلب من قسوته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره .

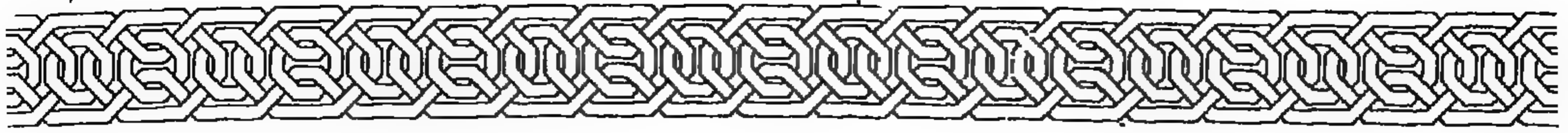
وعلى العموم فإن المسلمين الغربيين كانوا أكثر ميلاً إلى فن السماع والضرب من زملائهم الشرقيين . ولم يأت آخر القرن الحادي عشر حتى كانت الموسيقى الأندلسية قد كسفت شهرة بغداد في هذا الموضوع ، وفي هذه الحقبة أصبحت اشبيلية تحت حكم بني عباد الذين حكموا قرطبة أيضاً مدة وجيزة مركزاً للموسيقى والغناء وغيرهما من ضروب اللّهو التي تقون عادة بعصور العرب الزاهية في ربوع الأندلس . فالمعتمد العبادي لم يكن شاعراً ملها فحسب بل كان يحسن الانشاد أيضاً والضرب على العود ، واشتهرت عاصمة بني عباد بصناعة الآلات الموسيقية وتصديرها ، وهناك رسالة في الموسيقى ترجع إلى عصر المرابطين للفيلسوف ابن ماجه (المتوفي ١١٣٨ م) الذي زها في اشبيلية وفاس وهي مفقودة الآن ، ولكنها كانت عند أهل الغرب توازي من حيث قيمتها وأهميتها الرسالة التي ألفها الفارابي في الشرق ، وظهر في عهد الموحدين فيلسوف آخر هو



ابن سبعين « المتوفى ١٢٦٩ م » بحث في تناسب الأنغام الموسيقية في كتاب « الأدوار المنسوب » منه نسخة وخيدة محفوظة في القاهرة ، وحدث مرة في مناظرة جرت في حضرة المنصور ثالث ملوك الموحدين بين ابن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر في المفاضلة بين قرطبة واشبيلية أن رد ابن رشد على ابن زهر بهذا الكلام مدافعاً عن قرطبة :

ما أدري ما تقول غير أنه إذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية . . .

اثر الموسيقى العربية في أوروبا: وكان كلما ازداد ارتياح عامة الشعب من الاسبان والمولدين إلى النماذج الغنائية العربية ازدادت الأغاني العربية انتشاراً وشعبية في أنحاء اسبانيا ، وقد لمع من العرب موسيقيون في قصور الملوك بقشتالة والأرغون ، وعرف كثيرون من أهل الرقص والغناء العرب في اسبانيا بعد سقوط غرناطة بيد الأفرنج بزمان طويل ، وكانوا لا يزالون يعملون بواسطة فنهم على تسلية أبناء اسبانيا والبرتغال ، وتشير أبحاث ريبيرا الاخيرة إلى أن الموسيقى الشعبية في اسبانيا بل موسيقى الجنوب الغربي من أوروبا بأسرها في القرن الثالث عشر وما بعده كانت كالروايات الغرامية الغنائية والتاريخية في الأقاليم مشتقة من منبع أندلسي انبثق في نشأته من مصادر عربية وفارسية وبيزنطية ويونانية ، كما انتقلت الفلسفة وعلم الرياضيات والطب من بلاد الإغريق ورومة إلى بيزنطة وفارس وبغداد ثم إلى اسبانيا ومنها إلى أنحاء أوروبا انتقلت أيضاً عدة فروع من الموسيقى النظرية والعملية العربية إلى أوروبا . والواقع أن كثيراً من الآلات الظاهرة في الرسوم الاسبانية الدقيقة وصور بعض الأشخاص الضارين عليها هي دون جدال إسلامية الأصل ، ومن الرسوم الاسبانية الدقيقة ما يظهر فيها موسيقيون عرب يلعبون

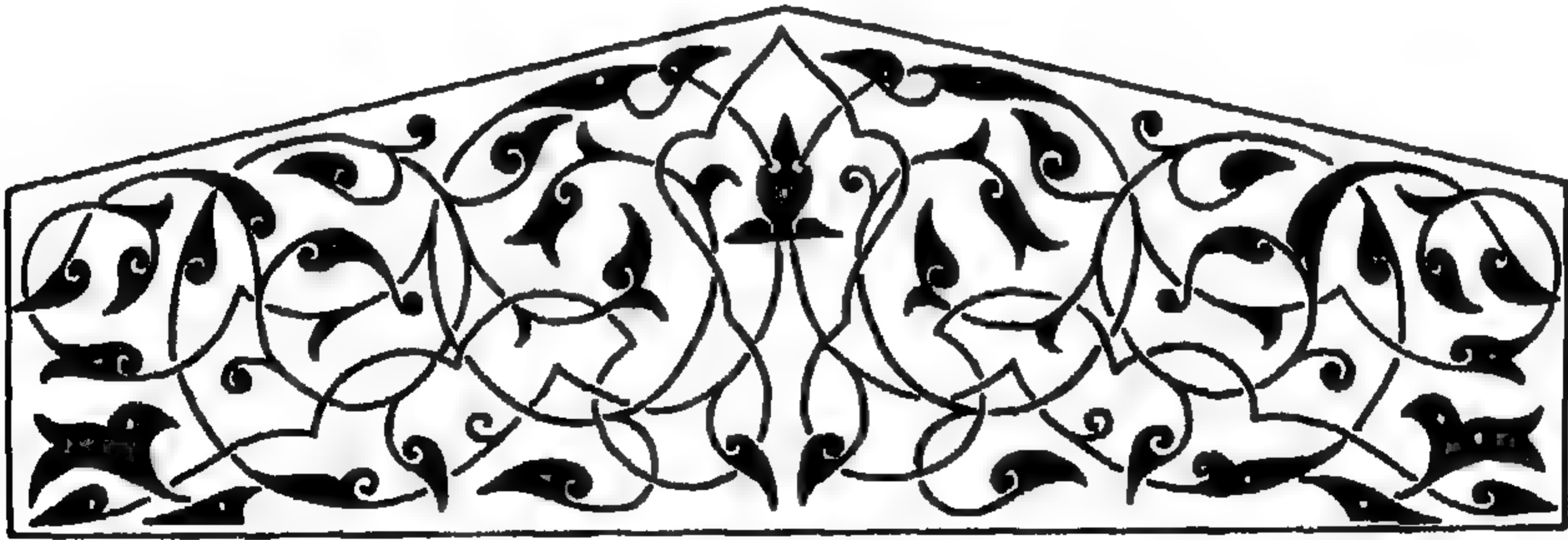


الشطرنج . وقد ورد في اللغة الاسبانية نفسها أول وصف لهذه اللعبة بلغة أوروبية وذلك في مؤلف لألفونسو العاشر ملك قشتالة وليون من عام ١٢٥٣ إلى ١٢٨٢ م . وكان الفونسو من أعظم دعاة العلوم الاسلامية في اسبانيا النصرانية واليه يرجع الفضل في وضع تلك المجموعة الشعرية الرائعة التي ترجع موسيقاها في رأي ريبير إلى أصل اندلسي اسلامي ، وقد أثر الشعر العربي على ظهور طبقة « التروبادور » الذين أخذوا يحاكون منشدي العرب ، لا من حيث العاطفة والطبيعة فحسب ، بل من حيث الصور والأشكال نفسها التي أخرجوا فيها أناشيدهم ، وقد كانت بعض العناوين التي أطلقها شعراء البروفنسال هؤلاء على مقطوعاتهم الغنائية ترجمة لعناوين عربية . والراجع أن أدلارد أوف باث الذي درس الموسيقى في باريس هو الذي ترجم رسالة الخوارزمي في الرياضيات وكان فيها قسم عن الموسيقى . ومن هنا فإن هذه الرسالة هي من أقدم الرسائل التي أدخلت الموسيقى العربية إلى عالم اللاتينية . وكان في حوزة العرب منذ أيام ادلارد في الشطر الأول من القرن الثاني عشر رسائل اغريقية قديمة تعنى بالموسيقى مترجمة إلى العربية ، وعرفوا كذلك مؤلفات الكندي والفارابي وابن سينا وابن ماجه التي وضعوها هم أنفسهم في هذا الفن . ولم يأت آخر القرن حتى أصبحت أكثر هذه المؤلفات الجديدة معروفة في أوروبا بفضل ترجماتها اللاتينية التي وضعت في طليطة . وبما يجدر ذكره هنا أنه في هذا العهد نفسه ظهر نظام جديد للموسيقى المسيحية الأوربية يقوم على أن للنوتات والارقام الموسيقية قيماً وقتية محدودة أو نسبة معينة فيما بينها .

وأول من شرح حقيقة هذه الموسيقى القياسية أو الغناء المقيس ، رجل غامض الهوية اسمه فرانكو الكولوني « نحو ١١٩٠ م » ، وليست أرقامه



الموسيقية المعروفة بالأرقام الفرنكونية لتختلف في أصلها عن أرقامنا الحديثة . ولكن هذه الموسيقى القياسية نفسها كانت تشكل قسماً قائماً بذاته من الموسيقى العربية وكانت تعرف باسم الإيقاع ، وذلك قبل عصر فرانكو المذكور بما لا يقل عن أربعة قرون ، وقد أفاض الكندي (لمع نحو ٨٧٠ م) في إيضاحها ، وقد ظهرت بعد فرانكو رسالة منسوبة إلى جون أوف غارلند عولجت في أصول الـ « أو كيتس » أي « أسلوب التوقيع » ، ولعل لفظة « أو كيتس » نفسها هي تحريف لفظة إيقاعات العربية . والراجع أن الموسيقى القياسية هي أعظم ما نفع به العرب هذا الفن ، ولم تكن المأثرة الوحيدة في هذا المضمار ، زد على هذا أن الآتين اللتين كان لهم السهم الأوفر في تقدم فن الموسيقى في الغرب هما « العود والرباب » وكلاهما دخلا ن نقلها العرب إلى غربي أوروبا .



الفهرس

- ٩ - ٢٦ الفصل الاول : الفن العربي الاسلامي .
- ٩ الفن الاسلامي - ١١ ظهور الفن العربي الاسلامي وتطوره - ١٥
عصور الفن الاسلامي - ٢١ مميزات الفن العربي الاسلامي .
- ٢٧ - ٤٩ الفصل الثاني : المدن الاسلامية .
- ٢٧ بناء المدن في الاسلام - ٢٩ مدن العراق - ٣٨ مدن الشام - ٤٠ مدن
مصر - ٤٢ مدن المغرب - (٤٥) مدن الاندلس .
- ٥٠ - ٦١ الفصل الثالث : فن الرياسة والعمارة في الاسلام .
- ٥ فن العمارة الاسلامية - ٥٣ مدارس فن العمارة الاسلامية - ٥٤
المدرسة السورية - المصرية - ٥٥ المدرسة العراقية - الفارسية - ٥٦
المدرسة الهندية - ٥٧ مدرسة المغرب والاندلس - ٦٠ مدرسة الفن
المدجن - ٦١ المدرسة العثمانية .
- ٦٢ - ٩٤ الفصل الرابع : المساجد
- ٦٢ (المساجد وظواهرها المعمارية) - ٦٣ الحرم الشريف في القدس - ٦٦
المسجد الاموي بدمشق - ٧٠ جامع القيروان - ٧١ جامع الزيتونة - ٧٣
مسجد قرطبة - ٧٤ مسجد سامراء - جامع ابن طولون - ٧٨ الجامع
الازهر - ٨٠ مساجد العصر المملوكي في الشام ومصر - ٨١ : مساجد
الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والسلطان حسن - ٨٢ مساجد العصر
السلجوقي - ٨٣ مساجد العصر المغولي في ايران - ٨٥ مساجد العصر
الهندي المغولي - ٨٦ مساجد العثمانيين - ٨٨ الفن :
- ٩٥ - ١٠٨ الفصل الخامس : القصور والابنية الحربية .
- ٩٥ القصور - ١٠٥ الابنية الحربية قلعة حلب - ١٠٦ قلعة الحصن
- ١٠٧ الرباط .



١٠٩ - ١٢٣ الفصل السادس : الفنون الجميلة : ١ - الرسم
والتصوير والنقش والنحت

١٠٩ - ١٣٦ النقش والتصوير وضع التماثيل - ١١٦ مدارس الرسم
والتصوير .

١٢٤ - ١٣٥ الفصل السابع : الفنون الجميلة : ٢ - الكتابة والخط .

١٣٦ - ١٥٣ الفصل الثامن : الفنون الجميلة : ٣ - الخزف
والنقش التزييني .

١٥٤ - ١٧٣ الفصل التاسع : الفنون الجميلة : ٤ - الفنون التطبيقية .

١٥٤ - الخزف - ١٦٠ الزجاجيات - ١٦٣ السجاد - ١٦٥ الحفر

- ١٧٣ الفسيفساء .

١٧٤ - ١٩٣ الفصل العاشر : الفنون الجميلة : ٥ - الغناء والموسيقى .

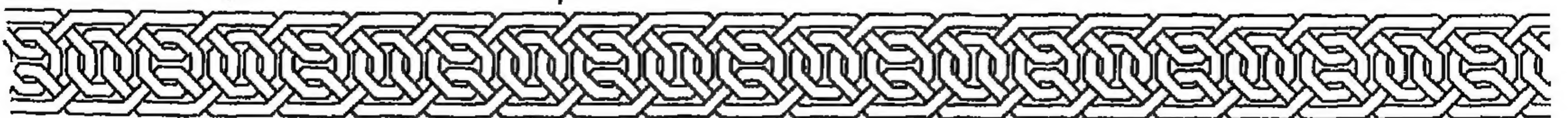
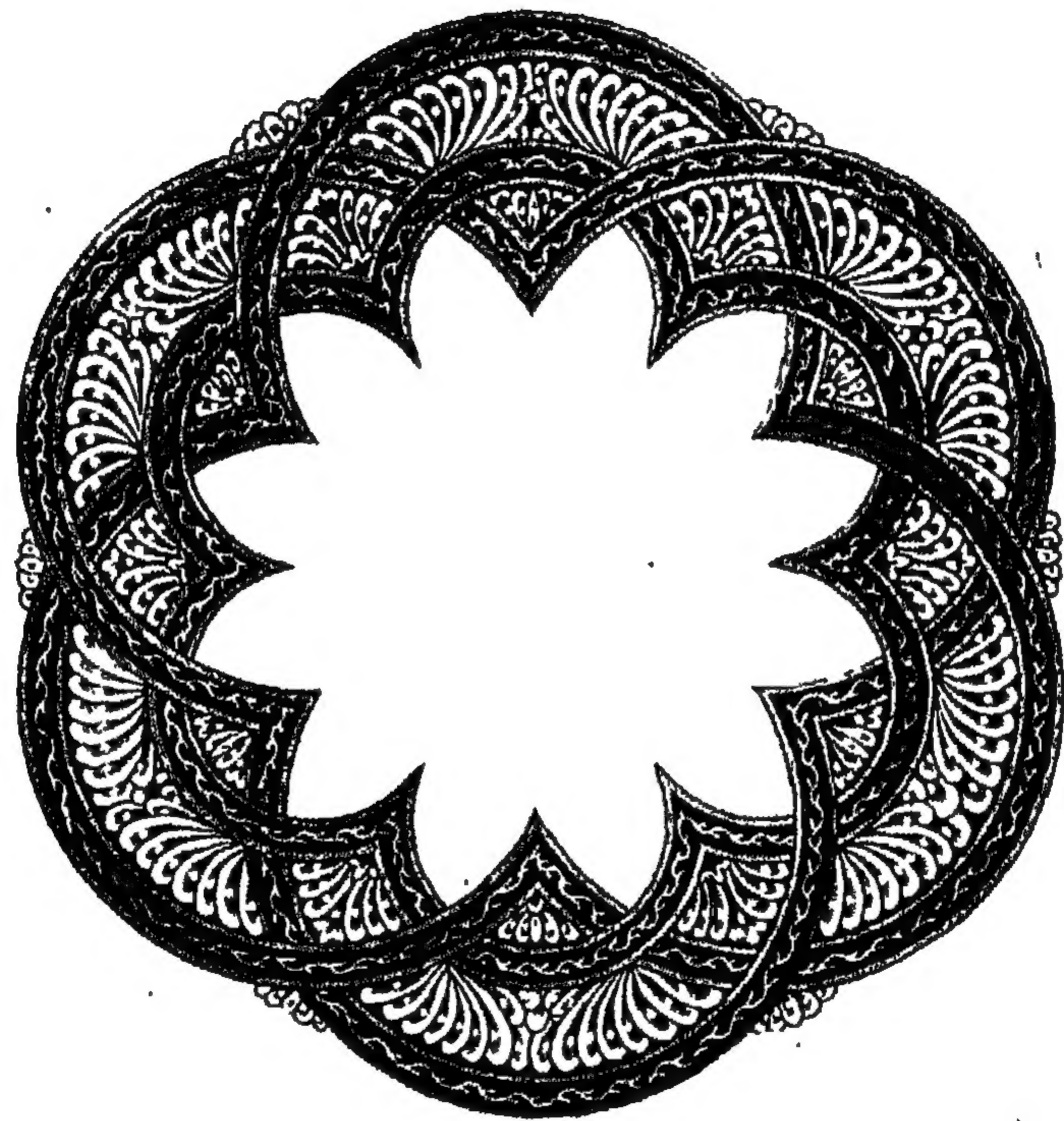
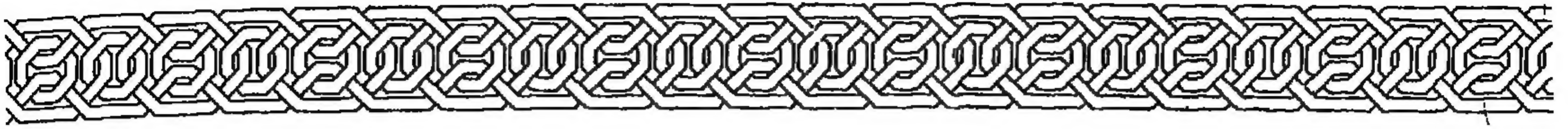
١٧٤ تطور الغناء منذ الجاهلية - ١٨٢ الغناء في العصر العباسي - ١٨٥

الموسيقى النظرية في المشرق - ١٨٩ موسيقى الاندلس - ١٩١ أثر

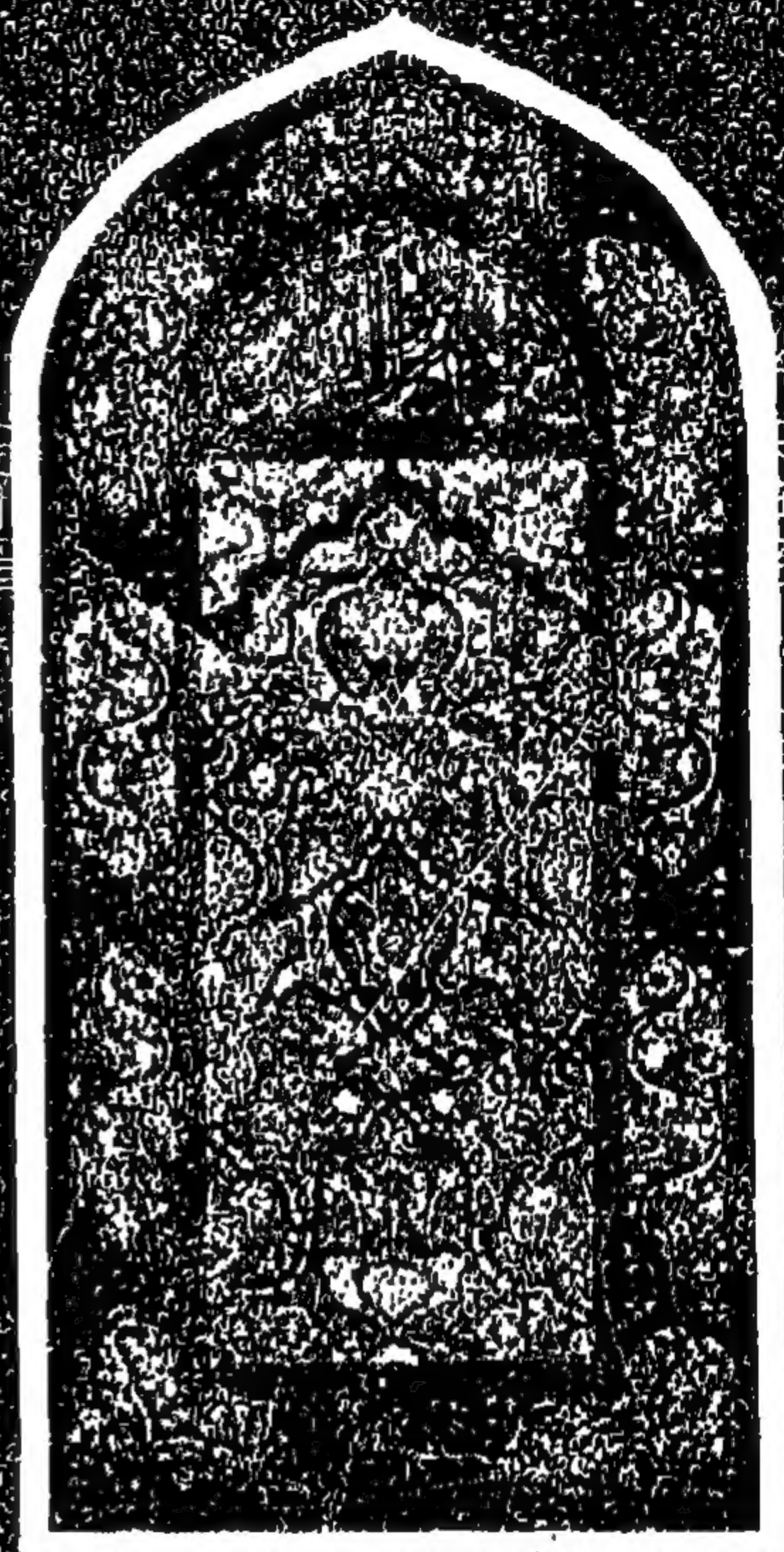
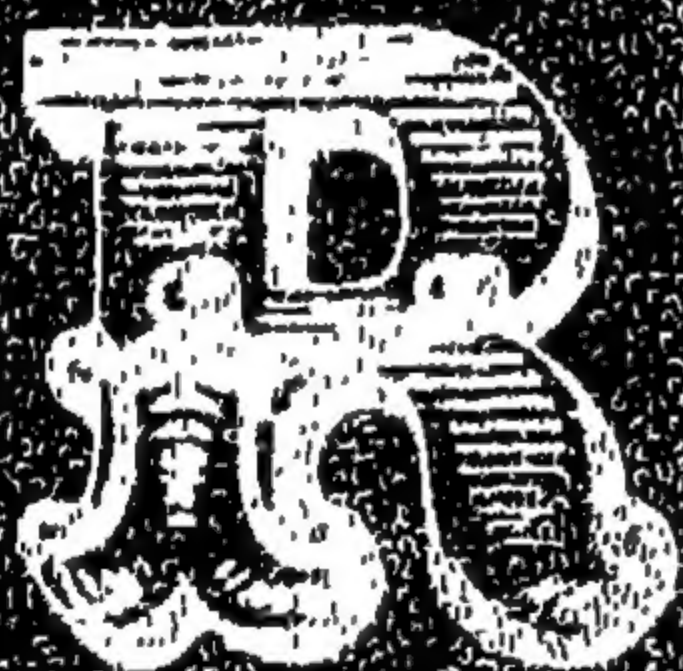
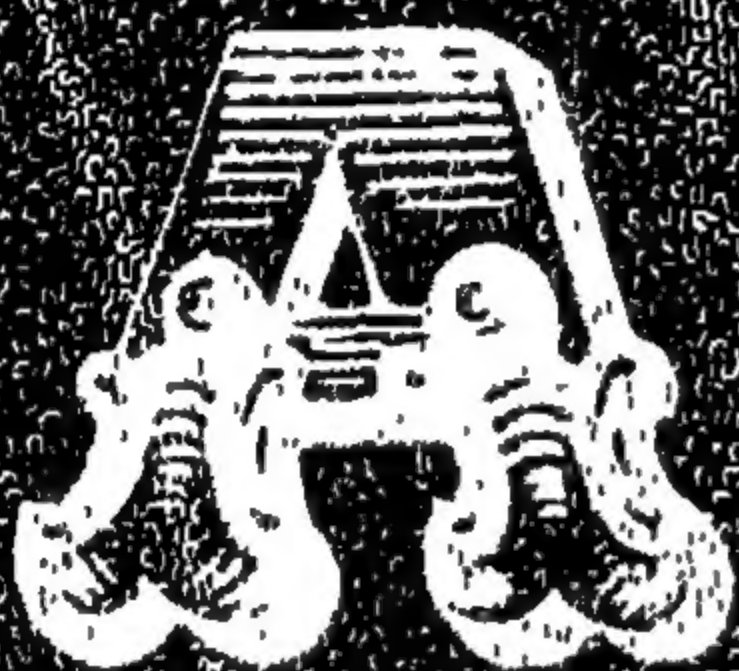
الموسيقى العربية في أوروبا .



مجله



History of



uring Arabs & Muslims

